موسوعة

الوفاء

في أخبار النساء

قاسم عاشور

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ISBN 9953-81-201-2

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366

هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)

بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

المقـدّمـة

الحمد لله الذي خلق لنا أزواجاً من أنفسنا لنسكن إليها، وجعل بين الزوجين المحبة والرحمة من أجل قيام حياة زوجية كريمة مستقرة.

وأصلي وأسلم على النبي المختار محمد بن عبدالله ﷺ الذي أوصى بالنساء خيراً فقال: «**استوصوا بالنساء خيرا**»، وقال: «**رفقاً بالقوارير**»، وقال: «**خيركم خيركم لأهله**». وهذا يدل على عِظَم رسالة المرأة، فالمرأة نصف المجتمع، إذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدتْ فسد المجتمع وتزلزلت أركانه وقِيَمَهُ. والمرأة متعددة المسؤوليات: مسؤولية الأمومة، ومسؤولية التربية، ومسؤولية رعاية البيت والزوج، فعليها تقع مسؤولية قيادة أعظم وأقدس مدرسة تربوية في أدق مراحل التربية.

كانت المرأة عبر كل العصور وحتى قُبيل الإسلام تتعرض لشتى أنواع الظلم والاحتقار والامتهان، فجاء الإسلام فأنقذها وأنصفها وحافظ على كرامتها واعترفَ بحُقوقها في قرآنٍ يُتلى إلى يوم الدين. وقد جعلها الإسلام هي والرجل سواءً بسواء، لها ما له وعليها ما عليه من الحقوق والواجبات.

وفي هذا الكتاب قمتُ بجمع بعض أخبار المرأة من كتب التراث، وقد اخترتُ هذه الأخبار كما تُختار أطايب الثمار، فما وجدتُهُ صالحاً للاطلاع والتثقيف جمعته، وما وجدته دون ذلك تركته، إمّا لقلة نفعه، أو لأنه ينقص المروءة، ويخدش الحياء.

يضم هذا الكتاب بين دفتيه ستاً وعشرين باباً تناولتْ الزواج، والنظر والمهور، وزواج الأكفاء، وعشرة النساء، ووصايا الأولياء، وخطبة النكاح، وأوصاف النساء المحمودة، والولادة، والطلاق، وقصص المتزوجين، والحُسْن، والجمال، والشيب، والشباب، والتعدد، والوفاء، والعفة، والحياء، والغيرة؛ وبعض الطرائف والبلاغة... إلخ.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

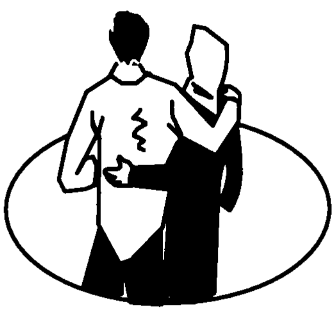
قاسم عاشور

المدينة المنورة

غرة، المحرم ١٤٢٦هـ

الزواج

في القرآن الكريم



الزواج في القرآن الكريم

۞ قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾.

[سورة البقرة/٢٣٥]

۞ وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾.

[سورة النساء/١، ٣، ٤]

۞ وقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾.

[سورة المائدة/٥]

۞ وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا . . .﴾.

[سورة الأعراف/١٨٩]

۞ وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾.

[سورة الرعد/٣٨]

۞ وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

[سورة النحل/٧٢]

۞ وقال سبحانه: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾.

[سورة النور/٣٢]

۞ وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

[سورة الروم/٢١]

۞ نهى الله تعالى عن الانقطاع عن الزواج للقادر عليه.. فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

[سورة المائدة/٨٧]

۞ وأمرنا سبحانه وتعالى بالعفاف إذا لم نملك نفقة الزواج. فقال سبحانه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ . . .﴾.

[سورة النور/٣٣]

۞ تحريم نكاح المعتدة قبل انتهاء العدة.. قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

[سورة البقرة/٢٣٥]

۞ أخذ رأي المرأة في زواجها.. قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ﴾.

[سورة البقرة/٢٣٢]

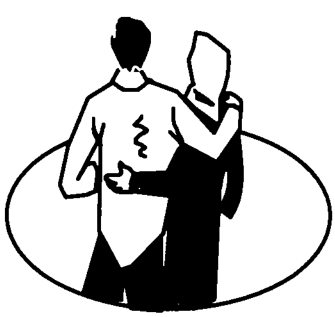
۞ وحرَّم الله على الرجل أن يجمع في عصمتهِ أكثر من أربع زوجات، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً...﴾.

[سورة النساء/٣]

۞ وجعل الله القوامة للرجل، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ..﴾.

[سورة النساء/٣٤]

الزواج
في السنّة الشريفة المطهرة



الزواج في السُّنَّة الشريفة المطهرة

❁ عن علقمة رضي الله عنه، قال: كنت أَمْشي مع عبدالله بمِنًى، فلقيه عثمانُ رضي الله عنه؛ فقام معه يُحَدِّثُهُ، فقال له عثمان: يا أبا عبدالرحمٰن! ألا نُزَوِّجُكَ جارِيةً شابَّةً؟ لعلَّها تُذَكِّرُكَ بعضَ ما مضى من زمانك. قال عبدالله: لئن قُلْتَ ذاك؛ لقدْ قال لنا ﷺ: **«يا مَعْشَرَ الشَّباب! مَنِ اسْتطاعَ منكم الباءَةَ؛ فلْيَتزوَّجْ؛ فإنَّهُ أَغَضُّ للبَصَرِ وأَحْصَنُ للفرْجِ، ومَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فعليْهِ بالصَّوْمِ؛ فإنَّهُ لهُ وِجاءٌ»**.

[مختصر صحيح مسلم/٧٩٤]

❁ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوتِ أزواجِ النبي ﷺ، يَسْألون عن عبادة النبي ﷺ، فلمَّا أُخْبِروا؛ كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحنُ من النبي ﷺ؟ قد غَفَرَ الله لهُ ما تقدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تأَخَّرَ. قال أحدهم: أمَّا أَنا؛ فإني أُصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصومُ الدَّهْرَ ولا أُفْطِرُ، وقال آخر: أنا أعتزلُ النساءَ فلا أَتزوَّجُ أبداً، فجاءَ رسولُ الله ﷺ، فقال: **«أنتُم الذين قُلْتُم كذا وكذا؟ أما واللّهِ! إني لأخشاكم للّهِ، وأتْقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأُصلي وأَرْقُدُ، وأتزوَّجُ النساءَ، فمن رَغِبَ عن سُنَّتي؛ فليسَ مني»**.

[مختصر صحيح البخاري/١٧٤٣]

۞ وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه؛ قال: أراد عثمان بن مظعون رضي الله عنه أنْ يَتَبَتَّلَ، فَنَهاهُ رسولُ الله ﷺ، ولو أجاز له ذلك؛ لاخْتَصَيْنا.

[مختصر صحيح مسلم/٧٩٦]

۞ وعن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قلتُ: يا رسول الله! أَرَأَيْتَ لو نَزَلْتَ وادياً وفيهِ شجرةٌ قدْ أُكِلَ منها، وَوَجَدْتَ شجراً لم يُؤْكل منها، في أيِّها كنتَ تُرْتِعُ بعيرَك؟ قال: «**في التي لم يُرْتَعْ مِنها**»؛ تعني: أنَّ رسول الله ﷺ لم يتزوجْ بِكْراً غيرها.

[مختصر صحيح البخاري/١٧٤٦]

۞ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال: «**تُنْكَحُ المرْأةُ لأربعٍ: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها؛ فاْظفرْ بذاتِ الدِّين تَرِبَتْ يداكَ**».

[مختصر صحيح البخاري/١٧٥٠]

۞ وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما؛ قال: نَهى رسول الله ﷺ أنْ تُنْكَحَ المرْأةُ على عمَّتِها أوْ خالتِها.

[مختصر صحيح البخاري/١٧٥٧]

۞ وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا، المرْأَةُ الصالحة**».

[مختصر صحيح مسلم/٧٩٧]

۞ وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنَّ رسول الله ﷺ نَهى عن الشِّغار، والشغارُ: أنْ يُزَوِّجَ الرجلُ ابْنَتَهُ على أنْ يُزوِّجَهُ الآخرُ ابْنَتَهُ، ليس بينهما صداق.

[مختصر صحيح البخاري/١٧٥٨]

۞ وعن عبدالرحمٰن بن شُماسَةَ؛ أنَّهُ سَمعَ عُقبةَ بن عامر رضي الله عنه

على المنبر يقول: إنَّ رسول الله ﷺ قال: **«المؤمنُ أخو المؤمنُ؛ فلا يحلُّ للمؤمن أنْ يبتاعَ على بيع أخيهِ، ولا يَخْطُبَ على خطبة أخيه، حتى يَذَرَ»**.

[مختصر صحيح مسلم/٨٠٠]

۞ وعن معقل بن يسار رضي الله عنه؛ قال: زوَّجْتُ أُخْتاً لي من رجل فطلَّقها، حتَّى إذا انْقَضَتْ عِدَّتُها؛ جاءَ يخطُبُها، فقلتُ له: زوَّجتُكَ وَفَرَشْتُك وأكْرَمْتُكَ، فطلَّقْتَها، ثُمَّ جِئتَ تخطبُها؟! لا والله؛ لا تعودُ إليك أبداً. وكان رجلاً لا بأسَ به، وكانتِ المرْأَةُ تريدُ أنْ تَرْجِعَ إليه، فأنزلَ اللَّهُ هذه الآية: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾. فقلتُ: الآنَ أفعَلُ يا رسولَ اللَّهِ! قال: فزوَّجها إيَّاهُ.

[مختصر صحيح البخاري/١٧٦١]

۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنَّ النَّبي ﷺ قال: **«الأيِّمُ أحقُّ بنفسها من وليِّها، والبكر تُستأذنُ في نفسها، وإذنُها صُماتُها»**.

[مختصر صحيح مسلم/٨٠٣]

۞ وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه؛ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إنَّ أحقَّ الشَّرْطِ أنْ يُوَفَّى بِهِ ما اسْتَحْلَلتم بهِ الفروج»**.

[مختصر صحيح مسلم/٨٠٤]

۞ وعن خنساء بنت خِذام الأنصارية رضي الله عنها؛ أنَّ أَباها زوَّجها وهي ثيِّبٌ، فكرهتْ ذلك، فأتَتْ رسول الله ﷺ، فردَّ نكاحه.

[مختصر صحيح البخاري/١٧٦٤]

۞ وعن عائشة رضي الله عنها؛ أنَّها زفَّت امْرأَةً إلى رجلٍ من الأنصار، فقال نبيُّ الله ﷺ: **«يا عائشةُ! ما كان معكم لهْوٌ؟ فإنَّ الأنصار يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ»**.

[مختصر صحيح البخاري/١٧٦٧]

❁ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من أشرِّ الناس عند الله منزلةً يومَ القيامة الرجلُ يُفضي إلى امرأتِهِ وتُفضي إليه، ثمَّ ينشُرُ سِرَّها**».

[مختصر صحيح مسلم/٨٣١]

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتاكم مَنْ تَرْضونَ خلقهُ ودينهُ فزوِّجوهُ، إنْ لا تفعلوا تكنْ فتنة في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ**».

[صحيح الجامع الصغير/٢٧٠]

❁ وعن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ألقَى الله في قلبِ امْرىءٍ خِطبةَ امرأةٍ، فلا بأسَ أنْ ينظرَ إليها**».

[صحيح الجامع الصغير/٣٨٩]

❁ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تزوج العبدُ فقد اسْتكملَ نِصْفَ الدِّين، فليتَّقِ اللَّهَ في النصف الباقي**».

[صحيح الجامع الصغير/٤٣٠]

❁ وعن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تخيَّروا لِنُطفِكم، فأنكحوا الأكفاءَ وأنكحوا إليهم**».

[صحيح الجامع الصغير/٢٩٢٨]

❁ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تزوَّجوا الأبكارَ، فإنَّهنَّ أعذبُ أفواهاً، وأنتقُ أرحاماً، وأرضَى باليسير**».

[صحيح الجامع الصغير/٢٩٣٩]

❁ وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تزوَّجوا الودود الولود، فإني مكاثرٌ بكم**».

[صحيح الجامع الصغير/٢٩٤٠]

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وهِزْلُهُنَّ جِدٌّ: النكاح، والطلاق، والرَّجعَةُ»**.

[صحيح الجامع الصغير/٣٠٢٧]

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة حقٌّ على الله تعالى عونهم: المجاهِدُ في سبيل الله، والمكاتب الذي يريدُ الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»**.

[صحيح الجامع الصغير/٣٠٥٠]

❁ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«حُبِّبَ إليَّ من دنياكم: النساء والطِّيب، وجُعلتْ قرَّةُ عيني في الصلاة»**.

[صحيح الجامع الصغير/٣١٢٤]

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«حقٌّ على الله عَوْنُ من نكح التماسَ العفافِ عما حرَّمَ اللَّهُ»**.

[صحيح الجامع الصغير/٣١٥٢]

❁ وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير النِّكاحِ أيْسَرهُ»**.

[صحيح الجامع الصغير/٣٣٠٠]

❁ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«عليكم بالأبكار، فإنَّهُنَّ أعذبُ أفواهاً، وأنتقُ أرحاماً، وأسخنُ أقْبالاً، وأرضَى باليسير من العمل»**.

[صحيح الجامع الصغير/٤٠٥٣]

❁ وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«فهلاَّ بِكْراً تُلاعِبُها وتُلاعبُك، وتُضاحكُها وتضاحكُكَ؟»**.

[صحيح الجامع الصغير/٤٢٣٣]

❁ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لم يُرَ للمتحابين مثل النِّكاح»**.

[صحيح الجامع الصغير/٥٢٠٠]

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تُزوِّج المرأةُ المرأةَ، ولا تزوِّجُ المرأةُ نفسها»**.

[صحيح الجامع الصغير/٧٢٩٨]

❁ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«لا نكاحَ إلا بِوَليّ، والسلطان وليُّ من لا وليَّ له»**.

[صحيح الجامع الصغير/٧٥٥٦]

❁ وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا نكاحَ إلا بِوَليّ، وشاهدين»**.

[صحيح الجامع الصغير/٧٥٥٨]

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تُنكحُ المرأة على عمتها، ولا العمة على بنت أخيها، ولا المرأة على خالتها، ولا الخالة على بنت أُختها، ولا تنكح الكبرى على الصغرى، ولا الصغرى على الكبرى»**.

[حديث صحيح رواه أبو داود في سننه/٢٠٦٥]

❁ وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما: جاء يوم القيامة وشِقُّهُ مائل»**.

[حديث صحيح رواه أبو داود في سننه/٢١٣٣]

❁ وعن محمد بن حاطب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«فصلُ ما بين الحلال والحرام؛ الدُّفّ والصَّوْتُ في النكاح»**.

[حديث حسن رواه النسائي في سننه/٣٣٦٩]

❁ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَن جاريةً بِكراً أَتَتِ النبيَّ ﷺ فذكرتْ له أنَّ أَباها زوَّجها وهي كارهة، فخيَّرَها النبيُّ ﷺ.

[حديث صحيح رواه ابن ماجه في سننه/١٨٧٥]

❁ وعن أبي هريرة؛ أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا رفَّأَ الإنسان، إذا تزوَّجَ قال: **«بارَكَ اللّهُ لكَ وبارَك عليك، وجمع بينكما في الخير»**.

[حديث صحيح رواه الترمذي في سننه/١٠٩١]

❁ وعن سعيد بن جبير قال: قال لي ابن عباس: هل تزوَّجتَ؟ قلتُ: لا؛ قال: تزوَّجْ، فإنَّ خير هذه الأُمَّة أكثرها نساءً.

[رواه أحمد والبخاري نيل الأوطار ٧/١٩١]

❁ وعن عائشة رضي الله عنها (أنَّ النبيَّ ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين، وأُدْخلتْ عليه وهي بنت تسع سنين، ومكثتْ عنده تسعاً).

[متفق عليه]

وفي رواية: (تزوجها وهي بنت سبع سنين، وزُفَّتْ إليه وهي بنت تِسْع سنين).

[رواه أحمد ومسلم]

النظر وغض البصر



النظر وغض البصر

* قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾.

[سورة النور/ ٣٠، ٣١]

* عن ابن بُريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا علي! لا تتبع النظرة النظرة، فإنَّ لك الأولى، وليستْ لك الآخرة**».

[حديث حسن رواه أبو داود في سننه/٢١٤٨]

* وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «**إنَّ الله كتب على ابن آدم حظَّهُ من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنَّى وتشتهي، والفرج يصدِّق ذلك ويُكذِّبه**».

[حديث صحيح رواه أبو داود في سننه/٢١٥١]

* وعن جابر، أنَّ رسول الله ﷺ رأى امرأةً فأعجبته، فأتى زينبَ فقضى منها حاجته، وقال: «**إنَّ المرأةَ تُقبِلُ في صورة شيطان، وتُدْبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحَدُكم امرأةً فأعجَبَتْهُ فليأتِ أهلَه، فإنّ ذلك يَرُدُّ مما في نفسه**».

[رواه مسلم/١٤٠٣، وأبو داود/٢١٥١، والترمذي/١١٥٨]

* عن المدائني، عن أشياخه قال: طلب داودَ بن عبدالله بعضُ أمراءِ

البصرة، فلجأَ إلى رجل من أَصحابه، وكان منزله أقصى البصرة، وكان الرجل غيوراً، فأنزلَهُ منزله، وكانت له امرأة يقال لها: زرقاء، وكانت جميلة، فخرج الرجل في حاجةٍ وأوصاها أن تُلْطِفَهُ وتخدِمَهُ، فلما قدِم الرجل قال له: كيف رأيتَ الزرقاء، وكيفَ كان لُطْفُها بك؟ قال: مَنِ الزرقاء؟ قال: أم منزلك. قال: ما أدري أزرقاء هي أم كحلاء! فأتاها زوجها فتناولها وقال: أوْصيتُكِ بداود أنْ تُلْطِفيه وتخدميه فلم تفعلي؟! قالت: أوصيتني برجل أعمى! والله ما رفع طَرْفَهُ إليَّ.

* عن أبي جابر الضبِّي، قال: قَدِمَتْ بنو كلاب البصرة، فأتيتُهم، فإذا عجوز معها صبيَّة لم أر أَجملَ منها، وأنا إذ ذاك غلام، فجعلتُ أُديمُ النظرَ إليها، وفطِنَت العجوز لنظري فقالت لي: يا بنيّ ما أحوجك إلى ما يكفّ بصرك! أما سمِعت قول الشاعر:

ومن يتَّبِعْ عينيهِ في النّاس لا يزلْ ... يرى حاجةً ممنوعةً لا ينالُها

قال: فانصرفتُ واللّهِ لم أجِزْ جواباً وفي قلبي مثل النَّار.

* عن يحيى بن سعيد، قال: كان عيسى ابن مريم يقول: النظر يزرعُ في القلب الشهوة، وكفى بها خطيئة.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: الشيطان من الرجل في ثلاثة منازل: في بصره وقلبه وَذَكَرِهِ، وهو من المرأة في ثلاثة منازل: في بصرها وقلبها وعَجُزِها.

* عن عطاء، قال: كل نظرة يهواها القلبُ فلا خير فيها.

* وقال سليمان عليه السلام لابنه: يا بنيَّ! امْشِ وراءَ الأسد والأسْوَد (أي: الحية)، ولا تمشِ وراءَ امرأة.

* وقال الحسن: من أَطلق طَرْفَهُ طالَ أَسَفُهُ.

* وقال ذو النون المصري: اللَّحظاتُ تُورثُ الحسَرات، أوّلها أَسَفٌ، وآخرها تَلَفٌ، فمن تابَعَ طرْفَهُ تابعَ حَتْفَهُ.

* وقال بعْضُ الحكماء: أولُ العشق النظر، وأول الحريق الشرر.

* حدَّثَ الفضلُ بن عاصم المنقري، قال: بينا رجلٌ يطوفُ بالكعبة، إذْ بَصُرَ بامرأةٍ ذات جمالٍ وقوام، فأفْتَنَتْهُ وشغلتْ قلبه، فأنشأ يقولُ:

ما كُنتُ أحسِبُ أنَّ الحُبَّ يعْرِضُ لي عند الطّوافِ بِبَيْتِ اللَّهِ ذي السُّتُرِ
حتَّى ابْتُليتُ فصارَ القلبُ مُخْتَبِلاً مِنْ حُبِّ جاريةٍ حَوْرَاء كالقَمَرِ
يا ليتني لم أكُنْ عايَنْتُ صُورتَها للَّهِ ماذا توخَّاني بِهِ بَصَرِي

* وقال بعض المتصوِّفة: شكوتُ إلى بعض الزُّهَّادِ فَسَاداً أجدُهُ في قلبي، فقال: هل نَظَرْتَ إلى شيءٍ فَتاقَتْ إليه نَفْسُكَ؟ قلتُ: نعم، قال: احْفَظْ عينَيْك فإنَّكَ إنْ أطْلقتَهما أوْقعتاكَ في مكروه، وإنْ مَلَكْتَهما مَلَكْتَ سائِرَ جوارِحِكَ.

[دولة النساء للبرقوقي]

* مرَّتْ امرأة بقومٍ من بني نمير فرشقوها بأبصارهم وأداموا النظر إليها، فقالت: قبّحكَم الله يا بني نمير، فوالله ما أخذتم بقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ [سورة النور/٣٠]؛ ولا بقول الشاعر:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّك من نمير فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلاَبا

فخجل القوم مما قالت وأطرقوا.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

* وقال عيسى عليه السلام: لا يزني فرجُك ما غَضَضْتَ بصرَك.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

* وقال رجل لأخيه: احْتفظْ من العين، فإنها أنمُّ عليك من اللسان.

[المرجع السابق]

* قال إسحاق بن بهيل: رأيتُ رجلاً في طريق مكة وعديله في المحمل

جارية قد شدَّ عينَيْها وكشف سائر وجهها، فقلت له في ذلك، فقال: إنما أخاف عينيها لا عيون الناس.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

* وقال أحمد شوقي:

نَظْرةٌ فٱبْتِسَامةٌ فَسَلامٌ فكلامٌ فَمَوْعِدٌ فَلِقَاءُ
ففراقٌ يكُونُ فيهِ دواءٌ أو فراقٌ يكونُ منه الداءُ

* وقال عنترة العبسي:

وأغُضُّ طَرْفي إنْ بَدَتْ لي جارَتي حَتَّى يُوارِي جَارَتي مَأْواها

* وقال مسكين الدارمي:

ما ضُرَّ لي جارٌ أُجاوِرُهُ أنْ لا يكونَ لِبابِهِ سِتْرُ
أَعْمَى إذا جارَتي خَرَجَتْ حتَّى يُوارِي جارتي الخِدْرُ
وتصِمُّ عمَّا بَيْنَهم أُذُني حَتَّى يصيرَ كأنَّهُ وَقْرُ

* قال الفرزدق:

تَزَوَّدَ مِنْها نَظْرَةً لمْ تَدَعْ لَهُ فُؤاداً ولمْ يَشْعُرْ بما قَدْ تَزَوَّدا
فلمْ أرَ مقتُولاً ولمْ أرَ قاتِلاً بِغيرِ سِلاحٍ مِثْلَها حين أقْصَدا(١)

[روضة المحبين لابن القيم]

* وأنشد الدُّولابِيّ:

قلبي يقولُ لِطَرْفي هِجْتَ لي سَقَماً والعينُ تَزْعُمُ أَنَّ القلبَ أَبْكَاها
والجِسْمُ يَشْهَدُ أنَّ العينَ كاذِبةٌ هي التي هَيَّجَتْ للقلْبِ بَلْواها
لولا العيونُ وما تَجْنَيْنَ مِنْ سَقَمٍ ما كُنْتُ مُطَّرَحاً في سُرَّ مَنْ رآها

(١) أقصد: أصاب فقتل: أي أصابته بسهم عينيها فتيمته.

❋ وقال ابن المعتز:

مُـتَـيَّـمٌ يَـرْعَـىٰ نـجـومَ الـدُّجَـى   يـبـكـي عـلـيـهِ رحـمـةً عـاذِلُـهْ
عَيْني أشاطَتْ بِدَمِي في الهَوَى   فـأَبْـكُـوا قـتـيـلاً بـعـضُـهُ قـاتِـلُـهْ

❋ وقال المتنبي:

وأنـا الـذي ٱجْـتَـلَـبَ الـمَـنِـيَّـةَ طَـرْفُـهُ   فَمَنِ المُطالَبُ والقَتِيلُ القاتلُ!

❋ قال الأصمعي: رأيتُ جاريةً في الطواف كأنها مَهَاةٌ، فجعلتُ أنظر إليها وأملأ عينيَّ من محاسنها فقالت لي: يا هذا ما شأنك؟ قلتُ: وما عليكِ من النظر؟ فأنشأتْ تقول:

وكُنْتَ مَتَى أرْسَلْتَ طَرْفَكَ رائداً   لـقـلـبـك يـومـاً أتْـعَـبَـتْـكَ الـمـنـاظِـرُ
رأيـتَ الـذي لا كُـلُّـهُ أنْـتَ قـادرٌ   عـلـيـهِ ولا عَـنْ بـعـضِـهِ أنْـتَ صـابِـرُ

[روضة المحبين لابن القيم]

❋ وكان عند بعض القرشيين امرأَةٌ عربيةٌ، ودخل عليها خصيٌّ لزوجها وهي واضعةٌ خِمارها، فحلقتْ رأسها وقالت: ما كان لِيَصْحَبَني شعرٌ نظر إليهِ غيرُ ذي محْرم.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❋ وقال الشاعر:

كُـلُّ الـحـوادثِ مَـبْـداهـا مِـنَ الـنَّـظَـرِ   ومُعْظَمُ النار من مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
كَمْ نَظْرَةٍ فَتَكَتْ في قلب صاحبها   فَـتْـكَ الـسِّـهـامِ بِـلا قَـوْسٍ ولا وَتَـرِ
والـمَـرْءُ مـا دام ذا عَـيْـنٍ يُـقَـلِّـبُـهـا   في أَعْيُنِ الغِيدِ مَوْقُوفٌ على الخَطَرِ
يَـسُـرُّ مُـقْـلَـتَـهُ مـا ضَـرَّ مُـهْـجَـتَـهُ   لا مَـرْحـبـاً بِـسُـرورٍ عَـادَ بـالـضَّـرَرِ

[روضة المحبين لابن القيم]

* وقال الوزير أبو شجاع:

لأُعَذِّبَنَّ العينَ غيرَ مُفَكِّرٍ فيها جَرَتْ بالدَّمْعِ أم فاضَتْ دَمَا
ولأهْجُرنَّ من الرُّقادِ لذيذَهُ حتَّى يصيرَ على الجفونِ مُحَرَّما
سَفَكَتْ دَمي فلأسْفِكَنَّ دموعَها وهي التي بدأتْ فكانتْ أَظْلَمَا
هي أوْقَعَتْني في حبائِلِ فِتْنَةٍ لوْ لمْ تَكُنْ نَظَرَتْ لَكُنْتُ مُسَلَّمَا

* عن الأصمعي، قال: قلتُ لأعرابي: صِفِ الحبَّ، فقال: هو نَبْتٌ بذرُهُ النظر، وماؤه المُزاورة، ونماؤه الوَصْل، وقِلَّته الهَجْر، وحصادُهُ التَّجَنِّي.

* وقال ابن المعتز:

وَمَا أَدْري إذا ما جَنَّ لَيْلٌ أَشَوْقاً في فُؤادي أَمْ حَريقا
أَلاَ يا مُقْلَتَيَّ دَهَيْتُماني بِلَحْظِكُمَا فَذُوقا ثُمَّ ذُوقا

* وقال ابن الخِفَاجيّ:

رَمَتْ عينُها عَيْنَيَّ وراحَتْ سليمةً فَمَنْ حاكمٌ بين الكحِيلةِ والعَبْرَى[(١)]؟
فيا طَرْفُ قَدْ حذَّرْتُكَ النظرةَ التي خَلَسْتَ فما راقَبْتَ نَهْياً ولا زَجْرا
ويا قلبُ قد أرْدَاكَ مِن قبلُ مَرَّةً فَوَيْحَكَ لِمَ طاوعْتَهُ مَرَّةً أُخْرى[(٢)]؟

* وقال عبدالمُحْسن بن غالب الصُّوري:

فعَرَّضَتْني فلو أنِّي على حَذَرٍ لمْ يَحْتكمْ ناظري في لَذَّةِ النَّظَرِ
وكُنْتُ أُغْضِي ولا أَقْضِي لهُ وَطَراً منها لِعِلْمِي بِعُقْبَىٰ ذلك النَّظَرِ
والمَرْءُ ما دامَ ذا عَيْنٍ يُقلِّبُها في أعْيُنِ العِينِ مَوْقُوفٌ على الخَطَرِ[(٣)]

---

(١) العَبْرىٰ: العين الباكية.
(٢) أرداك: قتلك.
(٣) أعين العِين: الذي عظم سوادُ عينه في سعة، ويقصد ذوات الأعين الواسعة السود.

يَسُرُّ مُقْلَتَهُ ما ضَرَّ مُهْجَتَهُ   لا مَرْحباً بسُرُورٍ عادَ بالضَّرَرِ

* وقال خالد الكاتب:

يا ربِّ ماذا جَنَتْ عَيْني على بَدَني   مِنَ السَّقام فَلَيْتَ العينَ لم تكنِ
لَمْ تذهبِ النفسُ إلا عند لحْظَتِها   وحَسْبُها أنْ تَرَى المملوكَ يملِكُني
جِسْمِي ورُوحي مقرونانِ في قَرَنِ   موكّلانِ بطُولِ السَّقْمِ والحَزَنِ

* وقال محمد العُصْفُري: دخل أصبهانَ قَوّالٌ، وكان يُغنّي بهذه الأبيات:

سَمَاعاً يا عبادَ الله مِنّي   ومِيلُوا عن مُلاحَظَةِ المِلاَحِ
فإنَّ الحُبَّ آخرُهُ المنايا   وأوّلُهُ شَبيهٌ بالمِزاحِ

* وأنشد أبو بدر محمد بن علي الأصبهاني:

وشادنٍ لمّا بَدا   أسْلَمَني إلى الرَّدَى(١)
بطَرْفِهِ وظَرْفِهِ   ولُطْفِهِ لمَّا بَدا(٢)
أَرَدْتُ أنْ أَصِيدَهُ   فَصَادَ قَلْبي وَعَدا

[روضة المحبين لابن القيم]

* وقال الكرْماني: من عمر ظاهرَه باتّباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغضَّ بصرَه عن المحارم، وكفَّ نفسَه عن الشهوات، وأكل من الحلال، لم تخطِئ فراسته.

[روضة المحبين لابن القيم]

* وقال ابن مرداس:

نظرُ العيونِ إلى العيونِ هو الذي   جَعَلَ الهلاكَ إلى الفؤادِ سبيلا

---

(١) الشادن: الغزال إذا قوي وطلع قرناه.
(٢) ظرفه: كياسته.

ما زالتْ اللَّحَظَاتُ تَغْزُو قَلْبَهُ حتى تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قتيلا

[روضة المحبين لابن القيم]

* وقال ابن القيم:

ألم أقلْ لكَ لا تُسْرفْ ملاحظةً فسارقُ اللحظ لا ينجو مِنَ الدَّرَكِ
نَصَبْتُ طَرْفي له لما بَدا شَرَكاً فكانَ قلبيَ أوْلَى مِنْهُ بالشَرَكِ

[المرجع السابق]

* وقيل: مَن سَرَّحَ ناظره، أتعبَ خاطره، ومن كثرتْ لحظاته، دامتْ حسراته، وضاعتْ عليه أوقاته، وفاضَتْ عبراته.

[المرجع السابق]

* جلس موسى بن إسحاق قاضي الري والأهواز في القرن الثالث الهجري ينظر في قضايا الناس، وكان بين المتقاضين امرأة ادّعتْ على زوجها أنَّ عليه خمسمائة دينار مهراً لها، فأنكر الزوج أنّ لها في ذمَّته شيئاً.

فقال له القاضي: هات شهودك.

فقال: قد أحضرتهم.

واستدعى القاضي أحدهم وقال له: انظر إلى الزوجة لتشير إليها في شهادتك، فقام الشاهد وقال للزوجة: قومي. فقال الزوج: ماذا تريدون منها؟ فقيل له: لا بد أن ينظر الشاهد إلى امرأتك وهي مسفرة لتصح عنده معرفته بها. فكره الرجل أنْ تضطر زوجته إلى الكشف عن وجهها للشهود أمام الناس، فصاح: إني أشهد القاضي على أنَّ لزوجتي في ذمَّتي هذا المهر الذي تدعيه ولا تسفر عن وجهها.

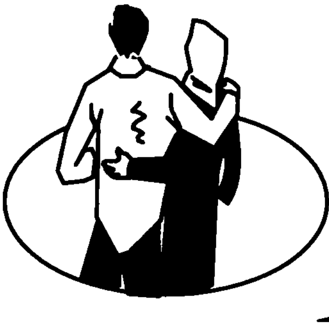
فلما سمعت الزوجة ذلك أكبرتْ في رجلها أنَّه يضنُّ بوجهها على رؤية الشهود، وأنه يصونها عن أعين الناس.

فصاحت تقول للقاضي: إني أُشْهدك على أنّي قد وهبتُ له هذا المهر، وأبْرأتُهُ منه في الدنيا والآخرة.

فقال القاضي لمن حوله: اكتبوا هذا في مكارم الأخلاق.

[تاريخ بغداد للخطيب البغدادي]

المهـــور



المهور

❁ قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾.

[سورة النساء/٤]

❁ وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾.

[سورة النساء/ ٢٠، ٢١]

❁ وقال سبحانه: ﴿...فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً...﴾.

[سورة النساء/٢٤]

❁ وقال سبحانه: ﴿...فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ...﴾.

[سورة النساء/٢٥]

❁ وقال سبحانه: ﴿... إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ...﴾.

[سورة المائدة/٥]

❁ وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ...﴾.

[سورة الأحزاب/٥٠]

❁ وقال سبحانه: ﴿... وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ...﴾.

[سورة الممتحنة/١٠]

❁ ❁ ❁

﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾

هذه الآية دليل على جواز المغالاة في المهور، لأن الله تعالى لا يمثل إلا بمباح. وخطب عمر رضي الله عنه فقال: ألا لا تغالوا في صَدُقاتِ النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أوْ تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ؛ ما أصدق قطّ امرأة من نسائهِ ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقية. فقامتْ إليه امرأة فقالت: يا عمر! يعطينا الله وتحرمنا! أليسَ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾، فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر. وفي رواية: فأطرق عمر ثم قال: كل الناس أفقهُ منك يا عمر!

وفي أخرى: امرأة أصابتْ ورجل أخطأ.

[تفسير القرطبي ٥/٩٩]

❁ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ عبدالرحمٰن بن عوف جاء إلى النبي ﷺ، وبه أثَرُ الصُّفرة، فسأله رسول الله ﷺ؟ فأخبرهُ أنَّهُ تزوج امرأةً من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: **«كم سُقْتَ إليها؟»**، قال: زِنَةَ نواةٍ من ذهب، قال رسول الله ﷺ: **«أوْلِمْ ولَوْ بشاةٍ»**.

[حديث صحيح رواه النسائي في سننه/٣٣٥١]

❁ وعن ابن عباس، قال: لما تزوج علي رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنها، قال له رسول الله ﷺ: **«أعطِها شيئاً»**، قال: ما عندي، قال: **«فأين درعك الحُطميَّة؟»**.

[حديث صحيح رواه النسائي في سننه/٣٣٧٦]

❁ عن سهل بن سعد، قال: جاءَتْ امرأةٌ إلى النبي ﷺ، قال: «**من يتزوجها؟**»، فقال رجل: أنا، فقال له النبي ﷺ: «**أعطِها ولو خاتماً من حديد**»، فقال: ليس معي، قال: «**قد زوَّجْتُكَها على ما معك من القرآن**».

[حديث صحيح رواه ابن ماجه في سننه/١٨٨٩]

❁ وعن أنسٍ قال: صارت صفية لِدحية الكلبي، ثم صارتْ لرسول الله ﷺ بعدُ، فتزوجها وجعل عتقها صداقها. قال حماد: فقال عبدالعزيز لثابت: يا أبا محمدٍ! أنت سألتَ أنساً: ما أمهرها؟ قال: أمهرها نفسها.

[حديث صحيح رواه ابن ماجه في سننه/١٩٥٧]

❁ وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الصَّداق أيْسَرَهُ**».

[صحيح الجامع الصغير/٣٢٧٩]

❁ وعن أنس رضي الله عنه، قال: خطب أبو طلحة أُمَّ سُلَيْم، فقالت: والله ما مِثلك يا أبا طلحة يُرَدُّ! ولكنَّكَ رجل كافر، وأنا امرأةٌ مسلمة، ولا يحلُّ لي أنْ أتزوَّجكَ، فإنْ تُسْلِمْ فذاك مهري، وما أسألُكَ غيرُه، فأسلمَ، فكان ذلك مهرها. قال ثابت: فما سمعتُ بامرأةٍ قطُّ، كانت أكرمَ مهراً من أم سُلَيْم ـ الإسلام ـ فدخل بها، فولدتْ له.

[حديث صحيح رواه النسائي في سننه/٣٣٤١]

❁ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تغلوا صُدق النساء، فإنَّها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى في الآخرة كان أولاكم بها النبي ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه، ولا أُصْدِقَتْ امرأةٌ من بناته أكثر من ثنتي عشرة أُوقية.

[رواه الخمسة وصححه الترمذي]

❁ وقال أبو العلاء المعري:

مهرُ الفتاةِ إذا غلا صَوْنٌ لها ... من أنْ يَبِتَّ عشيرُها تطليقَها
هَوِيَ الفِراقَ وَخَافَ مِنْ إغرامِهِ ... فأَدامَ في أسبابِهِ تَعْلِيقَها
ولربَّما وَرِثَتْهُ أو سَبَقَتْ بها ... أقْدارُ ميتتها فكانَ طَليقَها

❁ وقال عُروة بن الزبير: أوَّلُ شُؤم المرأةِ كَثْرَةُ صداقها.

❁ وقال رجل لحكيم: إنّي أُريدُ أنْ أتزوّج؟ فقال: كم المَهْرُ؟ قال: مائة دينار، قال: لا تَفْعَلْ، تَزَوّجْ بعشرةِ دنانير فإنْ وَافَقَتْكَ رَبِحتَ تِسْعين، وإن لم تُوافِقْكَ تَزَوَّجْتَ بعَشرة أُخرى. ولا بُدَّ في عَشْرِ نِسْوَةٍ من امرأةٍ تُوَافِقُكَ.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

❁ وتَزَوَّجَ مُصْعَبُ بن الزُّبير سُكَيْنَةَ بنت الحسين بن علي بن أبي طالب وعائشة بنت طلحة فأمْهَرَ كلَّ واحدةٍ منهما بألْفِ ألْفِ درهم.

❁ وعن المطلب بن أبي وداعة السَّهْمي قال: زوَّجَ سعيد بن المسيّب ابنته على درهمين.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المهور: لو كان المهرُ سناءً ورفعةً في الآخرة، كانت بنات النبي ﷺ ونساؤه أحقُّ بذلك.

[حياة الصحابة للكاندهلوي]

❁ ❁ ❁

❁ (الأعرابي وعبدالملك)

❁ قال أبو عبيدة: كان بأرض الحجاز رجل له ابنة جميلة فهويها ابنُ عمٍّ لها، فبذل لها أربعة آلاف درهم، فأبىٰ أبوها أن يزوجها منه، وأجْدَبَتْ البادية، فدخل ابن عمها على عمه ذات يوم، فشكا إليه ما يلقَى. فقال له: قد

كنتَ بذلتَ لنا أربعة آلاف درهم، فأعطنا إياها، فأنتَ أحبُّ إلينا لقرابتك. قال له: أجِّلني شهراً. فأجّلَهُ، ولم يكن مع الفتى إلا ناقة، فركبها ومضى إلى عبدالملك بن مروان، فطلب الإذن فلم يُؤذن له. فقال: إني رسول فلان عامل أمير المؤمنين على الحجاز. فأدخل عليه من ساعته. قال: معك كتاب من فلان؟ قال: لا. قال: فرسالة؟ فأنشأ يقول:

ماذا يقولُ أميرُ المؤمنينَ لمنْ ... أدْلَى إليكَ بلا قُرْبَى ولا سَبَبِ
مُدَلَّهٌ عَقْلُهُ مِنْ حُبِّ جاريَةٍ ... مَوْصُوفَةٍ بِكَمَالِ الحُسْنِ والأَدَبِ
خَطَبْتُها إذْ رأَيْتُ الناسَ قد لَهَجُوا ... بِذِكْرِها والهَوَى يَدْعُو إلى العَطَبِ
فَقُلْتُ لي حَسَبٌ زاكٍ ولِي شَرَفٌ ... قالوا الدراهمُ خَيْرٌ مِن ذوي الحَسَبِ
إنَّا نُريدُ أُلُوفاً مِنْكَ أرْبَعَةً ... ولَسْتُ أمْلُكُ غَيْرَ الحِسِّ والقَتَبِ(١)
فامْنُنْ عليَّ أميرَ المؤمنين بِها ... واجْمَعْ بها شَمْلَ هذا البائسِ العرِبِ(٢)
فما وراءَكَ بَعْدَ اللَّهِ مُطَّلَبٌ ... أنْتَ الرجاء وأقْصَى غاية الطَّلَبِ

فضحك عبدالملك بن مروان وأمر له بأربعة آلاف درهم، وقال: هذا صداقُ أهلكَ، وزاده أربعة أُخرى وقال له: أوْلِمْ بهذه، وأنفق عليها منها. فقبضها ومضى، فتزوَّجَ بالجارية.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ ❋ ❋

(قصة الأعرابي وابنة عمه)

كان إسحاق بن سليمان بن علي شاباً ظريفاً، محبّاً للشعر، فخرج ذات يوم، وأبوه يلي البصرة، لأبي جعفر المنصور، متنزهاً إلى ناحية البَادية. فلقي أعرابياً فصيحاً إلا أنّه شاحب اللون، مصفرّاً،

(١) الحِسّ: المشاعر. القتب: رحل البعير.
(٢) العرِب: الفصيح الذي أفصح عما في نفسه.

ظاهر النحول فاسْتنشده، فمضى عنه، فقال له: ما بالك؟ فوالله، إنّك لفصيح! قال له: أما ترى الجبلين؟ قال: قلت: بلى. قال: في طلابهما ما شغلني عن إنشادك. قلتُ: وما ذاك؟ قال: ابنة عمٍّ لي قد تيَّمتْني، وأذهلتْ عقلي، وتالله إنَّه يأتي عليَّ لا أدري أفي السماءِ أنا أم في الأرض. قال: قلتُ: وما يَمْنعُك منها؟ قال: قِلّ ذات يدي. قلتُ: وكم مهرها؟ قال: خمسون ناقة. قال: قلتُ: فيزوّجونكَ إذا دفعتها؟ قال: نعم. فقلتُ له: أنشد لي مما قلتَ فيها! فأنشدني:

سعَى العَلَمُ الفردُ الذي في ظلالِه غزالان مكحولان يرتعيانِ[١]
أرغتهُما صيداً فلم أسْتطعْهما وخبْلاً ففاتاني وقد خَبَلاني[٢]

قال: فقلتُ له: يا أعرابي! لقد قتلتني بقتلك، فنفيتُ من العباس إنْ لم أقمْ بأمرك. فرجع إلى البصرة فأخذ جماعة من أهله وما احتاج إليه، وحمل معه الأعرابي، وسار إلى الجارية فخطبها إلى الفتى، فزوَّجه، وساقَ إليه خمسين ناقةً وأقام عندهم ثلاثة أيام نحر فيها ثلاثين جزوراً، ووهب للأعرابي وللجارية مثل ذلك، وانصرف إلى البصرة.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❁ قال بعض نقلة الأخبار: أصدق عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي أربعين ألفاً، وأصدق عبدالله بن عمر ابنة أبي عبيد أخت المختار عشرة آلاف درهم، وأصدق محمد بن سيرين امرأته السَّدوسية عشرة آلاف درهم.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

---

(١) العَلَم: السيد.
(٢) أرعتهما: من الروْع وهو الخوف. والخبل: فساد العقل.

۞ وعن عروة، عن أم حبيبة (أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّجها وهي بأرض الحبشة، زوَّجها النجاشي وأمهرها أربعة آلاف وجهزها من عنده وبعث بها مع شرحبيل ابن حسنة ولم يبعث إليها رسول الله ﷺ بشيء، وكان مهر نسائه أربعمائة درهم).

[نيل الأوطار ـ رواه أحمد والنسائي]

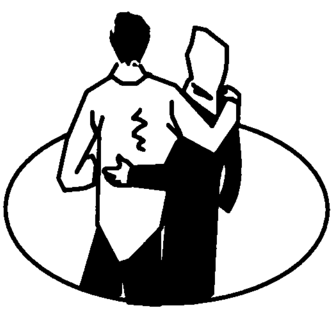
۞ وقد رخَّص عمر رضي الله عنه في المهور: أن تُصْدق المرأة ألفين، ورخَّص عثمان رضي الله عنه في أربعة آلاف، وتزوج ابن عمر رضي الله عنهما صفية رضي الله عنها على أربعمائة درهم، فأرسلت إليه أنَّ هذا لا يكفينا، فزادها مائتين سرّاً من عمر.

[حياة الصحابة للكاندهلوي]

۞ وعن ابن سيرين قال: تزوّج الحسن بن علي رضي الله عنهما امرأة، فأرسل إليها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم.

[المرجع السابق]

زواج الأكفاء



زواج الأكفاء

۞ عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ أَبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة رضي الله عنه، كان ممن شهد بدراً مع النبي ﷺ، تبنَّى سالماً، وأنكحه بنت أخيه هند بنت الوليد بن عتبة، وهو مولى لامرأةٍ من الأنصار.

[رواه البخاري والنسائي وأبو داود]

۞ وعن حنظلة بن أبي سفيان الجمحي عن أُمه قالت: رأيتُ أخت عبدالرحمٰن بن عوف تحت بلال.

[رواه الدارقطني]

۞ قال الخطابي: إنَّ الكفاءة معتبرة في قول أكثر العلماء بأربعة أشياء: الدين، والحرية، والنسب، والصناعة.

۞ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون خُلُقَهُ ودينَهُ فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكُنْ فتنةٌ وفسادٌ عريض**».

[حديث حسن رواه ابن ماجه في سننه/١٩٦٧]

۞ وعن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تخَيَّروا لنُطفِكم وانكِحوا الأكْفاءَ وأنكِحُوا إليهم**».

[حديث حسن رواه ابن ماجه في سننه/١٩٦٨]

۞ وقيل لحكيم: فلان يخطب فلانة، قال: أمُوسِرٌ من عَقْلٍ ودين؟ قالوا: نعم. قال: فزوِّجُوهُ.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

۞ وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: الكفاءة في الدِّين.

[نيل الأوطار للشوكاني]

۞ وقال الإمام ابن القيم في كتابه: (زاد المعاد): فالذي يقتضيه حكمه ﷺ اعتبار الدين في الكفاءة أصلاً وكمالاً، فلا تُزوَّج مسلمة بكافر، ولا عفيفة بفاجر، ولم يعتبر القرآن والسنة في الكفاءَة أمراً وراء ذلك، فإنه حرَّم على المسلمة نكاح الزاني الخبيث، ولم يعتبر نسباً ولا صناعة، ولا غنًى ولا حريَّةً، فجوَّز للعبد القِنِّ نكاح الحُرَّة النسيبة الغنيَّة إذا كان عفيفاً مسلماً، وجوَّز لغير القرشيين نكاح القرشيات، ولغير الهاشميين نكاح الهاشميَّات، وللفقراء نكاح الموسرات.

[زاد المعاد لابن القيم]

۞ خطب رجلٌ ابنة الحسن البصري وبذلَ لها مائة ألف درهم فقالت أمها: زوِّجْه، فقد أرغبها في الصداق وبذل لها ما ترى، فقال الحسن: إنَّ رجلاً بذل في صداق امرأةٍ مائة ألف لجاهل مغرور يجب أن لا يرغب في مناكحته ولا يحرص على مصاهرته، وترك تزويجه، وزوَّجها من رجل صالح.

[كتاب الزهد للحسن البصري]

۞ وقال رجل يذكر امرأةً زُوِّجتْ من غير كُفْءٍ:

لقد فَرِحَ الواشون أنْ نال ثعلبٌ   شبيهةَ ظبْيٍ مُقْلتاها وجيدُها
أضرَّ بها فَقْدُ الوَلِيِّ فأَصْبَحَتْ   بِكَفٍّ لئيمِ الوالدينِ يقُودُها

[الكامل في اللغة والأدب]

۞ وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال لها: «**انكحي**

أسامة» [رواه مسلم]. وفاطمة قرشية فهرية أخت الضحاك بن قيس، وهي من المهاجرات الأُول، كانت ذات جمالٍ وفضل وكمال، جاءَت إلى رسول الله ﷺ بعد أن طلَّقها أبو عمرو بن حفص بن المغيرة بعد انقضاء عدتها منه، فأخبرته أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباها، فقال رسول الله ﷺ: «**أمّا أبو جهم فلا يضعُ عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد**» الحديث.

فأمرها بنكاح أسامة، مولاه ابن مولاه وهي قرشيَّة، وقدّمه على أكفائها ممن ذكر، فلا عبرة في الكفاءَة بغير الدِّين.

[سبل السلام للإمام الكحلاني]

❁ وسئل الإمام علي رضي الله عنه عن حكم زواج الأكفاء، فقال: الناس بعضهم أكفاء لبعض، عربيهم وعجميهم، قرشيّهم وهاشميّهم إذا أسلموا وآمنوا.

[فقه السنة لسيّد سابق]

❁ وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: إنّما النكاح رقٌّ، فلينظر امرؤٌ مَنْ يُرِقُّ كريمته.

[الكامل في اللغة والأدب للمبرد]

❁ وعن عائشة رضي الله عنها، وعن عمر رضي الله عنه قال: لأَمْنعنَّ تزوج ذوات الأحساب إلا من الأكِفّاء.

[نيل الأوطار للشوكاني]

❁ عن عمرو بن ميمون، عن أبيه: أنَّ أخاً لبلال كان ينتمي إلى العرب، ويزعم أنه منهم، فخطب امرأةً من العرب، فقالوا: إن حضرَ بلال زوَّجناك، قال: فحَضَرَ بلال فتَشهَّدَ وقال: أنا بلال بن رباح وهذا أخي، وهو امرؤ سوءٍ في الخُلُقِ والدِّينِ، فإنْ شِئْتُم أنْ تزوّجوه، وإنْ شئتُم أنْ تَدَعُوا فَدَعُوا، فقالوا: من تكون أخاه نزوّجه، فزوّجوه.

[حياة الصحابة للكاندهلوي]

۞ وقال ابن تيمية: ومن كان مُصِرّاً على الفسوق لا ينبغي أن يزوَّج.

[فقه السنة لسيد سابق]

۞ وقال الإمام الغزالي: على الوليّ أيضاً أن يُراعي خِصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خُلُقُه أو خَلْقُه أو ضعف دينه أو قصر عن القيام بحقها أو كان لم يكافئها في نسبها، ومهما زوَّج ابنته ظالماً أو فاسقاً أو مبتدعاً أو شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرَّضَ لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسُوءِ الاختيار.

[موعظة المؤمنين للقاسمي]

۞ قال رجل للحسن: قد خطب ابنتي جماعة فمِمَّنْ أزوِّجها؟ قال: ممن يتقي الله، فإنْ أحبَّها أكرمها، وإنْ أبغضها لم يظلمها.

[المرجع السابق]

۞ وقد صَحَّ أنّ بلالاً نكح هالة بنت عوف أخت عبدالرحمٰن بن عوف، وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على سلمان الفارسي.

[سبل السلام للكحلاني]

۞ وزوَّج أبو حذيفة سالماً من هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وهو مولى لامرأةٍ من الأنصار.

[فقه السنة لسيد سابق]

۞ وخطب لَقِيطُ بن زُرَارَةَ إلى قيس بن خالد ذي الجدَّيْنِ الشَّيْباني، فقال له قيس: ومن أنتَ؟ قال: لقيط بن زُرَارة، قال: وما حملَكَ أن تخطبَ إليَّ عَلانيَةً؟ فقال: لأني عرفتُ أني إنْ عالنْتُكَ لم أفضحْك، وإنْ سارَرْتُكَ لم أخدَعْكَ. فقال: كفءٌ كريم، لا تبِيتُ واللّٰهِ عَزَباً ولا غريباً، فزوَّجَهُ ابنته وساق عَنه (أي: دفع عنه المهر).

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ وخَطَبَ عُمَرُ بنُ الخطَّاب أُمَّ أبانٍ بنتَ عُتْبةَ بن ربيعَة، بعد أنْ مات عنها يزيد بنُ سُفيان، فقالتْ: لا يَدْخُلُ إلا عابساً، ولا يَخْرُجُ إلا عابِساً، يُغْلِقُ أبْوابَهُ ويُقِلُّ خَيْرَهُ؛ ثُمَّ خَطَبَها الزُّبَيرُ، فقالت: يدٌ له على قُروني ويَدٌ له في السَّوْطِ، وخطبها عليٌّ، فقالت: ليس للنساء مِنْه حَظٌّ، إلاّ أنْ يَقْعُدَ بين شُعَبِهِنَّ الأرْبع لا يُصِبْنَ منه غيره، وخطبها طلحَةُ فأجابتْ، فتزوَّجَها، فدَخَلَ عليها عليٌّ بن أبي طالب فقال لها: رَدَدْتِ مَن رَدَدْتِ منا وتزوَّجتِ ابن بنتِ الحضْرَميّ! فقالَت: القضاءُ والقَدَرُ، فقال: أما إنّكِ تزوَّجْتِ أجْمَلَنا مَرْآةً، وأجْوَدَنا كفّاً وأكثَرَنا خيراً على أهلِهِ.

[دولة النساء للبرقوقي]

❁ وقيل لابنة الخُسّ ـ وهي هند ابنة الخُسّ الإيادية التي اشتهرت بفصاحتها ـ: ألا تتَزَوَّجين؟ فقالت: بلى، لا أرِيدُهُ أخا فلان ولا ابن فلان ولا الظريف المتظرِّف ولا السَّمين الألْحم، ولكن أُريدُهُ كَسُوباً إذا غدا، ضَحُوكاً إذا أَتَىٰ.

[دولة النساء للبرقوقي]

❁ ❁ ❁

(غَرَرْتَ القَوْم!)

❁ تَزَوَّجَ رَجُلٌ على عهد عُمَر، وكان قد خَضَبَ لحْيَتَهُ، فنَصَلَ خِضابُهُ ـ زال خضابه ـ فاسْتَعْدَى عليه أهلُ المرأة عُمَرَ، وقالوا: حَسِبْناهُ شابّاً! فأوجَعَهُ عُمَرُ ضرباً وقال له: غَرَرْتَ القَوْم!

[دولة النساء للبرقوقي]

❁ وقال أعرابي في المرأة الكريمة تُزَوَّج من وَغْدٍ لئيم:

أيَا عَمْرو كم مِنْ مُهْرَةٍ عَرَبِيَّةٍ ... من الناس قد بُلِيَتْ بِوَغْدٍ يقُودُها

يَسُوسُ وما يدري لها مِنْ سياسةٍ ... يُريدُ بِها أشْياءَ لَيْسَتْ تُرِيدُها

❁ وقال رجل يذكر امرأةً زُوِّجَتْ عن غَيْر كُفءٍ:

لقد فَرِحَ الواشونَ أنْ نالَ ثَعْلَبٌ شَبِيهَةَ ظَبْيٍ مُقْلَتَاهَا وَجِيدُها
أَضَرَّ بِها فَقْدُ الوَلِيِّ فأصْبَحَتْ بِكَفِّ لئيمِ الوالدَيْنِ يَقُودُها

[ثعلب: هو زوجها].

❊ ❊ ❊

(وافق شَنٌّ طَبَقَة)

❁ كان رجلٌ من دُهاة العرب وعقلائهم يُقال له: شَن، فقال: والله لأَطُوفَنّ حتّى أجدَ امرأةً مثلي أتزوّجُها. فبينما هو في بعض مسيره إذْ رافقه رجلٌ في الطريق، فسأله شَنٌّ: أين تُريد؟ فقال: موضع كذا، يريد القرية التي يقصدها، فوافقه حتّى إذا أخذا في مسيرهما، قال له شَنّ: أتحملُني أمْ أحملكَ؟ فقال له الرجل: يا جاهل، أنا راكبٌ وأنتَ راكبٌ، فكيف أحْمِلُكَ أو تحملني؟ فسكتَ عنه شَنّ.

وسارا حتَّى إذا قَرُبا من القرية، إذا بزرعٍ قد اسْتَحْصَدَ، فقال شَنّ: أترى هذا الزرع أُكِلَ أمْ لا؟ فقال له الرجل: يا جاهل! ترى نَبْتاً مُسْتَحْصِداً فتقول: أُكِل أم لا! فسكت عنه شنّ حتى إذا دَخَلا القرية، لَقِيَتْهما جنازة، فقال شنّ: أترى صاحبَ هذا النَعْش حيّاً أو ميتاً؟ فقال له الرجل: ما رأيتُ أجهلَ منك، ترى جنازة تسْأل عنها أمَيْتٌ صاحبُها أم حيّ؟ فسكتَ عنه شَنّ، فأراد مُفارقته، فأبىٰ الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله فمضى معه، فكان للرجل بنت يُقال لها طَبَقَةَ فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضَيْفه، فأخبرها بمرافقته إياه، وشكا إليها جَهْلَه، وحدَّثها بحديثه، فقالت: يا أبتِ! ما هذا بجاهل، أما قوله: (أتحملني أم أحملك؟) فأراد أتحدِّثني أم أُحَدِّثُك حتى نقطع طريقنا. وأما قوله: (أترى هذا الزرع أُكِلَ أم لا؟) فأراد هَلْ باعه أهلُه فأكلوا ثمنه أم لا، وأما قوله في الجنازة فأراد هل ترك عقِباً يحيا بهم ذكره أم لا، فخرج الرجل فَقَعد

مع شنٍّ فحادثه ساعة، ثم قال: أتحبُّ أنْ أُفسِّرَ لك ما سألتني عنه؟ قال: نعم فَسِّرْهُ، ففَسَّرَهُ، قال شنّ: ما هذا من كلامك، فأخبرني عن صاحبه، قال: ابنة لي، فخطبها إليه، فزوَّجَه إياها، وحملها إلى أهله، فلما رأوْها قالوا: وافق شَنٌّ طَبَقَة، فذهبتْ مثلاً.

[مجمع الأمثال للميداني]

❊ ❊ ❊

(ابنة عبدالله بن جعفر)

قال المدائني: لما زُفَّتْ ابنةُ عبدالله بن جعفر ـ وكانت هاشمية جليلة ـ إلى الحجاج بن يوسف ونظر إليها في تلك السنة وعبرتها تجول في خدَّيْها، فقال لها: بأبي أنتِ وأمي ممَّا تبكين؟ قالت: من شرفٍ اتَّضَعَ، ومن ضَعَةٍ شَرُفَتْ.

وقال المدائني: قال الحجاج لابنة عبدالله بن جعفر: إنَّ أمير المؤمنين عبدالملك كتب إليَّ بطلاقكِ فقالت: هو واللَّهِ أبَرُّ بي ممَّن زوَّجنيك.

❊ ❊ ❊

(زواج ابنة سعيد بن المسيب)

ومما ذُكر مِن محبّة سعيد بن المسيّب للفقراء دون الأُمراء، ما اشْتُهِر عنه أنَّه خطب ابنته بعضُ ملوك بني أميّة فامتنع من تزويجه بها وزوّجها من بعض الفقراء المشتغلين عليه بالعلم، فذكر الفقيرُ ذلك لأمه، فقالت له: البعيد مجنون! سعيد بن المسيّب يزوّجك، وبنتُهُ يخطبها الملوك، فسكتَ عنها. فلمّا كان الليلُ إذا بالباب يُدَقّ، فقال: من هذا؟ قال: سعيد بن المسيّب وبنتُهُ تحت ثوبه، فقال له: خذ إليك أهلكَ، فإني كرهتُ أن أُبَيِّتَكَ عَزَباً.

فأخذ زوجته وأدخلها البيت، فقالت أُمّه: واللّهِ! ما تقربها حتى تُصلح

من شأنها. فأعلمت جاراتها فاجتمعنَ وهيّأنَ لها ما يصلح للعروس على حَسْب ما تيسّر في ذلك الوقت، ثم زارها أبوها بعد ذلك، وبرَّهُما بشيءٍ من الدنيا.

[مرآة الجنان لليافعي]

❁ وقال معروف الرصافي:

ظلموكِ أيَّتُها الفتاةُ بجهلِهم ... إذ أكرَهُوكِ على الزواجِ بأشْيَبا
طمعوا بوفر المالِ منه فأخجلوا ... بفضولِ هاتيك المطامع أشعبا
قلبُ الفتاةِ أجلُّ مِن أنْ يُشْتَرَى ... بالمالِ لكن بالمحبةِ يُجْتَبَى

❁ وقال أحمد شوقي:

المالُ حلَّلَ كلَّ غيرِ محلَّلِ ... حتى زواج الشِّيبِ بالأبكارِ
سَحَرَ القلوبَ فرُبَّ أُمٍّ قلْبُها ... من سِحْرِهِ حَجَرٌ من الأَحجار
دفعت بُنَيَّتَها لأشأم مضجَعِ ... وَرَمَتْ بها في غُرْبَةٍ وإسار
وتَعَلَّلَتْ بالشرع قُلْتُ كَذَبْتِهِ ... ما كان شرعُ الله بالجزارِ
ما زُوِّجتْ تلك الفتاةُ وإنما ... بِيعَ الصِّبا والحُسْنُ بالدينارِ
فَتَّشْتُ لَمْ أَرَ في الزواج كفاءَةً ... ككفاءَةِ الأزواجِ في الأَعْمارِ

❁ ❁ ❁

(زواج حاتم الطائي)

❁ كانت امرأة من العرب، ذات جمال وكمال وحسب ومال، قد آلتْ أنْ لا تزوّج نفسها إلا كريماً، ولئن خطبها لئيم لتجد عن أنفه، فتحاماها الرجال، حتى انتدب لها زيد الخيل، وحاتم الطائي، وأوس بن حارثة بن لام الطائيون فارتحلوا إليها، فلما دخلوا عليها قالت: مرحباً بكم ما كنتم زواراً، فما الذي جاء بكم؟ فقالوا: جئنا زواراً وخطاباً. قالت: أكفاء كرام. فأنزلتهم، وفرقت بينهم، وأسبغت

لهم القِرَى وزادت فيه. فلما كان اليوم الثاني بعثتْ بعضَ جواريها متنكرة في زي سائلة، تتعرض لهم، فدفع لها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كل واحد منهما، فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها جميع ما حمل إليه.

فلما كان اليوم الثالث، دخلوا عليها فقالت: ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره، فأنشد زيد:

هلاَّ سألتِ بَني نَبْهانَ ما حَسَبي ... عِنْدَ الطِّعان إذا ما احْمَرَّتِ الحَدَقُ
وجاءت الخيلُ مُحْمَرّاً بوادرُها ... بالماءِ يَسْفَحُ عن لبَّاتِها العَلَقُ
والخيلُ تعلمُ أنّي كُنْتُ فارسَها ... والجارُ يعلمُ أنّي الوابِلُ الغُدَقُ
هذا الثناءُ فإنْ تَرْضَيْ فراضيةٌ ... أو تسْخَطي فإلى من تَعْطفُ العُنُقُ

وقال أوس بن حارثة: إنَّك لتعلمين أنَّا أكرمُ أحساباً وأشهرُ أفعالاً من أنْ نَصِفَ أنفسَنا لكِ، أنا الذي يقول فيه الشاعر:

إلى أوْس بنِ حارثة بن لام ... ليَقْضيَ حَاجَتي فيمن قضاها
فما وطِيءَ الحصا مِثْلُ بنُ سُعْدى ... ولا لبِسَ النِّعال ولا احتذاها

وأنا الذي عُقّتْ عقيقتُهُ فأَعْتَقْتُ عن كل شعرة منها نسمة، وأنشأ يقول:

فإنْ تنكحي ماويَّةَ الخير حاتماً ... فما مثلُهُ فينا ولا في الأعاجمِ
فتًى لا يزالُ الدهرَ أكبرُ همِّهِ ... فكاك أسيرٍ أو مَعُونَةُ غارمِ
وإنْ تنكحِي زيْداً ففارسُ قوْمِهِ ... إذا الحربُ يوماً أقْعَدَتْ كلَّ قائمِ
وإنْ تنكِحيني تنكحي غير فاجر ... ولا جارفٍ جرف العشيرة هادمِ
ولا مُتَّقٍ يوماً إذا الحربُ شمَّرَتْ ... بأنفسها نفسي كفعل الأشايمِ
وإنْ طارق الأضياف لاذَ برحلِهِ ... وَجَدْت ابن سُعْدَى للْقِرى غير عاتمِ
فأيّ هُدىً أهْدَى لكِ اللّهُ فاْقبلي ... فإنّا كِرَامٌ من رُؤوسِ الأكارمِ

وأنشأ حاتم يقول:

أماويَّ قدْ طالَ التَّجَنُّبُ والهجرُ ... وقد عَذَرْتَني في طلابكم العُذْرُ
أماويَّ إمَّا مانعٌ فمبيِّنٌ ... وإمَّا عطاءٌ لا يُنهْنِهُهُ الزَّجْرُ
أماويَّ ما يُغْني الثَّراءُ عن الفتى ... إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدْرُ
وقد عَلِمَ الأقْوامُ لوْ أنَّ حاتماً ... أراد ثراءَ المالِ كانَ لهُ وَفْرُ

إلى أنْ أَتَى على القصيدة وهي مشهورة. فقالت: أما أنت يا زيد! فقد وترت العرب، وبقاؤك مع الحرة قليل. وأما أنت يا أوس! فرجل ذو ضرائر، والصبر عليهنّ شديد. وأما أنت يا حاتم! فمرضي الخلائق، محمود الشيم، كريم النفس. قد زوَّجتك نفسي.

[أمالي الزجاجي]

۞ وقال عمرو بن العاص: ثلاث لا أناة فيهنَّ: المبادرة بالعمل الصالح، ودفن الميت، وتزويج الكفء.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

۞ قدم قيس بن زهير على النمر بن قاسط، فزوَّجُوه على هيئة ما طلب، ثمَّ بدا له أن يرتحل عنهم، فجمعهم ثم تكلم بكلام طويل منه: ولا تردُّوا الأكفاء عن النساء فتحوجوهن إلى البلاء، فإنْ لم تجدوا الأكفاء فخيرُ أزواجهنّ القبور.

[المرجع السابق]

۞ عن الأصمعي قال: أخبرني رجل من بني العنبر عن رجل من أصحابه، وكان مُقِلاً، فخطب إليه مكثرٌ من مالٍ مُقِلٌّ من عقل، فشاور فيه رجلاً يُقال له: أبو يزيد، فقال: لا تفعل، ولا تُزَوِّجْ إلا عاقلاً ديِّناً، فإنَّه إنْ لم يكرمها لم يظلمها، ثمَّ شاور رجلاً آخر يُقال له: أبو العلاء، فقال له: زوِّجه، فإنَّ ما له لها وحمقه على نفسه. فزَوَّجَهُ، فرأى منه ما يكرهُ في نفسه وابنته، فأنشد:

ألَـهْـفـي إذْ عَـصَـيْـتُ أبـا يـزيـد ... ولَـهْـفـي إذ أَطَـعْـتُ أبـا الـعـلاء
وكـانـتْ هـفـوةً مِـنْ غَـيْـر رِبْـحٍ ... وكـانـتْ زَلْـقَـةً مِـنْ غَـيْـرِ مـاء

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

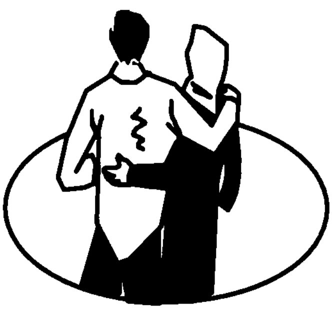
۞ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرَّسَ في عمر، وصاحب يوسف حين قال: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ﴾، وصاحبة موسى حين قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾.

[مختصر تفسير ابن كثير]

۞ وخطب خالد بن صفوان امرأةً فقال: أنا خالد بن صفوان والحسَبُ على ما قد علمته، وكثرةُ المال على ما قد بلغكِ، وفيَّ خصالٌ سأُبَيِّنُها لكِ فَتُقْدِمين عليَّ أوْ تَدَعين، قالت: وما هي؟ قال: إنَّ الحُرَّةَ إذا دَنَتْ مِنِّي أمَلَّتْني، وإذا تباعَدَتْ عني أعَلَّتْني، ولا سَبيلَ إلى درهمي وديناري، ويأتي عليَّ ساعة من الحلال لو أنَّ رأسي في يدي نَبَذْتُهُ، فقالت: قد فهمنا مقالتك ووَعَيْنا ما ذكرْتَ، وفيك بحمد الله خصالٌ لا نرْضاها لِبَناتِ إبليس، فانْصَرِفْ رحمك الله.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

عشرة النساء



عشرة النساء

❁ قال تعالى: ﴿... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

[سورة النساء/١٩]

❁ وقال تعالى: ﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[سورة البقرة/٢٢٨]

أي: ولهُنَّ من حُسْنِ الصحبة والعِشرة بالمعروف، مثل ما عليهنَّ من الطاعة لأزواجهنَّ، قال ابن عباس: إني أحبُّ أن أتزين لامرأتي، كما أحبُّ أن تتزيَّنَ لي، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أي: وللرجال على النساء منزلة ورتبة، بالإمرة والطاعة.

والمعنى: لهنَّ على الرجال من الحقوق، مثل الذي للرجال عليهنَّ من الحقوق، والدرجة التي للرجال على النساء، هي القوامة والمسؤولية، فهي إذاً درجة تكليف لا تشريف، كقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾.

[مختصر تفسير الطبري ١/٧١]

❋ ❋ ❋

(لماذا الضرب؟)

❁ يشترط في الضرب أن يكون غير مبرّح، لأنَّ الغرض التأديب لا التحطيم، وهو علاج لبعض الحالات الشاذة، التي لا ينفع فيها إلا هذا الدواء، وكما يقول العرب: آخر الدواء الكي. فالمرأة إذا طغت وبغت، وأساءَت عشرة زوجها، وركبت رأسها وسارتْ وراء الشيطان وبقيادته، لا ترعوي ولا تكف عن غيّها وضلالها، فماذا يصنع الرجل في مثل هذه الحالة؟ لقد أرشد القرآن الكريم إلى الدواءِ، فأمر بالصبر والأناة، ثمَّ بالوعظ والإرشاد، ثمَّ بالهجر في المضاجع، فإذا لم تنفع كل هذه الوسائل، فقد أذن له بالضرب ضرباً غير مبرّح، لكسر غطرستها وكبريائها، وإخراج الشيطان من رأسها، وهذا خيرٌ من طلاقها، لأن الطلاق هدم للأسرة، وتمزيق لشملها، وإذا قِيس الضرر الأخف بالضرر الأعظم، كان ارتكاب الأخف حَسَناً وجميلاً كما قيل: (وعند ذكر العمى يُسْتَحسَنُ العَوَرُ).

[مختصر تفسير الطبري ١/١٥١]

❁ وعن سليمان بن عمرو بن الأحوص، قال: حدَّثني أبي أنَّهُ شهدَ حجّةَ الوداع مع رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ، ثمَّ قال: «**استوصوا بالنساء خيراً، فإنَّهنَّ عندكم عوانٍ، ليس تملكون منهنَّ شيئاً غير ذلك، إلاَّ أن يأتين بفاحشة مبيّنةٍ، فإنْ فَعلنَ فاهجروهُنَّ في المضاجع واضربوهنَّ ضرباً غير مُبرِّح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنَّ سبيلاً، إنَّ لكم من نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فأَمَّا حقُّكم على نسائكم، فلا يُوطِئنَ فُرُشَكم مَنْ تكرهون، ولا يأذَنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقُّهُنَّ عليكم أن تحسنوا إليهنَّ في كسوتهنَّ وطعامهنَّ**».

[حديث حسن رواه ابن ماجه في سننه/١٨٥١]

❁ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: (ما ضربَ رسول الله ﷺ خادماً له، ولا امرأةً، ولا ضرب بيده شيئاً).

[حديث صحيح رواه ابن ماجه في سننه/١٩٨٤]

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**إذا كان عند الرجل امرأَتان، فلم يعدلْ بينهما، جاءَ يوم القيامة وشِقُّهُ ساقطٌ**».

[حديث صحيح رواه الترمذي في سننه/١١٤١]

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ المرأَة كالضلع، إنْ ذهَبْتَ تقيمُها كسَرْتَها، وإنْ تَرَكتَها اسْتَمْتَعْتَ بها على عِوَجٍ**».

[حديث صحيح رواه الترمذي في سننه/١١٨٨]

❁ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجِهِ: «**إنَّ أمْرَكُنَّ مما يُهِمُّني بعدي، ولن يصبرَ عليكنَّ بعدي إلا الصابرون**».

[صحيح الجامع الصغير/٢٠٠٢]

❁ وعن ابن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خياركم خياركم لنسائهم**».

[صحيح الجامع الصغير/٣٢٦٥]

❁ وعن جابر بن عبدالله وجابر بن عمير رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيءٍ ليسَ من ذكر الله لهو ولعبٌ، إلاَّ أنْ يكونَ أربعة: ملاعبة الرجل امرأتهُ، وتأديب الرجل فرسهُ، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السِّباحةَ**».

[صحيح الجامع الصغير/٤٥٣٤]

❁ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا أَراد سِفراً أقرعَ بين نسائِهِ، فأيَّتُهُنَّ خرج سَهْمُها خَرَجَ بها مَعَهُ).

[صحيح الجامع الصغير/٤٦٦١]

❀ ومن العِشرة الطيبة اللِّين للمرأة وإطاعتها، قال المأمون:

عَجباً يَهَابُ الليثُ حدَّ سِناني   وأهابُ سِحْرَ فواترِ الأَجْفانِ
ما لي تُطَاوِعُني البريَّةُ كُلُّها   وأُطِيعُهُنَّ وهُنَّ في عِصْيانِ

❀ وقال ﷺ: «**لا يفركنَّ مؤمنٌ مؤمنة، إنْ كره منها خُلُقاً رضي منها غيره**».

[رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة، صحيح الجامع الصغير/٧٧٤١]

❀ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: (كنتُ أشربُ وأنا حائض فيضع النبي ﷺ فاهُ على موضع فيَّ فيشرب).

[رواه مسلم]

❀ وعن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فهلاّ بكراً تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك**».

[أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي]

❀ وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل، ويقول: «**اللَّهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**».

قال أبو داود: يعني القلب.

[رواه الأربعة وصححه ابن حبان والحاكم]

❀ وقيل في المثل: يغلبن الكرام ويغلبُهُنَّ اللئام.

[مجمع الأمثال للميداني]

❀ وقال أبو سعيد: صحبتُ ابن سيرين عشرين سنة، فقال لي يوماً: يا أبا سعيد، إنْ تزوَّجتَ فلا تتزوَّج امرأَةً تنظر في يدها، ولكن تزوّج امرأةً تنظر في يدك.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

❀ وصفت أعرابية زوجها وقد مات، فقالت: والله لقد كان ضحوكاً إذا ولج، سكيتاً إذا خرج، آكلاً ما وجد، غير سائلٍ عمّا فقد.

[موعظة المؤمنين للقاسمي]

❀ حدث مالك بن أنس، قال: كان تحت معاذ رحمه الله امرأَتان، فإنْ كان عند إحداهما لم يشرب من بيت الأخرى ماء.

[الزهد للإمام أحمد]

❀ قال أبو الليث السمرقندي: حق المرأة على الزوج خمسة أشياء: **أولها**: أن يخدمها من وراء الستر ولا يدعها تخرج من وراء الستر فإنها عورة وخروجها إثم وترك للمروءة؛ **والثاني**: أن يعلمها ما تحتاج إليه من العلم مما لا بد لها من أحكام الوضوء والصلوات والصوم؛ **والثالث**: أن يطعمها الحلال فإن اللحم إذا نبت من الحرام يذوب بالنار؛ **والرابع**: أن لا يظلمها فإنها أمانة عنده؛ **والخامس**: إن تطاولت عليه يحتمل ذلك منها نصيحة لها لكيلا تقع في أمر هو أضرّ بها مما وقعتْ فيه.

[تنبيه الغافلين للسمرقندي]

❀ وذكر الغزالي في إحيائه آداب المعاشرة بعد العقد إلى الفراق، فقال: أما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب في اثني عشر أمراً في الوليمة، والمعاشرة، والدعابة، والسياسة، والغيرة، والنفقة، والتعليم، والقسْم، والتأديب في النشوز، والوقاع، والولادة، والمفارقة بالطلاق.

[موعظة المؤمنين للقاسمي]

❀ ونظر عمران بن حطان إلى امرأته، وكانت من أجمل النساء، وكان هو من أقبح الرجال، فقال: إني وإياك في الجنة إنْ شاء الله! قالت له: كيف ذاك؟ قال: إني أُعطيتُ مثلكِ فشكرتُ، وأُعطيتِ مثلي فصبرتِ.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

❀ وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: لا أَمَلُّ ثوبي ما وسعني، ولا أملُّ زوجتي ما أحْسَنَتْ عشرتي، ولا أملُّ دابتي ما حملتني، إنَّ الملالَ من سيِّىءِ الأخلاق.

[نزهة الفضلاء لمحمد عقيل موسى]

❀ وصفتْ أعرابيةٌ زوجها بمكارم الأخلاق عند أمها فقالت: يا أُمَّهْ! من نشر ثوبَ الثناء فقد أدّى واجب الجزاء، وفي كتمان الشكر جُحُودٌ لما وجبَ من الحق، ودُخولٌ في كفْر النِّعم، فقالت لها أُمُّها: أيْ بُنيَّةِ! أطَبْتِ الثناء، وقمتِ بالجزاء، ولم تدعي للذمّ موضعاً، إني وجدتُ مَنْ عَقَلَ لم يَعْجَلْ بِذَمٍّ ولا ثناء إلا بعد اختبار، فقالت: يا أُمَّه! ما مَدَحْتُ حتى اختبرتُ، ولا وصفتُ حتى عرفتُ.

[الأمالي للقالي]

❀ قيل لرجل من العرب كان يجمعُ الضرائرَ: كيف تقدر على جمعهنَّ؟ قال: كان لنا شبابٌ يُصابرهنّ علينا، ثم كان لنا مال يُصَبِّرهنّ لنا، ثمَّ بقي لنا خُلُقٌ حسن، فنحن نتعاشَرُ به ونتعايش.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❀ قال الإمام الذهبي في كتابه: (الكبائر): إذا كان المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه، فالزوج أيضاً مأمور بالإحسان إليها واللطف بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره، وإيصالها حقَّها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة، لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، ولقول النبي ﷺ: **«واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوانٌ عندكم ليس يملكون منهم شيئاً غير ذلك إلا أنْ يأتين بفاحشة مبينة، فإنْ فعلن فاهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنَّ سبيلاً، ألا إنَّ لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فحقُّهنَّ عليكم أنْ تحسنوا إليهنّ في كسوتهنّ وإطعامهنّ، وحقكم عليهنَّ أنْ لا يوطئن فرشكم مَنْ تكرهون ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون»**.

[رواه ابن ماجه والترمذي، حديث حسن]

(هكذا فاضنعوا لهُنَّ)

❀ دخلتْ امرأة على عمر بن الخطاب ومعها زوجُها أشعث، أغبر، قبيح المنظر، فقالت: يا أمير المؤمنين! لا أنا ولا هذا. خلِّصْني منه، فنظر عمر إلى الرجل فرآهُ رثَّ الثياب غير مُحَسَّن ولا مُزَيِّن، فعرف ما كرهتْ منه، فأشار إلى رجل، فقال له: اذهبْ به فحسِّنْهُ، وقلِّمْ أظفارَهُ، وخذ من شعره، وأْتِني به، فذهب ففعلَ ذلك ثمَّ أتاهُ به، فتبدَّلَ الزوجُ خَلْقاً آخر، وأصبح وضيئاً وسيماً حسن المظهر تفوح منه رائحة الطيب، فأوْمأ إليه عمر أنْ خُذْ بيد زوجك، فلما مدَّ إليها يده أنكرته، وظنتْ أنه رجل أجنبي، فقالت له: يا عبدالله . . . سبحان الله! أبين يدي أمير المؤمنين تفعلُ هذا؟ فلما عرفته ذهبتْ معه، فقال عمر: هكذا فاصْنعوا لهُنَّ. فوالله إنَّهُنَّ ليُحْبِبْنَ أن تتزيَّنُوا لهُنَّ، كما تحبون أنْ يتزيَّنَّ لكم.

❀ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ينبغي للرجل أَنْ يكون في بيتِهِ كالصبيّ، فإذا طُلب ما عنده وُجِد رجلاً.

[مجمع الأمثال للميداني]

❀ وقال الشاعر (ابن الأعرابي):

هي الضِّلعُ العَوْجَاءُ لسْتَ تُقيمُها ... ألا إنَّ تقويمَ الضُّلوعِ انْكِسَارُها
أتَجْمَعُ ضَعْفاً واقْتِداراً على الفَتَى ... ألَيسَ عَجِيباً ضَعْفُها واقْتِدارُها

❀ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: النساءُ عَوْرَةٌ، فاستروها بالبيوت، وداووا ضَعْفَهُنَّ بالسكوت.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❀ قيل للحجاج: أَيُمازحُ الأميرُ أهْلَهُ؟ قال: ما تَرَوْني إلاّ شيطاناً! والله لرُبَّما قبّلتُ أخمصَ إحداهنّ.

[المرجع السابق]

❀ ❀ ❀

(امرأة تشكو زوجها لعمر)

أتت امرأةٌ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين! إنّ زوجي يصومُ النهار ويقومُ الليل، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله، فقال لها: نِعْمَ الزوج زوجك. فجعلتْ تكرّر عليه القول وهو يكرّر عليها الجواب. فقال له كعب الأسدي: يا أمير المؤمنين! هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه. فقال له عمر: كما فهمت كلامها فاقضِ بينهما. فقال كعب: عليّ بزوجها. فأُتِيَ به. فقال له: إنّ امرأتك هذه تشكوك، قال: أفي طعامٍ أو شراب؟! قال: لا. فقالت المرأة:

يا أَيُّها القاضي الحكيمُ أرْشِدُهْ ... أَلْهَى خَليلي عن فِراشِي مَسْجِدُهْ
زَهَّدَهُ في مَضْجَعِي تَعَبُّدُهُ ... ولَسْتُ في أمْرِ النِّساءِ أَحْمَدُهْ

فقال زوجها:

زَهِدْتُ في فِراشِها وفي الحَجَلْ ... إنّي امْرُؤٌ أذْهَلَني ما قَدْ نَزَلْ
في سورةِ النَّملِ وفي السَّبْعِ الطِّوَلْ ... وفي كتابِ اللّهِ تَخْويفٌ جَلَلْ

فقال كعب:

وإنَّ لها عليك حقّاً يا رَجُلْ
تُصيبُها في أربعٍ لِمَنْ عَقَلْ
فأعْطِها ذاكَ وَدَعْ عنكَ العِلَلْ

ثم قال: إنّ الله تعالى أَحَلَّ لك من النساء مثنَى وثُلاثُ وَرُباع، فلكَ ثلاثةِ أيام بلياليهنَّ ولها يومٌ وليلة. فقال عمر رضي الله عنه: لا أدري من أيّكمَ أعجب، أمِن كلامها أم من حكمك بينهما، اذهب فقد ولّيْتُك.

[الأذكياء لابن الجوزي]

❁ وذكر أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه زوجته، فلما بلغ بابه سمع امرأته أم كلثوم تطاولتْ عليه، فقال الرجل: إني أردتُ أنْ أشكو زوجتي وبه من البلوى ما بي فرجع، فدعاه عمر رضي الله تعالى عنه، فسأله فقال: إني أردتُ أنْ أشكو إليك زوجتي، فلما سمعتُ من زوجتك ما سمعتُ رجعتُ، فقال عمر رضي الله عنه: إني أتجاوز عنها لحقوق لها عليّ: أولها: ستر بيني وبين النار فيسكن بها قلبي عن الحرام. والثاني: أنّها خازنة لي إذا خرجتُ من منزلي وتكون حافظة لمالي. والثالث: أنها قصارة لي تغسل ثيابي، والرابع: أنَّها ظئر لولدي، والخامس: أنها خبازة وطباخة لي، فقال الرجل: إن لي مثل ما لك فما تجاوزتَ عنها فأتجاوز.

[تنبيه الغافلين للسمرقندي]

❁ وقال الإمام الغزالي في (إحيائه): وليس حُسْنُ الخُلُق معها ـ أي: مع الزوجة ـ كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها اقتداءً برسول الله ﷺ، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل.

[موعظة المؤمنين للقاسمي]

❁ وقال ابن المقفع في عشرة النساء:

إيّاكَ ومُشاورة النساء، فإنَّ رأيَهُنَّ إلى أَفْنٍ(١)، وعزمهنَّ إلى وهْنٍ، واكفُفْ عليهنَّ من أبصارهنَّ بحجابك إيَّاهنَّ، فإنَّ شدة الحجابِ، خير لك من الارْتياب. وليس خروجهنَّ بأشدّ من دخول من لا تثقْ به عليهنَّ، فإن استطعتَ ألا يُعرفنَ عليك فافعلْ، ولا تُمَلِّكنَّ امرأةً من الأمرِ ما جاوزَ نفسَها، فإنَّ ذلك أنْعم لحالها وأرْخَى لبالها، وأدْومُ لجمالها، وإنما المرأةُ ريْحانة، وليستْ بقَهْرَمانة(٢)، فلا تَعْدُ بكرامتها

(١) أفن: ضعف.
(٢) قهرمانة: أي وكيلة ومسؤولة.

نفسَها، ولا تُعْطِها أن تَشْفعَ عندك لغيرها. ولا تُطِل الخلْوَة مع النساء فيمللنَكَ وتَملَّهُنَّ، واستَبْقِ من نفسك بَقِيَّة، فإنَّ إمساكك عنهنَّ وَهُنَّ يُرِدْنَكَ باقتدار، خيرٌ من أنْ يَهْجُمْنَ عليك على انكسار. وإيّاكَ والتَّغايُرَ في غير موضع غيرة، فإنَّ ذلك يدعو الصحيحة منهنَّ إلى السَّقَم.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ كان لشريح القاضي جار من كندة يُفْزِعُ امرأته ويضربها، وكانت زوجة شريح مثالاً للزوجة المطيعة، فقال:

رأيْتُ رِجالاً يَضْرِبون نِساءَهُمْ ... فَشُلَّتْ يَمِيني يَوْمَ أضْرِبُ زَيْنَبا

أأضْرِبُها مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ أتَتْ بِهِ ... فما العَدْلُ مِنِّي ضَرْبُ مَنْ لَيْسَ أَذْنَبا

فَزَيْنَبُ شَمْسٌ والنِّساءُ كَواكِبٌ ... إذا بَرَزَتْ لَمْ تُبْدِ مِنْهُنَّ كَوْكَبا

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

❁ قال المدائني: كان في قريش رجل في خُلُقِهِ سوء، وكان ذا مال، فكان لا يكاد يتزوج امرأة إلا فارقها لسوءِ خُلُقُه وقلة احتمالها، فخطب امرأة من قريش جليلة القَدْر، وبَلَغَها عنه سوءُ خلقه، فلما انقطع ما بينهما من المهر، قال لها: يا هذه! إنَّ فيَّ سوء خلق يعود إلى احتمال وتكرم، فإن كان بك عليَّ صبر وإلاّ فلستُ أغرك مني، فقالت له: إني أسوأ خلقاً منكَ لمن يحوجك إلى سوءِ الخلق، وتزوّجتهُ، فما جرى بينهما كلمة حتى فرّق بينهما الموت.

❋ ❋ ❋

(ناكرات الجميل)

❁ قيل: إنَّ المعتمد بن عبَّاد[1] ملك إشبيلية تزوَّج امرأةً يقالُ لها: الرُّميكيَّة، وقطعا حيناً من الدهر في سرور متوالٍ وغبطةٍ يحسدانِ عليها.

(١) المعتمد بن عبَّاد: هو محمد بن عباد اللخمي، أحد ملوك الطوائف بالأندلس.

وحدث أن رأت النِّساء يوماً يمشين في الطين، فاشتهتْ المشيَ فيه. فأمر المعتمد فسُحِقتْ الطيوب، وذُرَّت في ساحة القصر حتى عمَّتْهُ، ثُمَّ نُصِبَتْ الغرابيل[1]، وصُبَّ فيها ماء الورد على الطيوب، وعُجِنَتْ بالأرض حتى صارت كالطين، وخاضته[2] مع جواريها، وكان يوماً مشهوداً. وغاضبها المعتمد في بعض الأيام، فأقسمتْ أنها لم تر منه خيراً قط، فقال لها: ولا يوم الطين؛ فاسْتَحْيَتْ واعْتذرتْ.

[دولة النساء للبرقوقي]

❋ ❋ ❋

(ثناء الزوجين رغم الفراق)

❀ تزوج رجل في الجاهلية بامرأةٍ من بني جعدة بن كعب، وكان الرجل من بني غدانة ففارقها فدخل عليه من فراقها غمٌّ شديد، فلما زايلته[3] قال الرجل: اسْتَمعي ويَسْتَمع من حَضَر: أما لقد اعتمدتك برغبة[4]، وعاشرتك بمحبّة، ولم أجدْ عليكِ زلة، ولم تدخلني لك مَلّة، وإنْ كان ظاهركِ لسروراً، وباطنك للهوى، ولكن القدر غالب، وليس له صارف.

فقالت المرأة مجيبة: أثنيتَ وأنا مُنثية[5]، فجزيت من صاحب ومصحوب خيراً، فما اسْتَرثتُ[6] خيرك، ولا شكوتُ خيرك، ولا تمنتْ نفسي غيرك، وما ازددتُ إليك إلا شرهاً، ولا أحْسَسْتُ في الرجال لكَ شبهاً.

قال: ثمَّ افترقا.

(١) الغرابيل: جمع الغربال الذي يستخدم لغربلة الحبوب.
(٢) خاضته: مشت فيه.
(٣) زايلته: فارقته.
(٤) اعتمدتك: قصدتك.
(٥) مُنثية: مُشيعة، يقال: نثى الخبر: أي حدَّث به وأشاعه.
(٦) استرثتُ: استبطأت.

❀ وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لزوجته:

إذا رأيْتِني غَضِبْتُ فرضِّيني، وإذا رأيتك غَضْبَى رضَّيْتُكِ، وإلا لم نَصْطحِبْ.

[فقه السنة لسيد سابق]

❀ أراد أعرابي سفراً فقال لامرأته:

عُدِّي السِّنينَ لِغَيْبَتِي وَتَصَبَّرِي ... وذَرِي الشُّهورَ فإنَّهُنَّ قِصارُ

فأجابته:

اُذْكُرْ صَبَابَتَنَا إليكَ وشَوْقَنا ... وٱرْحَمْ بَناتِكَ إنَّهُنَّ صِغارُ

فأقام وتَرَكَ السَّفَر.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❀ قالت حفصة الركونية في حرصها على زَوْجها:

أغارُ عليكَ من عَيْني ومِنّي ... ومِنْكَ ومِنْ زَمانِكَ والمكانِ

ولَوْ أنِّي خَبَّأْتُكَ في عُيوني ... إلى يومِ القِيَامَةِ ما كَفَاني

[نصرة الثائر للصفدي]

❋ ❋ ❋

(عمر بن عبدالعزيز وزوجته)

❀ كتبتْ امرأة الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز إلى زوجها عمر لمَّا اشتغل عنها بالعبادة:

ألا يا أيُّها الملكُ الذي قَدْ ... سَبَى عقلي وَهَامَ بِهِ فُؤَادِي

أَرَاكَ وَسِعْتَ كُلَّ النَّاسِ عَدْلاً ... وَجُرْتَ عليَّ من بين العبادِ

وأعْطَيْتَ الرَّعيَّةَ كُلَّ فَضْلٍ ... وما أعْطَيْتَني غَيْرَ السُّهادِ

فلما قرأ الأبيات صرف وجهه إليها.

[نوادر العشاق لإبراهيم زيدان]

❁ سُئل ابن عربي عن حاله مع أهله، فقال:

إذا رأتْ أهلُ بيْتي الكيسَ مُمْتلِئاً تبسَّمَتْ ودَنَتْ مِنّي تُمَازِحُني
وإنْ رأَتْهُ خَلِيّاً من دراهِمِهِ تجهّمَتْ وانْثَنَتْ عنّي تُقابِحُني

[نفح الطيب للمقري]

❁ وقال سعيد بن حميد:

ما كُنْتُ أيَّامَ كُنْتِ راضِيَةً عَنّي بذاكَ الرِّضا بِمُغْتَبِطِ
عِلْماً بأنَّ الرِّضا سَيَتْبَعُهُ مِنكِ التَّجَنّي وكَثْرَةُ السَّخَطِ
فَكُلُّ ما ساءَني فَعَنْ خُلُقٍ مِنكِ وما سَرَّني فَعَنْ غَلَطِ

❁ وقال أبو العباس الهاشمي ويُعْرَفُ بأبي العِبَر:

أبْكي إذا غَضِبَتْ حَتَّى إذا رَضِيَتْ بَكَيْتُ عند الرِّضا خَوْفاً مِنَ الغَضَبِ
فالموْتُ إنْ غَضِبَتْ والموْتُ إنْ رَضِيَتْ إنْ لَمْ يُرَجَّ السُّلُوُّ عِشْتُ في تَعَبِ

❁ وقال العباس بن الأحنف:

إذا رَضِيَتْ لم يَهْنِني ذلك الرِّضا لِصِحَّةِ عِلْمي أنْ سَيَتْبَعُهُ عَتْبُ
وأبْكي إذا ما أذْنَبَتْ خَوْفَ عَتْبِها فَأَسْأَلُها مَرْضاتَها ولها الذَّنْبُ

قالوا في الزواج
والزوج والزوجة



قالوا في الزواج والزوج والزوجة

۞ عن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«سعادةٌ لابنِ آدَمَ ثلاثٌ، وشقاوةٌ لابنِ آدمَ ثلاث؛ فمن سعادة ابنِ آدمَ: الزَّوجةُ الصالحةُ، والمركبُ الصالحُ، والمسكنُ الواسعُ؛ وشقوةٌ لابنِ آدمَ ثلاثٌ: المسكنُ السُّوءُ، والمرأةُ السُّوءُ، والمركبُ السُّوءُ»**.

[صحيح الجامع الصغير/٣٦٢٩]

۞ وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قلبٌ شاكرٌ، ولسانٌ ذاكرٌ، وزوجةٌ صالحةٌ تُعِينك على أمْرِ دُنْياكَ ودِينكَ؛ خيرُ ما اكتنَزَ الناس»**.

[صحيح الجامع الصغير/٤٤٠٩]

۞ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ النساءِ خير؟ قال: **«التي تسُرُّهُ إذا نظر، وتطيعه إذا أَمَرَ، ولا تخالفُهُ في نفسها ومالها بما يكرهُ»**.

[حديث حسن صحيح رواه النسائي في سننه/٣٢٣١]

۞ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ من يُمنِ المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رَحِمَها»**.

[صحيح الجامع الصغير/٢٢٣٥]

۞ وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ النكاح أيسَرُهُ**».

[صحيح الجامع الصغير/٣٣٠٠]

۞ وعن معاذ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو تعلمُ المرأةُ حقَّ الزوج، لم تقعدْ ما حضرَ غداؤهُ وعشاؤهُ، حتى يفرُغَ منه**».

[صحيح الجامع الصغير/٥٢٥٩]

۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لم يُرَ للمتحابَّين مثل النكاح**».

[صحيح الجامع الصغير/٥٢٠٠]

۞ وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تزوَّجَ فقد استَكمل نصف الإيمان، فليتَّقِ الله في النصف الباقي**».

[صحيح الجامع الصغير/٦١٤٨]

۞ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**النكاح سُنَّتي، فمن لم يعمل بسُنَّتي فليس مني، وتزوَّجوا فإني مكاثرٌ بكم الأُمم يوم القيامة، ومن كان ذا طَوْلٍ فلينكحْ، ومن لم يجدْ فعليه بالصوم، فإنَّ الصومَ له وِجَاءٌ**».

[صحيح الجامع الصغير/٦٨٠٧]

۞ سأل رجل الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما: إنَّ لي بنيَّة، فمن ترى أزوِّجها؟ فأجابه: زوِّجها لمن يتَّقي الله، فإنْ أحبَّها أكْرَمَها، وإنْ أبْغَضَها لم يظلمها.

۞ وجاء في الأمثال: (النزائع لا القرائب) أي: تزوجوا الغرائب ولا تتزوجوا القرائب.

[مجمع الأمثال للميداني]

۞ وعن سالم عن أبيه ـ عبدالله بن عمر ـ أنَّ غيلان بن سلمة هو ممن أسلم بعد فتح الطائف ولم يُهاجر، وهو من أعيان ثقيف، ومات في خلافة عمر: (أسلم وله عشر نسوة فأسلمن معه، فأمره النبي ﷺ أن يتخيَّر منهن أربعاً).

[حديث صحيح رواه الترمذي/١١٢٨]

۞ وحدث ابن فيروز الدَّيلمي عن أبيه، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسول الله! إني أسلمتُ وتحتي أُختان. فقال رسول الله ﷺ: **«اخترْ أيَّتَهُما شِئْتَ»**.

[حديث حسن رواه الترمذي/١١٢٩، وابن ماجه/١٩٥١]

۞ وعن قيس بن الحارث، قال: (أسلمتُ وعندي ثمان نسوة، فأتيتُ النبي ﷺ فقلتُ ذلك له، فقال: **«اخترْ منهنَّ أربعاً»**).

[حديث حسن صحيح أخرجه ابن ماجه/١٩٥٢]

۞ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: (جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر. قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطر. وقال آخر: أنا أعتزِلُ النساء فلا أتزوَّجُ أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: **«أنتم الذين قُلتُم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصومُ وأُفطر، وأُصلي وأرقدُ، وأتزوجُ النساء، فمن رغِبَ عن سُنَّتي فليس مني»**).

[صحيح البخاري/٥٠٦٣]

۞ قيل لمالك بن دينار: لَوْ تَزوَّجْتَ! فقال: إنِّي طلَّقْتُ الدُّنيا ثلاثاً، فلا رَجْعَةَ لي فيها.

۞ وسُئل حكيم عن التزوج فقال: بَقْلُ شَهْرٍ وشَوْكُ دَهر.

۞ وقال آخر: مُكابَرَةُ العِفَّةِ عنهنَّ أيْسَرُ من الاحتيال لمصلحتِهِنَّ ومصلحة عيالِهِنَّ.

۞ وقالوا: ما فَكَّرَ فيلسوفٌ إلاَّ ورأى العُزُوبَةَ أَجْمَعَ لِهَمِّهِ، وأجودَ لخاطِره.

۞ وقال ابن عباس: لا يتم نُسُكُ النَّاسِك حتى يتزوج.

۞ وقال الأعمش: كل تزويج يقع على غير نظر فآخره همٌّ وغمٌّ.

۞ وقال عمر لأبي الزوائد: إنَّما يمنعُكَ من التزوج عجز أو فجور.

۞ وقال الإمام أحمد بن حنبل: لو كان بِشْرٌ تزوج لتَمَّ أمْرُهُ. ويقصد الإمام بشر بن الحارث أبو نصر المروزي.

۞ وقال ابن سيرين: تزوج الحسنُ امرأَةً، فأرسلَ إليها مائة جارية، مع كل جارية ألف درهم.

۞ وفي الأمثال: إنَّ المناكحَ خيرُها الأبْكارُ.

۞ لقد تزوج الإمام أحمد بن حنبل في اليوم الثاني من وفاة أُمّ ولدِهِ عبدالله، وقال: أكرهُ أنْ أبيتَ عزباً.

۞ ويروى عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنّما النكاح رقٌّ، فلينظُر امرؤٌ مَنْ يُرِقُّ كريمته.

[الكامل في اللغة والأدب]

۞ وعن طاووس قال: لا يتمُّ نُسُكُ الشاب حتى يتزوج.

[الداء والدواء لابن القيم]

۞ وقال بعض شعراء بني أسد:

وأوّلُ خُبْثِ الماءِ خُبْثُ ترابِهِ ... وأوَّلُ خُبْثِ القَوْمِ خُبْثُ المناكحِ

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

۞ تزوّج علي بن الحسين أُمَّ ولدٍ لبعضِ الأنصار، فلامه عبدالملك في

ذلك، فكتب إليه: إنّ الله رفع بالإسلام الخسيسة وأتَمَّ النقيصة، وأكرم به من اللؤم فلا عار على مسلم، هذا رسول الله ﷺ قد تزوَّج أَمَتَهُ وامرأةَ عبده، فقال عبدالملك: إنَّ علي بن الحسين يتشرّف من حيث يتَّضِعُ الناسُ.

قال الأصمعي: كان أهلُ المدينة يكرهون اتّخاذ أمهاتِ الأولاد حتى نشأ فيهم عليُّ بن الحسين والقاسم بن محمد بن أبي بكر وسالم بن عبدالله بن عمر، ففاقوا أهلَ المدينة فقهاً وورعاً فرغِبَ الناسُ في السَّراري.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

۞ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلتُ: يا رسول الله! أَرأَيتَ لو نزلتَ وادياً وفيه شجرة أُكل منها، ووجدتَ شجراً لم يؤكل منها، في أيها كنتَ تُرْتِعْ بعيرك؟ قال: «**في التي لم يُرْتَعْ فيها**».

تعني: أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها.

[أخرجه البخاري]

۞ وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى.

وهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النور/**٣٢**].

۞ وقال خالد بن صفوان:

عليكَ إذا ما كُنْتَ في الناس ناكحاً ... بذاتِ الثَّنايا الغُرّ والأَعْيُنِ النُّجْلِ

۞ قال الإمام الغزالي في إحيائه: فوائد النكاح خمسة: الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنزل، وكثرة العشيرة، ومجاهدة النفس بالقيام بهنّ.

وقال أيضاً في إحيائه: الخصال المطيبة للعيش التي لا بُدَّ من مراعاتها

في المرأة ليدومَ العقد وتتوفر مقاصده ثمانية: الدِّين، والخُلُق، والحُسْنُ، وخِفَّةُ المهر، والولادة، والبكارة، والنسب، وأن لا تكون قرابة قريبة.

❋ ❋ ❋

(زواج من فوق سبع سماوات)

❁ قصة زواج زينب بنت جحش: كان زوجها زيد بن حارثة قد عزم على طلاقها، وكان يستشير النبي ﷺ في فراقها، وهو يأمره بإمساكها، فعلم رسول الله ﷺ أنه مفارقها، فأخفى في نفسه أنه يتزوجها إذا فارقها زيد، وخشي مقالة الناس: إنَّ رسول الله ﷺ تزوّج زوجة ابنه، فإنه كان قد تبنى زيداً قبل النبوة، والرب تعالى يريد أن يشرع شرعاً عامّاً فيه مصالح عباده، فلما طلقها زيد وانقضتْ عدتُها منه أرسله إليها يخطبُها لنفسه، فجاء زيد واستدبر الباب بظهره، فناداها من وراء الباب: (يا زينب! إنَّ رسول الله ﷺ يخطبك)، فقالت: ما أنا بصانعةٍ شيئاً حتى أؤامر ربي، وقامت إلى محرابها، فتولى الله عز وجل نكاحها من رسول الله ﷺ بنفسه، وعقد النكاح له فوق عرشه، وجاء الوحي بذلك: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [سورة الأحزاب/٣٧].

فقام رسول الله ﷺ لوقته فدخل عليها، فكانت تفخر على نساءِ النبي ﷺ وتقول: (أنتنّ زوجكنّ أهاليكنَّ، وزوجني الله من فوق سبع سماوات).

[من كتاب الداء والدواء لابن القيم]

❁ وأنشد ابن الأعرابي:

أُحِبُّ الخلاويَّ النزيهَ من الهوى ... وأكرهُ أنْ أُسقَى على عَطَشٍ فَضْلا

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❋ ❋ ❋

(زوجٌ من عودٍ خيرٌ مِن قُعُودٍ)

عن ابن عائشة قال: كان ذو الإصبع العَدْواني رجلاً غيُوراً وله بناتُ أربع، وكان لا يزوجهن غَيْرَةً، فاستمع عليهنَّ يوماً وقد خلونَ يتحدثْنَ، فقالت قائلة منهن: لِتَقُلْ كلُّ واحدةٍ منا ما في نفسها، ولنصدقْ جميعاً، فقالت كبْراهُن:

ألا ليْتَ زوجي من أُناسٍ ذَوي غِنًى ... حديثُ شبابٍ طيِّبُ النَّشْرِ والذِّكْرِ(١)
لَصُوقٌ بأكْبادِ النساءِ كأنَّهُ ... خَليفَةُ حانٍ لا يقيمُ على هَجْرِ(٢)

وقالت الثانية:

ألا ليته يُغطي الجمال بَديهَةً ... له جفْنةٌ تَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ(٣)
له حكماتُ الدهرِ من غير كبْرَةٍ ... تَشِينُ فلا وانٍ ولا ضَرِعٌ غُمْرُ(٤)

فقلنَ لها: أنتِ تريدين سيداً، وقالتْ الثالثة:

ألا هَلْ تراها مَرَّةً وحليلُها ... أشَمّ كنَصْلِ السيفِ عَيْنِ المُهَنَّدِ(٥)
عليمٌ بأدواءِ النساء وَرَهْطُهُ ... إذا ما انْتَمَى مِنْ أهْلِ بيتي ومَحْتِدِي(٦)

فقلنَ لها: أنتِ تريدين ابنَ عمٍّ لكِ قد عرفته.

وقلن للصغرى: ما تقولين؟ قالت: لا أقولُ شيئاً، فقلن: لا نَدَعُكِ وذاك، إنك قد اطَّلعتِ على أسرارنا وتكتمين سرك، فقالت: زَوْج من عود خير من قعود. فخُطِبْنَ فزوجن جُمَع، ثم أمهلهنَّ حولاً، ثم زار

(١) النشر والذكر: السُّمْعة.
(٢) حانٍ: من الحنان أي عطوف.
(٣) الجفنة: القصعة الكبيرة. النيب والجزر: الإبل.
(٤) حكمات: شأن الإنسان وأمره. الضرع: الصغير السن. غُمْرٌ: جاهل.
(٥) الحليل: الزوج.
(٦) المحتد: الأصل.

الكبرى فقال لها: كيف رأيتِ زوجكِ؟ فقالت: خير زوج، يُكْرِمُ أَهْلَهُ، ويَنْسَى فضلَه، قال: فما مالكم؟ قالت: الإبل، قال: وما هي؟ قالت: نأكل لحمانها مزعاً، ونشرب ألبانها جرعاً، وتحملنا وضعفتنا معاً، فقال: زوج كريم، ومال عميم.

ثم زار الثانية فقال: كيف رأيتِ زوجَكِ؟ قالت: يكرم الحليلة، ويُقرِّبُ الوسيلة، قال: فما مالكم؟ قالت: البقر، قال: وما هي؟ قالت: تألفُ الفِناء، وتملأ الإناء، وتُودِكُ[١] السِّقاء، ونساء مع نساء، فقال: رضيتِ فحَظيتِ.

ثم زار الثالثة فقال: كيف رأيتِ زوجكِ؟ فقالت: لا سمع بذر، ولا بخيل مكر، قال: فما مالكم؟ قالت: المِعْزَى، قال: وما هي؟ قالت: لو كنا نولدها فطماً، ونسلخها أدماً[٢]، لم نبع بها نَعَماً، فقال: جذو مغنية[٣].

ثم زار الرابعة فقال: كيف رأيتِ زوجَكِ؟ قالت: شر زوج، يكرم نفسه، ويهين عِرْسَهُ[٤]، قال: فما مالكم؟ قالت: شر مال الضأن، قال: وما هي؟ قالت: جُوفٌ لا يَشْبَعْن، وهِيم لا يَنْقَعْن[٥]، وصُمٌّ لا يسمعنَ، وأمْرَ مُغْوِيتهن[٦] يتبعْن، فقال: أشبه امرؤ بعضَ بَزِّه[٧].

[أمالي المرتضى]

۞ جرى بين الإمام الأعمش وبين زوجته كلامٌ، وكان يأتيه رجلٌ يُقال له: أبو لَيْلى، مكفوف، فصيحٌ يتكلم بالإعراب، يتطلّب الحديث منه، فقال: يا أبا ليلى! امرأتي نشزتْ ـ أي: خرجت عن الطاعة ـ عليَّ وأنا

(١) تودك السقاء: تملؤه سمناً.
(٢) أدماً: جلوداً.
(٣) جذو: جمع جذوة.
(٤) عرسه: زوجته.
(٥) الهيم: تقصد أنَّ الضأن كالرمال التي لا تحتفظ بالماء.
(٦) من الغواية أي الضلال.
(٧) البز: المتاع، يريد أنها وزوجها شبيهان.

أحبُّ أن تدخلَ عليها فتخبرها مكاني من الناس وموضعي عندهم.
فدخل عليها أبو ليلى، وكانت من أجمل أهل الكوفة، فقال: يا هنتاه - كناية عن المرأة - إنّ الله قد أحْسَنَ قِسْمَكِ، هذا شيخنا وسيّدنا وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا، فلا يضرّنّكِ عُموشةُ عَيْنَيْه ولا حُموشة ساقيْهِ - دقتهما -
فغضب الأعمش وقال: يا أعمى! يا خبيث، أعمى الله قلبَكَ كما أعمى عَيْنَيْك قد أخبرتها بعيوبي كلّها، أُخرجْ من بيتي.

[وفيات الأعيان لابن خلكان]

❋ ❋ ❋

(الغرائب لا القرائب)

❁ قالوا في تفضيل الغريبة على القريبة:

فتًى لم تَلِدْهُ بِنْتُ عمٍّ قريبةٌ ... فَيَضْوَى وَقَدْ يَضْوَى رَديدُ الغرائبِ[(١)]
تعلَّمَ من أعمامِهِ البأسَ والنَّدَى ... ووَرَّثَهُ الأخوالُ حُسْنَ التجاربِ
هو ابْنُ غريباتِ النساءِ وإنَّما ... ذَوُو الشأْنِ أبناءُ النساءِ الغرائبِ

[المرأة في الشعر الجاهلي للحوفي]

❁ وقال غيلان بن سَلَمَة لبنيه حين احتُضر:

يا بَنيَّ! عليكم ببيوتات العَرب[(٢)]، فإنَّها مدارج الكرم، وعليكم بكلِّ رَمكاءَ ركينة[(٣)]، أو بيضاء رزينة في بيتِ جَدٍّ[(٤)]، أو بيت حَدٍّ[(٥)].

[دولة النساء للبرقوقي]

---

(١) يضوى: يضعف ويهزل. الرديد: المردود.
(٢) أي بإشرافهم.
(٣) رمكاء: سمراء. ركينة: متزنة عاقلة.
(٤) الجد: الحظ.
(٥) المحدود: المحروم المضيق عليه في الرزق.

❁ وقال ابن الزُّبيْرُ: لا يَمْنَعُكُم مِنْ تَزَوُّج امرأَةٍ قصيرَةٍ قِصَرُها، فإنَّ الطويلةَ تَلِدُ القصيرَ، والقصيرةُ تلدُ الطويلَ، وإيَّاكم والمذكَّرَة فإنَّها لا تُنْجِبُ.

(المذكَّرَةُ: المشَبَّهة بالذكور).

❁ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنّي لأَعْجَبُ مِمَّن يَدَعُ النكاح بعد سماعه لهذه الآية: قال سبحانه: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور/٣٢].

❁ قيل: إنّ المهدي قال للخيزران ـ زوجته ـ: أُريد أنْ أتزوَّج، وكانت بكتاب. فقالت له: لا يحلّ لك أن تتزوّج عليّ، قال: بلى. قالت له: بيني وبينك مَن شئتَ. قال: أترضَيْنَ سفيان الثوري؟ قالت: نعم. فوجّه إلى سفيان، فقال: إنَّ أمَّ الرشيد تزعم أنّه لا يحلّ لي التزوّج عليها، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾، ثمَّ سكت، فقال له سفيان: أتِمَّ الآية. يريد قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ وأنت لا تعدل.

فأمرَ له بعشرة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها.

[وفيات الأعيان لابن خلكان]

❁ قيل: إنّ امرأةً عجوزاً مرضتْ، فأتاها ابنُها بطبيب، فرآها الطبيب متزيِّنةً بأثواب مصبوغةٍ، فعَرَفَ ما بها، فقال الطبيبُ: ما أحوجَها إلى زوجٍ! فقال الابن: وما حاجةُ العجائز للأزواج؟! فقالت الأمّ العجوز: ويحكَ! الطبيبُ أعلمُ مِنْكَ على كل حال.

[دولة النساء للبرقوقي]

❁ قال الحجاج الثقفي لطبيبه: أخبرنا بجوامع الطبّ؛ فقال: لا تنكح إلاّ فتاةً، ولا تأكل من اللحم إلا فتياً، وإذا تغديتَ فَنَمْ، وإذا تعشَّيْتَ فامشِ ولو على الشوك، ولا تُدْخل بطنك طعاماً حتى تَسْتَمْرِي ما فيه،

ولا تَأْوِ إلى فراشك حتى تدخل الخلاء، وكل الفاكهة في إقبالها وذرْها في إدْبارها.

[المستطرف للأبشيهي]

۞ وقال حكيم آخر: ليس من الممكن أن يحيا الرجل الحياة الفاضلة، ويَموتَ الموتةَ الصالحة، ما لم يكن بجانبه زوجة.

۞ وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: لو لم يَبْقَ مِنْ عمري إلا عشرةُ أيام لأَحْبَبْتُ أنْ أتَزَوَّج، لئلا أَلْقَى الله عَزَباً.

۞ وجاء في (كتاب الصور) للمرحوم محمد السباعي ما يلي: الزَّوجَةُ هي المَلْجأُ الناعم، والملاذُ اللَّيِّن، هي الكهفُ الحلو كأنَّهُ خلِيَّةُ العَسَل، هي حِصْنٌ من البِلُّور في ضمانة الشرف، وقَلْعَةٌ من الحرير في خَفارَةِ العَفَاف، هي الساحلُ المتينُ الذي يأوي إليه صَلاحُ الحياة بعد صَولة الموج وثورة الهواء، هي الظِّلُّ الخصيب الذي يلبَسُهُ سائحُ الإنسانيَّة بعد وَعْثاء السَّفر ولظى الهجائر.

في حلاوة الزوجة ورِقتِها ما يَمْحو مرارةَ الزَّمن وخُشُونَتَهُ، وكذلك الحسنات يُذْهِبْنَ السَّيِّئات. إنَّ الزَّوجة لتَبُثُّ حولها هواءً من السُّرور لا تكادُ تطرقه الأحزان كأنَّهُ هالَةُ القَمَر أوْ دارَةُ الشمس، وإنَّ الهمومَ لتضْمَحِلُّ في صوت الزَّوْجة كالخوْفِ أمام البُشْرَى.

المرأةُ تُحْفَةُ الدُّنيا، وزينة الحياة، فَمن أحْكَمَ تدبيرَها وَجَنَى ثَمَرَها كان أميراً على أكمل بقعة وأجمل مملكة، ومن أساءَ التدبيرِ فخَسِرَ المرأة أو حُبَّها وطاعَتَها فجدير به أن يتمثّلَ:

أُعْطِيتُ مُلكاً فلم أُحْسِنْ سِياسَتَهُ وكُلُّ مَنْ لا يَسوسُ المُلكَ يُخْلَعُهُ

۞ وقال أبو عمرو بن العلاء: قال رجلٌ: لا أَتزوَّجُ امرأَةً حتَّى أنظُرَ إلى ولدي منها، قيل له: كيف ذاك؟ قال: أنظُرُ إلى أبيها وأُمِّها فإنَّها تجُرُّ بأحدِهما.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

* * *

(حديث بنت ملك اليمن)

جاء في أمالي القالي ما يلي: حدثنا فلان عن ابن الكلبي، عن أبيه قال: كان قَيْلٌ مِن أقيال حِمْير مُنِعَ الولدَ دَهْراً، ثمَّ وُلِدَتْ له بِنتٌ، فبَنَى لها قصراً مُنِيفاً بعيداً من الناس، وَوَكَلَ بها نساءً من بنات الأقيال يَخْدُمنها ويُؤدِّبْنَها حتى بلغتْ مبلغ النساء، فنشأت أحسنَ مَنْشَأٍ وأتمَّهُ في عقلها وكمالها. فلما مات أبوها ملَّكَها أهل مخْلافها[1]، فاصْطَنَعَتِ النِّسْوةَ اللواتي ربَّيْنَها وأحْسَنَتْ إليهنَّ، وكانت تُشاوِرهُنَّ ولا تقطع أمراً دونهنَّ، فقُلنَ لها يوماً: يا بنت الكرامَ! لو تزوَّجتِ لتَمَّ لكِ المُلْكُ، فقالت: وما الزَّوْج؟ فقالت إحداهُنَّ: الزوج عِزٌّ في الشدائدِ، وفي الخُطوبِ مُساعِد، إنْ غَضِبْتِ عَطَف، وإنْ مَرِضْتِ لطَفَ، قالت: نِعْمَ الشيءُ هذا!.

فقالت الثانية: الزوج شِعاري حين أَصْرَدُ[2]، ومُتَّكِئي حين أرْقُدُ، وأُنْسِي حينَ أفْرُد، فقالت: إنَّ هذا لمِنْ كمال طيب العيش.

فقالت الثالثة: الزوج لما عَنَاني كافٍ، ولما شفَّني شافٍ، يكفيني فقدَ الأُلاَّف، ريقُه كالشَّهد، وعناقُهُ كالخُلد، لا يُمَلُّ قِرَانُهُ ولا يُخاف حِرانُهُ، فقالت: أمْهِلْنَني أنظُرْ فيما قُلْتُنَّ، فاحْتَجَبَتْ عنهنَّ سَبْعاً، ثمَّ دَعَتْهُنَّ فقالت: قد نظرتُ فيما قُلْتُنَّ فوجَدْتُني أُمَلِّكه رِقِّي، وأُبِثُّهُ باطلي وحقِّي، فإن كان محمودَ الخلائق، مأمون البَوائِق؛ فقد أدركتُ بُغْيَتي، وإن كان غير ذلك فقد طالتْ شِقْوَتي، على أنه لا ينبغي إلاّ أن يكون كفْئاً كريماً يَسُودُ عشيرتَهُ، ويَرُبُّ[3] فَصِيلتَه، لا أتقنَّعُ بهِ عاراً في حياتي، ولا أرفَعُ به شَناراً لقومي بعد وفائي، فعَلَيْكُنَّه فابْغينه وتَفَرَّقْنَ في الأحْياء، فأيَّتكنَّ أَتَتْني بما أُحِبُّ فلها أجزَلُ الحِباء[4]، وعليَّ لها

---

(١) المخلاف: الكورة من البلاد.
(٢) أصرد: أبْرد.
(٣) يَرُبُّ: يجمع ويصلح.
(٤) الحباء: العطاء.

الوفاء، فخرجْنَ فيما وجَّهَتْهُنَّ له، وكنّ بناتِ مَقَاوِل ذواتِ عقلٍ ورأْيٍ، فجاءتها إحداهُنَّ وهي عَمَرَّطَةُ بنت زرعة بن ذي خَنْفَر فقالت: قد أصَبْتُ البُغْيَة، فقالت: صِفِيه ولا تُسَمِّيه. فقالت: غيْثٌ في المحْل[١]، ثِمالٌ في الأَزْل[٢]، مفيد مبيد[٣]، يُصْلِحُ النَّائر[٤]، ويُنْعِشُ العاثِر[٥]، ويَغْمُرُ النُّدِيَّ، ويقتادُ الأبِيّ، عِرْضُهُ وافِر، وحَسَبُهُ باهر، غَضُّ الشَّباب، طاهر الأثواب. قالت: ومن هو؟ قالت: سَبرة بن عَوَّال بن شَدّاد بن الهَمَّال. ثمَّ خلتْ بالثانية فقالت: أصبْتِ من بُغْيتك شيئاً؟ قالت: نعم، قالت: صِفِيه ولا تُسَمِّيه. قالت: مُصامِصُ النَّسَب[٦]، كريم الحَسَب، كامل الأدب، غزيرُ العطايا، مألوف السَّجايا، مُقْتَبَلُ الشباب، خِصْبُ الجناب، أمْرُهُ ماضٍ وعشيرُهُ راضٍ. قالت: ومن هو؟ قالت: يَعْلىٰ بن هَزَّال بن ذي جدَنٍ. ثمَّ خَلَتْ بالثالثة فقالت: ما عِنْدكِ؟ قالتْ: وَجَدْتُهُ كثير الفوائد، عظيم المرافِد، يُعْطِي قبل السُّؤَال، ويُنيلُ قبل أن يُستنال، في العشيرة معظَّم، وفي النُّدِيّ[٧] مكرم، جمَّ الفواضل، كثير النوافل، بَذَّال أموال، مُحقِّقُ آمال، كريم أعمام وأخوال، قالت: ومن هو؟ قالت: رَوَاحة بن حُمَيْر بن مضحي بن ذي هُلاهِلَة، فاختارتْ يَعْلَى بن هَزَّال فتزوَّجته، فاحْتَجَبَتْ عن نسائها شهراً ثم بَرَزَتْ لهُنَّ، فأجْزَلَتْ لهُنَّ الحِباء[٨]، وأعْظَمَتْ لَهُنَّ العطاء.

[أمالي القالي]

❋ ❋ ❋

---

(١) المحْل: الجدْب ضد الخصب.
(٢) الأزْل: الشدة والضيق. الثمال: الغياث والمُطْعمُ في الشدة.
(٣) مفيد مبيد: أي كسوب للمال معطاء له.
(٤) النائرة: العداوة والبغضاء.
(٥) العاثر: مَن عثر به الدهر.
(٦) المُصامِصُ: الخالص الزاكي الحسب.
(٧) النُّدِيّ: جمع النَّادي.
(٨) الحباء: العطاء.

(البنات الثلاث وحديث الزواج)

كان لرجلٍ من العرب ثلاث بناتٍ قد عضلهنَّ[١] ومنعهنّ الأكفاء. فقالت إحداهنّ: إنْ أقام أبونا على هذا الرأي فارقنا وقد ذهب حظُّ الرجال منّا، فينبغي لنا أنْ نعرضَ له ما في نفوسنا، فلما دخل على الكبرى تحادثا ساعةً، فحين أراد الانصراف، أنشدت:

أيُزْجَرُ لاهينا ونُلحَى على الصِّبا ... وما نحن والفتيانُ إلا شقائقُ[٢]
يَؤُبْنَ حبيباتٍ مراراً كثيرةً ... وتنباق أحياناً بهنَّ البوائقُ[٣]

فلما سمع الشعر ساءَه.

ثمّ دخل على الوسطى، فتحادثا، فلمّا أراد الانصراف، أنشدت:

ألا أيُّها الفتيانُ إنَّ فتاتَكُمْ ... دهاها سَمَاعُ العاشقين فحَنَّتِ
فدونكم ٱبْغُوها فتًى غيرَ زُمَّلٍ ... وإلاَّ صَبَتْ تلكَ الفتاةُ وجُنَّتِ[٤]

فلما سمع شعرها ساءَه.

ثمَّ دخل على الصغرى في يومها، فتحادثا، فلمَّا أراد الانصراف، أنشدت:

أما كان في ثِنْتَيْنِ ما يَزعُ الفتى ... ويَعْقلُ هذا الشيخُ إنْ كان يعْقلُ[٥]
فَما هُوَ إلا الحِلُّ أو طَلَبُ الصِّبا ... ولا بُدَّ منهُ فَأْتَمِرْ كيف تفعلُ[٦]

فلمّا رأى تواطؤهُنَّ على ذلك زوَّجهنَّ[٧].

[أمالي القالي]

---

(١) عَضَلَهُنَّ: منعهنَّ.
(٢) يُزجر: يُردع. لاهينا: مانعنا من الزواج. نُلحَى: نُلام.
(٣) يَؤُبن: يرجعن. تنباق: تهجم. البوائق: الشرور والمصائب.
(٤) ابغوها: اطلبوا لها. زُمَّل: ضعيف وجبان.
(٥) يزع: يردع.
(٦) فأتمز: شاور.
(٧) تواطؤهنَّ: توافقهنَّ.

(إخلاص حفصة الركونية لزوجها)

قالت حفصة الركونية، وهي من شواعر غرناطة بالأندلس، تصف حرصها على زوجها:

أَغارُ عليكَ مِنْ عَيْني وَمِنِّي ... وَمِنْكَ وَمِنْ زَمَانِكَ والمَكانِ
ولَوْ أَنِّي خَبَّأْتُكَ في عُيُوني ... إلى يومِ القيامةِ مَا كَفَانِي

***

(الدراهم مراهم)

عبَّر ابنُ عربي عن الزوجة وحبِّها للمال حين سُئل عن حاله مع أهله فقال:

إذا رأتْ أهلُ بيتي الكيسَ ممتلئاً ... تبسَّمَتْ ودَنَتْ مِنِّي تُمازِحُني
وإنْ رَأَتْهُ خَلِيّاً من دراهمِهِ ... تَجَهَّمَتْ وانْثَنَتْ عَنِّي تُقابِحُني

[نفح الطيب للمقرّي]

***

(بنات العم)

قيل: إنَّ الرجل إذا تزوَّج ابنةَ العم أصابَ ولده ضَوَىً، قال الراجز:

أُنْذِرُ مَنْ كانَ بعيدَ الهَمِّ ... في الناس تزويجَ بناتِ العَمِّ
ليسَ بناجٍ من ضَوَىً وسُقْمِ

[ضَوَىً: أي هزال خَلْقِي).

[الفصول والغايات للمعري]

***

(النساء ثلاث)

رُوِيَ أنّ رجلاً أقسَمَ ألا يتزوج حتَّى يستشير مئة نفس لما قاسى من النساء. فاسْتشار تسعة وتسعين نفساً، وبقي واحد، فخرج على أنْ يسأَلَ أوَّلَ من يقابله، فرأى مجنوناً قد اتّخذ قلادة من عظم وسوَّدَ وجهه وركب قصبة وأخذ رمحه، فسلَّمَ عليه وقال: مسألة؟ فقال: سلْ ما يعنيكَ، وإيَّاكَ وما لا يعنيكَ، واحذر رفسةَ هذا الفرس. قال: فقلتُ: مجنون والله، ثمَّ قلتُ: إنِّي رجلٌ لقيتُ من النساء بلاءً، وأقسمتُ ألاَّ أتزوج حتى أسْتشير مائة نفس، وأنتَ تمام المئة. فقال: اعلم أنّ النساء ثلاث: واحدة لك، وواحدة عليك، وواحدة لا لك ولا عليك.

فأمّا التي لك فشابّة طريَّة لم تمسّ الرجال فهي لك لا عليك؛ إنْ رأتْ خيراً حَمَدَتْ، وإنْ رأتْ شرّا قالتْ: الرجال على مثل هذا.

وأمّا التي عليكَ لا لكَ، فامرأةٌ ذاتُ ولدٍ من غيركَ، فهي التي تسلخ الرجل وتجمع لولدها.

وأمّا التي لا لكَ ولا عليكَ، فامرأةٌ قد تزوَّجتْ قبلكَ، إنْ رأتْ خيراً قالت: هكذا يجب، وإنْ رأتْ شرّاً حنَّتْ إلى زوجها الأول.

قال: فقلتُ: نشدتُكَ اللَّهَ ما الذي غيَّر من أمركَ ما أرى؟ قال: ألم أشترط عليك ألاَّ تسأل عمَّا لا يعنيكَ؟ فأقسمتُ عليه، فقال: إنَّني رُشِّحْتُ للقضاء، فاخترتُ ما ترى على القضاء.

[عقلاء المجانين لابن حبيب]

* * *

(أربعة أزواج يصفون زوجاتهم)

كانت امرأة من العرب عند رجل فولدث له أولاداً أربعة رجالاً، ثم

هلك زوجها، فتزوجتْ بعده فنأى بها زوجها عن بنيها وتزوجوا بعدها، ثمّ إنها لقيتهم، فقالت: يا بني! إني سائلتكم عن نسائكم فأخبروني عنهنَّ، قالوا: نفعل.

فقالت لأحدهم: أخبرني عن امرأتك؟ فقال: غلٌّ في وثاق[١]، وخُلُق لا يُطاق، حرمتُ وفاقها، ومنعتُ طلاقها.

وقالت للثاني: كيف وجدت امرأتك؟ فقال: حُسْن رايع، وبيت ضايع، وضيف جايع.

وقالت للثالث: كيف وجدتَ امرأتك؟ قال: ذلٌّ لا يُقْلى[٢]، ولذة لا تُقضَى، وعجبٌ لا يفنى، وفرح مضلّ أصاب ضالته، وريح روضة أصابتْ ربابها[٣].

قالت: فهل أصف لكم كيف وجدتُ زوجي؟ قالوا: بلى. قالت: جمل ظعينة، وليث عرينة، وكَلُّ صخر[٤]، وجوار بحر.

۞ قال العتبي: حدَّثنا أبو سليمان قال: سُئِلَتْ امرأَة عن زوجها؟ فقالت: كان والله جمل ظعينة، وليث عرينة، وجار بحر، وظل صخرة.

۞ ورُويَ عن زياد بن أبيه أنه قال لجُلَسائِه: مَن أنْعَمُ الناس عِيشَةً؟ قالوا: أميرُ المؤمنين ـ يعنُون: معاوية بن أبي سفيان ـ فقال: وأيْنَ ما يلقَى من قُرَيش! قيل: فأنت، قال: أيْنَ ما أَلْقَى من الخوارج والثغور؟ قيل: فَمَن أيُها الأمير؟ قال: رَجُلٌ مُسْلم له زوجةٌ مسلمة

(١) غل: مفرد أغلال وهو القيد. وثاق: ما يشدُّ به.
(٢) لا يُقلى: لا يُبغض.
(٣) ربابها: حاجتها.
(٤) كَلُّ: ثقل.

لهما كفافٌ مِن العيش قد رَضِيَتْ به ورَضِيَ بها، لا يعرفُنا ولا نَعْرِفُه.

[دولة النساء للبرقوقي]

۞ وقال حكيم لمن استشاره: أمَّا البكر فَلَكَ لا عليك، وأمَّا الثَّيِّب فلَكَ وعَلَيْكَ، وأمَّا ذات الولد فعليك لا لك.

۞ ويُروَى أنَّ رجُلاً أراد النِّكاح، فقال: لأَسْتشيرَنَّ أوَّلَ مَن يَطْلعُ، ثُمَّ لأَعْمَلَنَّ بِرَأْيِه، وكانَ أولَ من طلع عليه هَبَنَّقة القَيْسِيُّ وهُو راكِبٌ على قَصَبَتِهِ، وكان من عقلاءِ المجانين فقال له: إنِّي أرَدْتُ النكاح، فما تُشيرُ علـيّ؟ قال: البكرُ لك، والثيِّبُ عليك، وذات الولد لا تَقْرَبْها، واحْذَرْ جوادي أنْ يَرْمَحَكَ.

۞ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: البِكْرُ كالبُرَّة: تُطْحَنُ ثمَّ تُعْجَنُ ثمَّ تُخْبَزُ، ثمَّ تُؤكَلُ، والثَّيِّبُ عُجَالةُ الرَّاكب، تَمْرٌ وسَويق.

۞ وقال أعرابي: التزوج فرح شهر، وترح دهر، ووزن مهر، وقطع ظهر.

۞ وجاء في الأمثال، الأزواج ثلاثة:

(زوج بَهْر): أي يُبْهر العيون بحسنه.

(وزوج دهر): أي يُجْعل عُدَّةً للدهر ونوائبه.

(وزوج مَهْر): أي ليس منه إلا المهر يُؤْخذ منه.

[مجمع الأمثال للميداني]

۞ يقول الإمام الغزالي رحمه الله: ومن بدائع ألطافِهِ أنْ خلقَ من الماءِ بشراً، فجعله نسباً وصهراً، وسلّط على الخلق شهوةً اضطرهم بها إلى الحراثة جبراً، واسْتبقَى بها نسلهم إقهاراً وقسْراً، وندبَ إلى النكاح وحثَّ عليه اسْتحباباً وأمراً، فإنَّ النكاح مُعين على الدِّين ومُهين للشياطين، وحصن دون عدو الله حصين وسَبَبٌ للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائِر النبيين.

[التبيان فيما يحتاج إليه الزوجان للياسين]

۞ وقال الأصمعي وذكر النساء: بنات العم أصبر، والغرائب أنجب، وما ضرب رؤوس الأبطال كابن الأعجمية.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

۞ قال الشاعر:

لا تشتمنّ امرءاً ممن يكون له ... أمٌّ من الروم أو سوداء عجماء
فإنَّما أُمَّهاتُ القومِ أوْعيةٌ ... مستودعاتٌ وللأنسابِ آباءُ

[المستطرف للأبشيهي]

۞ قال رجل خبير بأمور النساء:

مَطِيَّاتُ السرور فُوَيْقَ عَشْرٍ ... إلى العشرين ثمّ قِفِ المطايا
فإنْ جُزْتَ المَسِيرَ فَسِرْ قَليلاً ... وبِنْتُ الأرْبَعِينَ مِنَ الرَّزايا

[المستطرف للأبشيهي]

۞ قال الحجاج لابن القِرِّيَّة: ما تقول في التزويج؟ قال: وجدتُ أسعد الناس في الدنيا، وأقرَّهم عيناً، وأطيبهم عيشاً، وأبقاهم سروراً، وأرخاهم بالاً، وأشَبَّهم شباباً، من رزقه الله زوجة مسلمة أمينة عفيفة، حسنة لطيفة، مطيعة، نظيفة، إن ائتمنها زوجها وجدها أمينة، وإنْ قَتَّرَ عليها وجدها قانعة، وإن غاب عنها كانت له حافظة، تجد زوجها أبداً ناعماً، وجارها سالماً، ومملوكها أميناً، وحبيّها طاهراً، قد ستر حِلْمُها جَهْلَها، وزيَّنَ دينُها عقلَها، فتلك كالريحانة والنخلة لمن يجتنيها، وكاللؤلؤة لم تثقب، والمسكة التي لم تُفْتَقْ، قوّامة صوّامة، ضاحكة بسّامة، إنْ أيسرتْ شكرتْ، وإنْ أعسرتْ صبرتْ، فأفلح وأنجح من رزقه الله مثل هذه.

۞ ومن حكم العرب، سُئل الشيطان: متى تبتسم؟ فأجاب: حين يتزوج الشيخ من فتاة صغيرة.

۞ وحدَّث عطاء الخُراساني، قال: مكتوبٌ في التوراة: كل تزويجٍ على غير هوى حسرةٌ وندامة إلى يوم القيامة.

۞ قيل لأعرابي: لِمَ أَخَّرتَ التَّزْويجَ إلى الكبر؟ فقال: لأُبادر ولدي باليُتْمِ قبل أنْ يسبقني بالعقوق.

[كتاب الدراري لابن العديم]

۞ وقال أحمد بن فارس، وهو من أئمة اللغة والأدب:

قد قال فيما مضى حكيمٌ ما المرءُ إلاّ بأَصْغَرَيْهِ[1]
فقلتُ قولَ امرىءٍ لبيبٍ ما المرءُ إلاّ بدِرْهَمَيْهِ
مَنْ لم يكنْ معَهُ دِرْهمٌ لم تلتفتْ عِرْسُهُ إليهِ[2]

[بغية الوعاة للسيوطي]

۞ أراد نوح بن مريم أنْ يزوِّجَ ابنته فاسْتشار جاراً له مجوسيّاً، فقال المجوسي: سبحان الله! الناس يَسْتَفْتونك وأنت تَسْتَفتيني. قال: لا بُدَّ أنْ تشيرَ عليّ. فقال: إنَّ رئيسَ الفرس كِسرى كان يختار المالَ، ورئيس الروم قيْصر كان يختار الجَمالَ، ورئيس العرب كان يختار الحَسَبَ، ورئيسكم محمد ﷺ كان يختار الدِّين، فانظرْ لنفسك بِمَنْ تقتدي.

[المستطرف للأبشيهي]

۞ وكان الحسنُ بنُ علي رضي الله عنه مِطْلاقاً مِزْواجاً، فقيل له في ذلك، فقال: إنَّ الله تعالى علّقَ بهما الغنى فقال: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ...﴾ الآية، وقال: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ...﴾ فأنا أتزوَّجُ للغِنَى وأُطَلِّقُ للغِنَى.

[دولة النساء للبرقوقي]

۞ وقال حكيم: الزَّواجُ مَصْدَرُ آداب المجتمع الإنساني.

(١) الأصغران: القلب واللسان.
(٢) عرسه: زوجته.

۞ وقال الخليفة عبدالملك بن مروان: أسعد الناس عيشاً، من له مال يكفيه، وزوجة تُرضيه.

۞ وقال سيدنا سليمان الحكيم: إنني أنزل درجةً في اختيار الزوجة، وأصعد درجة في اختيار الصديق.

۞ روي في الخبر أن رجلاً جاء إلى داود عليه السلام فقال: إنِّي أُريد أن أتزوج فكيف أتزوَّج؟ فقال: اذهب إلى سليمان ابني، واسأله. وكان سليمان ابن سبع سنين، فخرج الرجل إلى سليمان، فوجده يلعبُ مع الصبيان وهو راكب على قصبة، فأتاهُ وقال له: إني أُريد أنْ أتزوج فكيف أتزوج؟ قال سليمان عليه السلام: عليك بالذهب الأحمر والفضة البيضاء، واحذرْ الفرس كيلا تضربك. فلم يفهم جوابه، وكان داود عليه السلام أمر الرجل أن يرجع إليه ويخبره بجوابه، فرجع إليه فأخبره بمقالته، فقال له داود عليه السلام: أمَّا الذهب الأحمر فالبكر، وأمَّا الفضة البيضاء فالثيِّب الشَّابَّة، وقوله: احذر الفرس كيلا تضربك: يعني: إياك والعجوز أو ذات الأولاد.

[بستان العارفين للسمرقندي]

۞ وقال الكاتب كامل مهدي: أيام الخطوبة من أمتع الفترات الوردية في حياة الشاب والفتاة، إذا أحسن كل منهما اختيار الآخر.

۞ وقال الكاتب أنيس منصور: الحب حلم، والزواج حقيقة، وحياتنا أن نخلط بين الاثنين.

وقال: الزواج يداوي كل جروح الفتاة قبل الزواج.

وقال: الحب واسطة خير بين الغريزة والزواج.

وقال: أرض مزروعة، وامرأة مطيعة، أحسن ما في الدنيا.

وقال: إذا نجح زواج ابنتك فقد كسبت ابناً، وإذا فشل فقد خسرت بنتاً.

وقال: الشيء الذي يتفق عليه كل النساء ويختلف عليه كل الرجال: الزواج.

وقال: الرجل يتزوج لأنه يريد أن يستريح، والمرأة تتزوج لأنها تريد أن تعرف.

وقال: الزواج الناجح مشوار طويل، يبدو قصيراً.

وقال: الحب موهبة، والزواج خبرة.

وقال: المحبون نيام، فإذا تزوجوا انتبهوا.

وقال: إن كانت الزوجة صالحة، أصبح زوجها قديساً، وإذا كانت شريرة أصبح زوجها فيلسوفاً.

وقال: أعظم أستاذ لنا معشر الرجال: الزمن والزواج.

وقال: الزواج جمع وطرح وضرب وقبل ذلك قسمة.

۞ وقال قاسم أمين: إذا كنتُ قد شعرتُ في هذه الحياة بشيءٍ من السعادة، ففي الأوقات التي قضيتُها في بيتي مع زوجتي وأولادي.

۞ وعن ابن طاووس، عن أبيه، قال: المرأةُ شطرُ دين الرجل.

۞ وقال المروزي: سمعتُ أبا عبدالله يقول: ليس العُزوبيَّة من أمرِ الإسلام في شيء.

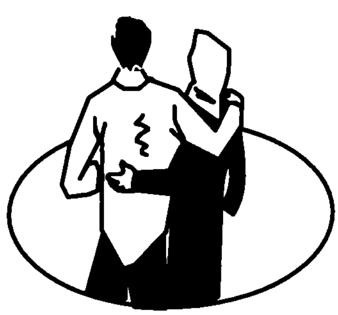
۞ وقال عبدالملك بن مروان: من أراد الباءَة فعليه بالبَرْبَريَّات، ومن أراد الخدمة فعليه بالروميّات، ومن أراد النّجابةَ فعليه بالفارسِيّات.

۞ وقال أكثم بن صيفي: لا يَفْتِنَنَّكم جمالُ النساء عن صراحة النَّسَب، فإنَّ المناكح الكريمة مَدْرَجَةُ الشَّرف.

۞ وقال عثمان بن أبي المعاصي لأولاده: يا بَنِيَّ، إنَّ المناكحَ مُغْتَرَسٌ، فلْيَنْظُرْ المرءُ حيث يضعُ غَرْسَه، فإنَّ عِرْقَ السّوء قلَّما يُنْجِبُ، وإنِّي قد أنجبتكُم من أُمهاتكم.

۞ وعن عُروة بن الزبير: ما رَفَعَ أحَدٌ نَفْسَهُ بعد الإيمان بالله بمِثل مَنْكِحِ صِدْق، ولا وَضَعَ نفسَه بعد الكفر بالله بمثل مَنْكِح سوء، ثم قال: لعن الله فلانة ألْفَتْ بني فُلان بيضاً طِوالاً فَقَلَبَتْهُم سُوداً قِصاراً.

وصايا الأولياء للنساء



وصايا الأولياء للنساء

❁ (أم توصي ابنتها ليلة زفافها)

❁ - عليك بالقناعة، والسمع والطاعة، والعفة والوداعة.

- ابسطي الأنظار، وراعي الأميال، وحافظي على الأموال.

- ساعدي في الأعمال.

- اعملي ما يسره، وتجنبي ما يضره، واكتمي سره، ولا تعصي أمره.

- استري عيبه، وحافظي على جيبه، وتوددي له في شيبهِ.

- صوني لسانك، وتخيري جيرانك، واثبتي في إيمانكِ.

❁ ❁ ❁

❁ (أربع أمهات يوصين بناتهنَّ)

❁ تزوج النعمان بن امرىء القيس أربع بنات من أشرف بيوتات العرب وهن: ابنة فاطمة بنت الخرشب الأنمارية، وابنة تماضر بنت الشريد السلمية، وابنة الرواع النمريَّة، وابنة قيلة بنت الحسحاس الأسدية.

فلما أُهدين إليه دخل على ابنة الأنمارية، فقال: ما أوصتكِ بهِ أُمُّكِ؟

قالت: قالت لي: عطري جلدك، وأطيعي زوجك، واجعلي الماء آخر طيبك.

ثم دخل على ابنة السُلميَّة، فقال: ما أَوصتك به أُمُكِ؟ قالت: قالت لي: لا تجلسي بالفناء، ولا تكثري من المراء، واعلمي أنَّ أطيب الطيب الماء.

ثمَّ دخل على ابنة النمرية، فقال: ما أَوصتك به أُمُكِ؟ قالت: قالت لي: لا تطاوعي زوجك فتمليه، ولا تعاصيه فتغضبيه، واصدقيه الصفاء، واجعلي آخر طيبك الماء.

ثمَّ دخل على ابنة الأسدية، فقال: ما أَوْصتكِ به أُمُكِ؟ قالت: قالت لي: أدني سترك، وأكرمي زوجك، واجتنبي الإباء، واستنظفي بالماء.

❁ ولعلي الجارم وَصِيَّة أبويَّة وجَّهَها لابنتِهِ ولكل فتاة مسلمة، قال فيها:

يا ابْنتي إنْ أرَدْتِ آيةَ حُسْنٍ ... وجمالٍ يزينُ جِسْماً وعَقْلا
فانْبُذي عادةَ التَّبَرُّجِ نَبْذاً ... فجمالُ النفوسِ أسْمَى وأَغْلَى
يَصْنَعُ الصَّانِعُون وَرْداً ولكِن ... وَرْدةُ الروضِ لا تُضارَعُ شكلا
ذاكَ نُصْحِي إلى فتاتي وسُؤْلي ... وابْنتي لا تَرُدُّ للأَبِ سُؤْلا

❁ وصية أُمامة بنت الحارث لابنتها ليلة زفافها وهي ابنة عوف بن مُحَلِّم الشَّيْباني:

أيْ بُنَيَّة، إنَّ الوصيَّة لو تُركتْ لِفَضْلِ أَدَب، تُرِكَتْ لذلك مِنكِ، ولكنّها تَذْكِرَةٌ لِلْغافِل، ومَعُونةٌ للعاقل، ولو أنَّ امرأةً ٱسْتغنتْ عن الزوجَ بِغَنَى أبَوَيْها، وشدةِ حاجتهما إليها كُنْتِ أغنى الناس عنه، ولكنَّ النساءَ للرجالَ خُلِقْنَ ولَهُنَّ خُلقَ الرجال.

أيْ بُنَيَّة، إنكِ فارقتِ بيتَكِ الذي منه خَرَجْتِ، وعُشَّكِ الذي فيه دَرَجْتِ، إلى رجل لم تَعْرفيه، وقرينٍ لم تألَفِيه، فكوني له أَمَةً يكن لكِ عَبداً، وٱحْفَظِي له خِصالاً عَشْراً تكن لكِ ذُخْراً:

أمَّا الأولى والثانية فالخشوع له بالقناعة، وحُسْنِ الطاعة، وأمَّا الثالثة والرابعة فالتَّفَقُّد لِمَوْضِعِ عينِه وأنفِهِ، فلا تَقَعُ عينُهُ مِنكِ على قبيح، ولا يَشَمُّ منكِ إلاَّ أطيبَ الرِّيح، وأمَّا الخامسة والسادسة فالتَّفَقُّدُ لوقتِ مَنامِهِ وطعامِهِ، فإنَّ تَوَاتُرَ الجوع مَلْهَبَة، وتنغيصَ النوم مَغْضَبَة، وأمَّا السابعة والثامنة فالاحتفاظ بماله، والإرْعاءُ على حَشمه وعيالِهِ، ومِلاكُ الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حُسْنُ التدبير، وأمَّا التاسعة والعاشرة فلا تَعصِيَنَّ له أمراً، ولا تُفْشِنَّ له سِرّاً، فإنَّكِ إنْ خالفتِ أمْره، أوْغَرْتِ صدره، وإنْ أفْشَيْتِ سِرَّهُ لم تأمني غَدْرَه، ثمَّ إيَّاكِ والفرحَ بين يديه إذا كانَ تَرِحاً، والترحَ بين يديه إذا كان فرحاً، فإنَّ الخَصْلَةَ الأولَى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشدَّ ما تكونين له إعظاماً، يكُنْ أشَدَّ ما يكونَ لك إكراماً، وأشدَّ ما تكونين له مُوَافَقَةً، يكن أطولَ ما يكونُ لكِ مرافقة.

واعلمي أنَّك لا تَصلينَ إلى ما تُحِبِّينَ حتَى تُؤْثري رضاه على رِضاكِ، وهَوَاهُ على هواكِ، فيما أحْبَبْتِ أو كَرِهْتِ واللَّهُ يخيرُ لكِ.

[حولة النساء للبرقوقي، ومجمع الأمثال للميداني]

❁ وكان الزِّبرقان بن بَدْر إذا زوَّجَ ابنةً له دنا مِن خِدْرِها وقال: أتَسْمَعين؟ لا أُعَرِّفَنَّ ما طَلَبْتِ، كوني له أَمَةً يكُنْ لكِ عبداً.

❁ وزَوَّجَ عامرُ بنُ الظَّرب ابنتَهُ من ابن أخيه، فلمَّا أرادَ تحويلها قال لأُمِّها: مُري ابنتَك ألاَّ تَنْزِلَ مَفَازَةً إلاَّ ومَعَها ماءٌ فإنَّهُ للأعلى جلاء وللأسفل نَقَاء، ولا تُكْثِرْ مُضاجعَتَهُ، فإنَّهُ إذا مَلَّ البَدَنُ مَلَّ القلبُ، ولا تَمْنَعْهُ شَهوتَهُ، فإنَّ الحُظْوَةَ في المُوافَقَة، فلم تَلْبَثْ إلاَّ شَهراً حتى جاءَتْهُ مَشْجُوجَةً، فقال لابن أخيه: يا بُنَيَّ، ارْفَعْ عصاكَ عن بَكْرَتك، فإنْ كانت نَفَرَتْ من غير أنْ تُنَفَّرَ فذلك الداءُ الذي ليس له دواءٌ، وإنْ لم يكُنْ بينكما وفاقٌ ففِراقُ الخُلْعِ، أحْسَنُ من الطلاق، ولنْ تَتْرُكَ مالَكَ وأهلَكَ، فَرَدَّ عليه صَدَاقَهُ وخَلَعَها، فهُو أوَّلُ مَن خَلعَ مِن العرب.

[حولة النساء للبرقوقي]

(ابنة قيصر المعلوف)

أوْصَى قيصر المعلوف ابْنَتَهُ عند زفافها بهذه الأبيات:

أبُـنَـيَّـتـي أزِفَ الـنَّـوَى فَـتَـزَوَّدِي ... نُـصْـحـاً عـلـى خَـبَـرٍ إلَـيْـكِ يَـقْـدُمُ
سَـتُـغَـادِرِيـنَ الأهْـلَ مُـبْـحِـرَةً إلـى ... أهْـلِ أعِـزَّاء فَـكُـونـي مِـنْـهُـمُـو
وَتَـجَـنَّـبِـي مـا لا يَـهُـمُّـكِ أمْـرَهُ ... فَـلَـرُبَّ شَـرٌّ عَـنْ فُـضُـولٍ يَـنْـجُـمُ
لا تَـحْـسُـدِي أَحَـداً على نُعْمَى فَمَن ... حَسَـدَ الـوَرَى مِنْ شَرِّهـم لا يَسْلَمُ
صُـونِـي لِـزَوْجِـكِ حُـرْمَـةً وكَـرامَـةً ... بِـرِجـالـهـا تَـسْـمُـو الـنِّـسـاء وَتُـكْـرَمُ
وإذا شـكـا ضَـيْـمـاً فـآسـي قَـلْـبَـهُ ... وإذا شـكـا جُـرْحـاً فَـلُـطْـفُـكِ بَـلْـسَـمُ
وَتَـعَـهَّـدِي لـلـبـيـت أسْـبـابَ الـهـنـا ... لِـيَـطِـيـبَ فـيـهِ نَـوْمَـهُ والـمَـطْـعَـمُ
أَثْـنِـي عـليـه فـي الـمَـحَـافِـلِ واكْـتُـمِـي ... مـا لـيـسَ غَـيْـرَ الـلّـهِ مِـنْـهُ يَـعْـصِـمُ
وَابْـقِـي عـلـى أمْـوالِـهِ وتَـجَـنَّـبِـي ... الإسْـرافَ واجْـتَـزِئِـي عـلـى مـا يَـلْـزَمُ
مَـهْـمَـا يَـكُـنْ مـالُ الـغـنـي فـإنَّـه ... لا بُـدَّ بـالإسـراف يـومـاً يَـعْـدَمُ
رَبِّـي الـبَـنِـيـنَ عـلـى الـمـحـبَّـةِ والـوفـا ... لـلـوالـديـن فـإنَّ ذَاكَ مُـحَـتَّـمُ

❋ ❋ ❋

(وصية عمّ لصهره)

خطب عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان إلى عمه عتبة ابنته، فأجلسه بجانبه، وأخذ يمسحُ على رأسه ثمَّ قال: أقربُ قريب، خطب أحبَّ حبيب، لا أستطيعُ له ردّاً، ولا أجد من إسعافه بُدّاً، قد زوجتكما وأنت أعزُّ عليّ منها، وهي ألصق بقلبي منك. فأكرمْها يعذُبْ على لساني ذكرُك. ولا تُهِنْها فيصغر عندي قدرك. وقد قربتُكَ مع قربك، فلا تُبْعِدْ قلبي من قلبك.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

زوَّج قيس بن مسعود الشيباني (ذو الجدين) ابنته من لقيط بن زرارة،

فلمَّا زُفَّتْ إليه قال لها أبوها: يا بنيّة، كوني له أمةً يكن لك عبداً، وليكنْ أطيب طيبك الماء، ثمَّ لا أذكرْتِ ولا أيْسرتِ، فإنك تلدين الأعداء، وتقرِّبين البعداء.

إنَّ زوجك فارسٌ من فرسان مضر، وإنَّه يوشك أنْ يُقْتَلَ أو يموت، فإذا كان ذلك فلا تخمشي عليه وجهاً، ولا تحلقي شعراً.

[المرجع السابق]

❋ ❋ ❋

(نائلة بنت الفرافصة)

قال الفرافصة الكلبي لابنته حين جهَّزها إلى عثمان رضي الله عنه: يا بنيَّة، إنك تقدمين على نساء قريش وهُنَّ أقدرُ على الطيب منك، فلا تُغْلبي على خصلتين: الكحل والماء، تطهَّري حتى يكون ريحُك ريحَ شنٍّ أصابه المطر.

[الشنّ: القربة القديمة].

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❋ ❋ ❋

(وصية التابعي أسماء بن خارجة الفزاري لابنته)

إنَّكِ خرجتِ من العشّ الذي فيه درجت، فصرتِ إلى فراشٍ لا تعرفيه، وقرين لا تألفيه، فكوني له أرضاً يكن لكِ سماء، وكوني له مهاداً يكن لكِ عماداً، وكوني له أمَةً يكن لكِ عبداً. لا تلحفي به فيقلاكِ، ولا تباعدي عنه فينساكِ، إنْ دنا منك فاقربي منه، وإنْ نأى فابعدي عنه، واحْفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشمنَّ منكِ إلا طيباً ولا يسمعُ إلا حسناً، ولا ينظرُ إلا جميلاً.

[موعظة المؤمنين للقاسمي]

❁ وقال أبو الأسود الدؤلي لابنته:

إيَّاكِ والغيرةِ، فإنّها مفتاح الطلاق، وعليكِ بالزينة، وأزين الزينة الكحل، وعليكِ بالطيب، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء، وكوني كما قلتُ لأمّك:

خُذي العفوَ مِنّي تَسْتَدِيمي مَوَدَّتِي ... ولا تَنْطقي في سَوْرتي حينَ أغْضَبُ
فإنّي وَجَدْتُ الحُبَّ في الصَّدْرِ والأذى ... إذا اجْتَمَعَا لم يَلْبَثِ الحُبُّ يَذْهَبُ
ولا تَنْقِريني نَقْرَكِ الدَّفَ مَرَّةً ... فإنَّكِ لا تَدْرِينَ كيفَ المُغَيَّبُ
ولا تُكْثري الشكوى فتذهب بالهوى ... وَيَأباكِ قلبي والقلوبُ تُقَلَّبُ

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ ❁ ❁

(وصية أم معاصرة لابنتها قبل الزفاف)

❁ نصحت أُمّ معاصرة ابنتها بالنصيحة التالية وقد مزجتها بابتسامتها ودموعها:

يا بنيتي، أنتِ مقبلة على حياة جديدة، حياة لا مكان فيها لأمكِ أو لأبيكِ، أو لأحدٍ من إخوتك، ستصبحين صاحبة لرجل لا يريد أن يشاركه فيكِ أحدٌ حتى لو كان من لحمك ودمك.

كوني له زوجة يا ابنتي، وكوني له أمّاً، اجعليه يشعر أنك كلُّ شيءٍ في حياته وكل شيءٍ في دنياه. اذكري دائماً أن الرجل أي رجل ـ طفل كبير ـ أقل كلمة حلوة تسعده.

لا تجعليه يشعر أنه بزواجه منك قد حرمك من أهلك وأسرتك، إنّ هذا الشعور نفسه قد ينتابه هو، فهو أيضاً قد ترك بيت والديه وترك أسرته من أجلك، ولكن الفرق بينك وبينه، هو الفرق بين

المرأة والرجل، المرأة تحنُّ دائماً إلى أسرتها، إلى بيتها الذي وُلدتْ فيه ونشأتْ وكبرتْ وتعلّمتْ. ولكن لا بد لها أنْ تُعَوِّدَ نفسها على هذه الحياة الجديدة، لا بد لها أنْ تكيّفَ حياتها مع الرجل الذي أصبح لها زوجاً وراعياً وأباً لأطفالها، هذه هي دنياك الجديدة.

يا بنيتي، هذا هو حاضرك ومستقبلك، هذه هي أسرتك التي شاركتما أنت وزوجك في صنعها، أمّا أبواك فهما ماضٍ.

إنني لا أطلب منك أن تنسي أباك وأمك وإخوتك، لأنهم لن ينسوك أبداً يا حبيبتي، وكيف تَنْسَى الأمُّ فلذةَ كبدها. ولكنني أطلب منك أن تحبي زوجك وتعيشي له، وتسعدي بحياتك معه.

[تحفة العروس لمحمد مهدي]

❋ ❋ ❋

(وصية أب لابنته)

بنيتي، اعلمي.

١ - أنَّ هناءَك مرتبط ارتباطاً متيناً بهناءِ زوجك، بحيث لا مهربَ لأحدكما من أن يكون سبب سعادة الآخر، أوْ عِلّةَ شقائه، فاحْذري أول نفور يحدث بينك وبين زوجك، فلربما يتبعه نفور آخر إلى ما لا نهاية له.

٢ - أطيعي زوجك جهد استطاعتك واجْتنبي الهزءَ والسخرية والأحاديث المجونية، وإيَّاك والمغالاة في الغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وإيَّاك وكثرة العتب، فإنه يُورث البغضاء.

٣ - حافظي على صحتك وتجنّبي ما يشوه الوجه من الأصباغ المغرية.

٤ ـ احملي بكل بساطة ما يجب عليك حمله، واعلمي أنّ الشؤون الخارجية هي من خصائص زوجك، أمّا الداخلية فتخصّك أنتِ.

٥ ـ نظّمي شؤونك المنزلية ولا تطلعي أحداً على أسرارك.

٦ ـ لا تَفُضّي رسائله بدون إذنه، أو تلحّي عليه في معرفة ما لا يريد إخبارك به.

٧ ـ احفظي لنفسك أسباب اختلافك معه، ولا تجعلي غيره يطلع عليها.

٨ ـ اعلمي أن كل رجل لطيف يقدر المرأة التي عندها من الكياسة، وحُسْن الذوق والسياسة ما يجعلها تكتم في صدرها معظم شكاويها، ولا تقلقه بأن تكرر على مسمعه في كل حديث المسائل البيتية الصغيرة التي تضايقه.

٩ ـ إذا زرتك مرات عديدة متوالية، بدون أن أراك، فإنَّ ذلك يحزنني، وإذا وجدتكم وأسعدني الحظ بأنْ أراكِ تهتمين بشؤونك كما أتمنى، فإنّ قلبي يفيض فرحاً وسروراً.

١٠ ـ احْتفظي بهذه النصائح وطالعيها على الأقل مرة كل شهر، وأستودعك الله.

[التبيان فيما يحتاج إليه الزوجان للياسين]

❋ ❋ ❋

(نصيحة زوجة حنكتها التجارب)

❁ قالت امرأة تنصح الزوجات: لا يعطف قلب الرجل على المرأَة سوى استمالتها إياه إلى ملازمة البيت بما تستطيع أن تستجمعه فيه من الوسائل التي تجذبه إلى ملازمته، والتي منها:

١ - أن تحافظ على مظهرها النسوي، وتتجنّب التشبُّه بالرجال لتبقى متّصفة بخصائص المرأة أو مميزاتها، ولتعلم أن الزوج يحب أن تكون زوجته في داره كالشمس في سمائها لا يحجبها من العبوسة والتجهم سحابٌ قاتم لا سيما إذا دخل عليها عابس الوجه بسبب لا علاقة لها به، وأن تكون ملمّة بآداب المحادثة، تسكت حين يجب السكوت ولا تقاطعه إذا واصل حديثه، ولا ترفع صوتها إذا حدَّثته جاعلة الصدق رائدها في كل حالٍ، فإنّ الصدق مُنجٍ لها من ورطات الشك في محبتها وإخلاصها.

٢ - إذا أنِسَتْ من نفسها تفوقاً وذكاءً وسعةً في العلم فلتكتم نصف ذكائها وعلمها، مستعيضة عنه بمظاهر الإخلاص والوفاء والعطف لتكسب ميله إليها وعطفه عليها واحترامه إياها.

٣ - أن تعلم أن الزوج لا يطيق من زوجته أن تعامله بالفتور والتراخي وقلّة الاكتراث، فلتحذر هذه العادات، ولتواسِ زوجها بكلمة سلوان تقع من قلبه موقع المرهم من الجرح.

٤ - أن تكون مدبرة مقتصدة، فإذا وافاها بشيءٍ من المال للإنفاق منه على شؤون البيت، فممَّا يسره السرور كله أن يراها تحكم الروية والقصد في إنفاقه بحيث لا ينقص شيء من حاجيات المعيشة ووسائل هنائها، كما يسرُّه أن يراها من الذكاء والاطلاع بحيث تفهم ما يحدثها به.

إن اتَّبعتْ الزوجة هذه النصائح، فسوف يقضي الزوج أوقات فراغه في المنزل مع زوجته يحادثها ويؤنسها ويقاطع القهاوي والملاهي التي هي من مزالق الشر ومساقط الفساد.

[التبيان فيما يحتاج إليه الزوجان للياسين]

❋ ❋ ❋

(وصايا الزوجة اليابانية)

عندما تتزوج الفتاة اليابانية تلقي عليها أمها الوصايا العشر الآتية لكي تعمل بها مدى حياتها:

١ - عند زواجكِ عاملي حمويكِ وانظري إليهما كما لو كانا والديكِ.

٢ - زوجكِ هو رقيبكِ ورئيسكِ، فتواضعي له، واعلمي أنّ طاعة المرأة لزوجها أسمى حلية تتحلّى بها.

٣ - انبذي الغيرة، لأنها تجعل زوجكِ يكرهكِ.

٤ - إذا وجدتِ ما يسوءك من زوجك، فاكظمي غيظك ثم خاطبيه بلطف.

٥ - دعي عنك الثرثرة والقيل والقال.

٦ - لا تستشيري العرَّافين.

٧ - الزمي الاقتصاد.

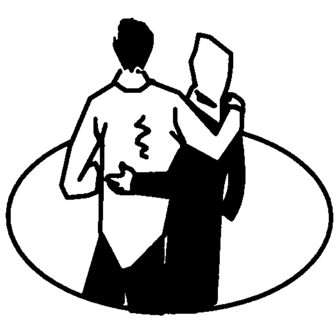
٨ - لا تفتخري بمكانة والديكِ وثروتهما، وبخاصة أمام أُسرة زوجكِ.

٩ - لا تصاحبي صغار الشابات والشبان ولو كنتِ في عمرهم.

١٠ - انتبهي إلى نظافة ثيابكِ، والزمي الاحتشام وتجنَّبي التبرُّج.

[أغرب عجائب المرأة لعبدالفتاح]

خطبة النكاح



خطبة النكاح

❁ حضر المأمون إملاكاً وهو أمير، فسأله من حَضَرَ أنْ يخطبَ فقال:

المحمودُ اللَّهُ، والمصطفى رسولُ الله، وخيرُ ما عُمِلَ به كتاب الله؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [سورة النور/٣٢]؛ ولم يكن في المناكحة آيةٌ مُنزَّلة ولا سُنَّةٌ متَّبَعَة إلا ما جعل الله في ذلك من تآلف البعيد وبرِّ القريب، وليُسارعَ إليها الموفّق ويبادر إليها العاقل اللبيب. وفلان من قد عرفتُمُوهُ، في نَسَبٍ لم تجهلوه، خطب إليكم فلانة فتاتكم، وقد بذل لها من الصَّداق كذا، فشفّعوا شافعنا، وأنكحوا خاطبنا، وقولوا خيراً تُحمدوا عليه وتُؤجَروا؛ أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ حدَّث أبو عثمان قال: مررتُ بحاضِرٍ وقد ٱجْتُمِعَ فيه، فسألتُ بعضَهم: ما جَمَعَهم؟ فقالوا: هذا سيِّدُ الحيّ يريدُ أنْ يتزوَّجَ مِنّا فتاةً؛ فوقفتُ أنظر، فتكلَّمَ الشيخُ فقال: الحمدُ للَّهِ، وصلى الله على رسول الله، أما بعد ذلك، ففي غير مَلالةٍ من ذِكرِه والصلاة على رسوله؛ فإن الله جعل المناكحة التي رضيها فِعْلاً وأنزلها وحياً سبباً للمُناسبة. وإنّ فلاناً ذكر فلانة وبذَلَ لها الصَّداقَ كذا، وقد زوَّجتُهُ إياها، وأوْصَيْتُهُ بوصِيَّةِ الله لها. ثم قال للفتيان على رأسِهِ: هاتوا نثاركم، فقُلِبَتْ على رؤوسنا غرائرُ التمر.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ وخطب أبو طالب بن عبدالمطلب لرسول الله ﷺ في تزوّجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوباً، وجعلنا الحكامَ على الناس، ثمّ إنَّ محمد بن عبدالله ابن أخي، من لا يُوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه برّاً وفضلاً وكرماً وعقلاً ومجداً ونُبْلاً، وإنْ كان في المال قِلٌّ، فإنما المال ظِلٌّ زائل، وعارية مسترجعة. وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعليَّ.

[الكامل في اللغة والأدب للمبرد]

❁ قال الأصمعي: كان رجالاتُ قريش من العرب تَسْتَحِبُ من الخاطب الإطالة ومن المخطوب إليه الإيجاز.

أتى رجلٌ عمرَ بن عبدالعزيز يخطبُ أُخته، فتكلَّمَ بكلام جازَ الحفظ، فقال عمر: الحمد للَّهِ ذي الكبرياء وصلى الله على خاتَم الأنبياء، أما بعدُ، فإنَّ الرَّغبةَ منك دَعَتْ إلينا، والرَّغبة فيك أجابتْ مِنَّا؛ وقد زوَّجناك على ما في كتاب الله: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾.

❁ وقال شَبَّة بن عَقّال: ما تمنّيْتُ أَنَّ لي بقليلٍ من كلامي كثيراً من كلامِ غيري إلا يوماً واحداً، فإنّا خرجنا مع صاحبٍ لنا نُريدُ أنْ نزوِّجه، فمررنا بأعرابيٍّ فأتْبَعَنا، فتكلّم مُتكلِّمُ القوم فجاء بخطبةٍ فيها ذكرُ السمٰوات والأرض، فلما فرغَ قلنا: من يُجيْبُه؟ قال الأعرابيُّ: أنا، فجثا لركبتِهِ ثم أقبل على القومِ فقال: واللَّهِ ما أدري ما تحتاطك وتلصاقك منذ اليوم! ثم قال: الحمدَ لله ربّ العالمين وصلى الله على محمدٍ خير المرسلين. أما بعد، فقد توسّلْتَ بحُرْمةٍ، وذكرتَ حقّاً، وعظّمتَ عظيماً، فحبلك موصول، وفرضك مقبول؛ وقد زوَّجناها إيّاك، وسلّمناها لك؛ هاتوا خبيصكم.

[الخبيص: ضرب من الحلوى من التمر والسمن].

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❊ وقال ابن عائشة: زوّجَ سَلْمُ بن قتيبة ابنتَهُ من يعقوب بن الفضل، فقال: الحمد لله، قد مَلَكْتَ باسمِ اللَّهِ.

[المرجع السابق]

❊ خطب بِلال على أخيهِ امرأةً من بني حِسْل من قريش؛ فقال: نحن من قد عرفتم، كنا عبدين فأعتقنا الله، وأنا أخطب على أخي خالدٍ فلانة، فإنْ تُنْكِحُوهُ فالحمد لله، وإنْ تَرُدُّوه فالله أكبر، فأقبل بعضهم على بعضٍ فقالوا: هو بلال؛ وليس مِثْلُهُ يُدْفَع، فزَوَّجوا أخاه.

فلما انصرفنا قال خالدٌ لبلال: يغفر اللَّهُ لكَ! ألاَ ذكرتَ سوابِقَنا ومشاهِدَنا مع رسول الله ﷺ؟ قال بلال: مَهْ! صدقتُ فأنكحكَ الصِّدقُ.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❊ كان الحسنُ البصري يقول في خطبة النِّكاح بَعْدَ حمد الله والثناءِ عليه: أمَّا بعد؛ فإنَّ الله جمع بهذا النكاح الأرحام المتقطعة، والأسبابَ المتفرقة، وجعل ذلك في سُنّةٍ من دينهِ، ومنهاجٍ واضحٍ من أمْرِهِ؛ وقد خطب إليكم فلان وعليه من الله نعمة، وهو يَبذُلُ من الصَّداق كذا، فاستخيروا اللَّهَ ورُدُّوا خيراً يرحمكم الله.

[المرجع السابق]

❊ قال العُتْبِيُّ: لما زوَّجَ شَبيبٌ ابنه ابنةَ سَوَّار القاضي قُلنا: اليوم يَعُبُّ عُبَابُهُ، فلمّا اجتمعوا تكلّم فقال: الحمدُ لله، وصلى الله على رسول الله. أما بعدُ؛ فإنَّ المعرفة منا ومنكم وبنا وبكم تمنعنا من الإكثار؛ وإنَّ فلاناً ذكر فلانة.

[المرجع السابق]

❊ وقال العُتبي: حَدّثني رجل قال: حضرتُ ابنَ الفقير يخطبُ على نفسِهِ امرأَةً من باهلَةَ، فقال:

فما حَسَنٌ أنْ يَمدحَ المرءُ نفسَهُ ولكنَّ أخلاقاً تَذُمُّ وتَمْدَحُ

وإنَّ فلانة ذُكِرَتْ لي.

[المرجع السابق]

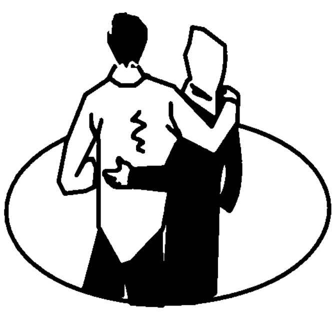
❀ خطب عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان إلى عتبة بن أبي سفيان ابنته، فأقعده على فخذه، وكان حدثاً فقال: أقرب قريب، خطب أحبَّ حبيب، لا أستطيع له ردّاً، ولا أجدُ من إسعافه بُدّاً، وقد زوجتكها وأنت أعزُّ عليَّ منها، وهي ألصق بقلبي منك، فأكرمْها يعذُبْ على لساني ذكرك، ولا تُهِنْها فيصغُر عندي قدرُك، وقد قرّبتُكَ مع قرْبك، فلا تُبْعِدْ قلبي من قلبك.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

❀ خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب حكيم العرب ابنتَهُ عمرة ـ وهي أم عامر بن صعصعة ـ فقال: يا صعصعة، إنك أتيتني تشتري مني كبدي، فارحمْ ولدي، قبلتُك أو رددتُك، والحسيب كفء الحسيب، والزوج الصالح أبٌ بعد أب، وقد أنكحتُك خشيةَ أن لا أجد مثلك، أفِرُّ من السِّرِّ إلى العلانية. يا معشر عدوان، خرجتْ من بين أظهركم كريمتكم، من غير رغبةٍ ولا رهبة، وأُقسم لولا قسمُ الحظوظ على الجدود، ما ترك الأولُ للآخر ما يعيشُ به.

[المرجع السابق]

أوصاف النساء المحمودة



أوصاف النساء المحمودة

❁ قال تعالى: ﴿.. فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ...﴾.

[سورة النساء/٣٤]

❁ عن سلمان بن يسار مرسلاً، قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير نسائكم الولود الودود، المواسية المواتية إذا اتَّقينَ الله، وشر نسائكم المتبرِّجات المتخيِّلات، وهُنَّ المنافقات لا يدخلُ الجنة منهُنَّ إلا مثلُ الغُراب الأعصم»**.

[صحيح الجامع الصغير/٣٣٣٠]

❁ ❁ ❁

(حُسْن اختيار الزوجة)

❁ قال أبو الأسود الدؤلي لبنيهِ: قد أحسنتُ إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا. قالوا: وكيف أحسنتَ إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترتُ لكم من الأمهات من لا تُسَبُّون بها.

قال الرياشي:

فأولُ إحساني إليكم تخيُّري ... لماجدة الأعراقِ بادٍ عفافُها

❁ ❁ ❁

(ما يُستَحبُّ في النساء)

❃ قال ملك لبعض حاشيته: صفوا لي ما تحبونه من النساء؟

فقال الأول: أُحِبُّ فيهنَّ: القدود، والخدود، والنهود.

وقال الثاني: أُحبُّ فيهنَّ: الأطراف، والأعطاف، والأرداف.

وقال الثالث: أحب فيهنَّ: الشعور، والثغور، والنحور.

وقال الرابع: أحب فيهن: الجمال، والدلال، والاعتدال.

وقال الخامس: أحب منهنَّ: الحواس، واللمس، والهمس.

وقال السادس: أحب منهنَّ: الرقيقة، والأنيقة، والرشيقة.

❃ قال ابن الدُّمينة: جَلَسَ أعرابيٌّ في حَلْقَة يُونُس بن حبيب فتذاكروا النساء وتفاوضوا في أوصافِهنَّ، فقالوا للأعرابي: أيُّ النساء أفضلُ عِنْدكَ؟ قال: البيضاءُ العَطِرَة، اللَّيِّنَةُ الخَفِرَة.

❃ قدم قيس بن زهير على النمر بن قاسط، فقال: يا معشر النمر، نزعتُ إليكم غريباً حزيناً، فانظروا لي امرأة أتزوجها، قد أذَلَّها الفقر، وأدَّبها الغنى، لها حسبٌ وجمال.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

❃ وقال أبو العباس أمير المؤمنين لخالد بن صفوان: يا خالد، إنَّ الناس قد أكثروا في النساء؛ فأيُّهنّ أعجبُ إليك؟ قال: أعجبهنَّ يا أمير المؤمنين التي ليْسَتْ بالضَرَع الصغيرة، ولا الفانية الكبيرة، وحسبك مِن جمالها أن تكون فخمة من بعيد، مليحة من قريب، أعلاها قضيب وأسفلها كثيب، كانت في نعمة ثم أصابتها فاقة، فأترفها الغِنَى وأدّبها الفقر.

[المرجع السابق]

❃ قال معاوية لصعصعة: أيُّ النساء أحب إليك؟ قال: المواتية لك فيما

تهوى. قال: فأيهنَّ أبغض إليك؟ قال: أبعدهنَّ لما ترضى. قال معاوية: هذا النقد العاجل. فقال صعصعة: بالميزان العادل.

[المواتية: الخاضعة والراضية].

[أبعدهن لما ترضى: أي: المخالفة لأهوائه].

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ إنَّ مما يجمل بالمرأة أنْ تُعْنَى بِشَعَرِها، فإنَّ شَعَر المرأةِ له مكانته في جمالها، وقد قالوا في وصاياهم: إذا تَزَوَّج أحدُكم المرأة فليسألْ عن شَعَرِها، فإنَّ الشَعَر أحدُ الوَجهين.

[دولة النساء للبرقوقي]

❋ قال أبو الفرج الأصبهاني: أكثرُ البُصَراءِ بجواهر النساء الذين هم جهابِذَةُ النَّقد يُقَدِّمُون المجدولةَ التي تكونُ بين السَّمينة والممشوقة، ولا بد أن تكون كاسية العظام، ولذلك قالوا: كأنَّها غُصْنُ بانٍ وقضيبُ خيزُران وجَدْلُ عِنان، قال: والتَّثَنِّي في مَشْي المرأة أحسنُ ما فيها، ولا يمكنُ ذلك مع السِّمَن.

❋ كان الفرزدق يُفَضِّلُ زوجتَه حدْراء على زوجته النّوار، وكانت حدراء عربية هيفاء مجدولة، وكانت النّوار حضرية جسيمة.

❋ وسُئِلَتْ جُمْعَة بنتُ حابس ـ وهي حكيمة من حكيمات العرب ـ: أي النساء أحَبُّ إليك؟ فقالت: أُحِبُّ الغَريرة العذراء الرُّعبوبة العيطاء، الممكورة اللفاء، ذات الجمال والبهاء، والسِّتر والحياء، البَضَّة الرَّخْصَة كأنها فِضة بيضاء.

[الغريرة: الطيبة القلب. الرعبوبة: البيضاء الحلوة الناعمة. العيطاء: الطويلة العنق. الممكورة: الممتلئة الساقين. اللفاء: السمينة الطويلة. البضة: اللينة الجسد الناعمة الجلد الممتلئة. الرخصة: اللينة الناعمة].

[دولة النساء للبرقوقي]

❁ وقال الفرزدق:

يأنَسْنَ عِنْدَ بُعُولِهِنَّ إذا خَلَوْا ... وَإذا هُمُ خَرجُوا فهُنَّ خَفَارُ

❁ وقال الشاعر القروي:

بناتُ حوَّاءَ أعشابٌ وأزْهَارُ ... فاسْتَلْهِم العقْلَ وانْظُرْ كيفَ تَخْتَارُ
ولا يَغُرَّنَّكَ الوَجْهُ الجميلُ فكمْ ... في الزهرِ سمٌّ وكم في العُشْبِ أَعْقارُ

❁ وقال المدائني عن أبان بن تغلب قال: قالت أعرابية لابنتها: أزوجك، فامتنعت عليها حيناً، ثمَّ قالت: يا أُمَّه، إنْ كنت لا بدّ فاعلة فجنِّبيني ذا السِّنِّ الكبير لا أتعجله، فإنّ فيه قلّة النّشاط، وعجزه الولد، واجعلي عمُود رغبتك في ذي الخُلُق الحَسَن ولابس ثوب الشكر، وإنْ كان لا شيءَ خيرٌ من الكبير ذي الحدَّة، وإذا أرسلت فأرسلي حكيماً، قال: فليتني كنتُ عزباً ما فاتتني حتى أتزوجها.

❁ وكتب الحجاج بن يوسف الثقفي إلى الحكم بن أيوب أن يَخْطُبَ على ابنه عبدالملك امرأةً جميلةً من بعيد مليحةً من قريب، شريفةً في قومها ذليلةً في نفسها، أمَةً لبعلها، فكتب إليه: إني قد أصبتُها، وهي خولة بنت مِسْمَعٍ، لولا عِظمُ ثَدْيَيْها!

فكتبَ إليه الحجاج: لا يَحْسُنُ نحرُ المرأة حتى يَعْظُمَ ثَدْياها، وزَوَّجَها ابنه.

[دولة النساء. للبرقوقي]

❁ وجاء في أمالي القالي عن عمرو بن العلاء: كان لرجل من مَقَاوِلِ حِمْيَر ابْنانِ يقال لأحدهما: عَمْرو وللآخر: رَبيعة، وكانا قد بَرَعَا في الأدب والعلم، فلما بلغ الشَّيْخُ أقْصى عُمُرِهِ وأشْفَى على الفناء، دعاهما ليَبْلُوَ عُقُولهما، ويعرفَ مَبْلَغَ علمهما، فلما حَضَرا قال لعمرو ـ وكان الأكبر ـ: أخْبرني يا عمرو، أي النساء أحبُّ إليك؟ قال: الهِرْكَوْلَةُ

اللَّفَّاء[١]، الممكُورَةُ الجِيداء[٢]، التي يشفي السقيمَ كلامُها، ويُبْرِي الوَصِبَ إلمامُها[٣]، التي إنْ أحْسَنْتَ إليها شَكَرَتْ، وإنْ أسأْتَ إليها صَبَرَتْ، وإنْ ٱسْتَعْتَبْتَها أعْتَبَتْ[٤]، الفاتِرَةُ الطرْفِ، الطَّفْلةُ الكفّ[٥]، العَمِيمَةُ الرِّدْف.

قال: ما تقولُ يا ربيعةُ؟ قال: نَعَتَ فَأَحْسَنَ، وغيرُها أحَبُّ إلـيَّ مِنْها، قال: ومَنْ هي؟ قال: الفَتَّانَةُ العينين، الأسِيلَةُ الخدَّين، الكاعِبُ الثَّدْيَيْن، الرَّداحُ[٦] الوَرْكَيْن، الشَّاكِرَةُ للقلِيل، المساعِدَةُ للحَليل[٧]، الرَّخيمة الكلام[٨]، الجَمَّاء العِظام[٩]، الكريمة الأخوال والأعمام، العَذْبَة اللِّثام[١٠].

❁ وقال أحمد بن جعفر في الصفات المرغوبة في المرأة:

صِفاتُ مَنْ يَسْتَحِبُّ الشَّرْعُ خطْبَتَها ... جَلْوَتُها لأُولي الألبابِ مُخْتَصَرا
صَبِيَّةٌ ذاتُ دِينٍ زَانَهُ أدَبٌ ... بِكْرٌ وَلُودٌ حَكَتْ في نَفْسِها القَمَرا
غَرِيْبَةٌ لم تَكُنْ مِنْ أهْلِ خاطِبِها ... تِلْكَ الصِّفاتُ التي أجْلُو لِمَنْ نَظَرا
فيها أحادِيثُ جاءَتْ وهي ثابِتَةٌ ... أحَاطَ عِلْماً بِها مَنْ في العُلُوم قَرَا

❁ وقال شاعر آخر محدِّداً السن المرغوبة في الزواج:

مَطِيَّاتُ السُّرورِ فُوَيْقَ عَشْرٍ ... إلى العِشْرين ثُمَّ قِفِ المَطَايَا
فإنْ جُزْتَ المَسِيرَ فَسِرْ قليلاً ... وَبِنْتُ الأرْبَعِين مِنَ الرَّزَايا

[المستطرف للأبشيهي]

(١) الهركولة: الحسنة الجسم والخلق والمشية. اللفاء: الملتفة اللحم.
(٢) الممكورة: المطوية الخلق. الجيداء: ذات عنق طويل حسن.
(٣) الوصب: المريض. إلمامها: قربها.
(٤) استعتبتها: طلبت منها العُتْبى، فأعتبت أي أرضتك.
(٥) الطفلة الكف: أي الرخصة الناعمة.
(٦) الرداح: الثقيلة العجيزة الضخمة الوركين.
(٧) الحليل: الزوج.
(٨) الرخيمة: اللينة الكلام الناعمة.
(٩) الجماء العظام: التي لا يوجد لعظامها حجم.
(١٠) العذبة اللثام: المراد موضع اللثام.

❀ وقال خالد بن صفوان:

عليكَ إذا ما كنتَ في الناسِ ناكحاً بذاتِ الثنايا الغُرِّ والأعْيُنِ النُّجْلِ

❀ قال عبدالملك بن مروان لرجل من غطفان: صفْ لي أحسن النساء؟ قال: خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين، دَرْماء الكعبين[١]، ناعمة الساقين، ضخماء الركبتين، لفاء الفخذين، ضخمة الذراعين، رَخْصَة الكفين[٢]، ناهدة الثديين، حمراء الخدين، كحلاء العينين، زجاء الحاجبين[٣]، غيداء العنق[٤]، مكسرة البطن، لمياء الشفتين[٥]، بلجاء الجبين[٦]، شمَّاء العرنين[٧]، شنباء الثغر[٨]، محلولكة الشعر[٩]؛ فقال: ويحك وأين توجد هذه؟ قال: تجدها في خالص العرب، وفي خالص فارس.

[المستطرف للأبشيهي]

❀ ❀ ❀

❀ (أيّ النساء أفضل؟)

❀ جاء في أمثال الميداني: (كل فتاةٍ بأبيها مُعْجَبَةٌ) يُضربُ في عُجْب الرجل برهطه وعشيرته. وأول مَنْ قال ذلك العَجْفاءُ بنت علقمة السعدي، وذلك أنها وثلاث نسوة من قومها خَرَجْنَ فاتَّعَدْنَ بروضةٍ

(١) دَرْماء الكعبين: مملوءة الكعبين.
(٢) رَخصة الكفين: ناعمة الكفين.
(٣) زجاء الحاجبين: أي رقيقة الحاجبين.
(٤) غيداء العنق: طويلة العنق.
(٥) لمياء الشفتين: اللمى: سمرة أو سواد في باطن الشفة.
(٦) بلجاء الجبين: أي مشرقة الجبين.
(٧) شمّاء العرنين: أي ذات أنفة، والعرنين هو الأنف.
(٨) شنباء الثغر: أي حلوة الأسنان.
(٩) محلولكة الشعر: أي سوداء الشعر.

يتحدثن فيها، فوافَيْنَ بها ليلاً في قمرٍ زاهر، وليلة طَلْقَة ساكنة، وروضة مُعْشِبة خَضْبة، فلما جلسنَ قلن:

ما رأينا كالليلة ليلة، ولا كهذه الروضة روضة، أطيب ريحاً ولا أنْضر، ثم أفَضْنَ في الحديث فقلن: أي النساء أفضل؟ قالت إحداهن: الخَرُود الودُود الولُود. قالت الأخرى: خَيْرُهن ذات الغَنَاء وطيب الثناء، وشدة الحياء. قالت الثالثة: خيرهن السَّمُوع الجمُوع النَّفُوع، غير المنوع. قالت الرابعة: خيرهن الجامعة لأهلها، الوادعة الرافعة، لا الواضعة؛ قُلن: فأي الرجال أفضل؟ قالت إحداهن: خيرهم الحَظِيُّ الرَّضِيُّ غير الحظَّال[1] ولا التَّبَّال[2]. قالت الثانية: خيرهم السيد الكريم، ذو الحسب العميم، والمجد القديم. قالت الثالثة: خيرهم السخِيُّ الوفي الذي لا يُغِيرُ الحرة، ولا يتخذ الضرة. قالت الرابعة: وأبيكن إنَّ في أبي لنَعْتَكُنَّ، كرم الأخلاق، والصدق عند التلاق، والفلج عند السباق، ويحمده أهل الرفاق.

قالت العجفاء عند ذلك: كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعْجَبة.

[مجمع الأمثال للميداني]

***

(محاسن أَخلاق النّساء وسائر أوصافهنّ)

- إذا كانت حَيِيَّة فهي خَفِرَةٌ وخَرِيدَةٌ.
- فإذا كانت مُنْخَفِضَةَ الصَّوْتِ فهي رَخِيمة.
- فإذا كانت مُحِبَّةً لِزَوْجِها مُتَحَبِّبَةً إليها فهي عَرُوب.
- فإذا كانت نَفُوراً من الرِّيبة فهي نَوَار.

(١) الحظَّال: المقتر المحاسب لأهله على ما ينفقه عليهم.
(٢) التَّبَّال: الحقود.

- فإذا كانت عفيفةً فهي حَصَانٌ.
- فإذا أحْصَنَها زوجُها فهي مُحْصَنَةٌ.
- فإذا كانت عامِلةَ الكَفَّين فهي صَنَاعٌ.
- فإذا كانت خَفِيفَةَ اليدَين بالغَزْلِ فهي ذَرَاعٌ.
- فإذا كانت كثيرةَ الولد فهي نَثُورٌ.
- فإذا كانت قليلة الولد فهي نَزُورٌ.
- فإذا كانت تَتَزوَّجُ وابنُها رجُلٌ فهي بَرُوكٌ.
- فإذا كانت تَلِدُ الذُّكُورَ فهي مِذْكارٌ.
- فإذا كانتْ تَلِدُ الإناثَ فهي مِئْنَاثٌ.
- فإذا كانت تَلِدُ مَرَّةً ذكراً وَمَرَّةً أُنْثى فهي مِعْقابٌ.
- فإذا كانت تَلِدُ النُّجَباءَ فهي مِنْجابٌ.
- فإذا كانت مُطلَّقةً فهي مَرْدُودَةٌ.
- فإذا مات زوجُها فهي فَاقِدٌ.
- فإذا مات ولدُها فهي ثَكُولٌ.
- فإذا تَرَكَتْ الزِّينَةَ لموْتِ زوْجِها فهي حادٌّ ومُحِدٌّ.
- فإذا كانت لا تَحْظَى عند أزْواجها فهي صَلِفَةٌ.
- فإذا كانت غيرَ ذاتِ زوجٍ فهيَ أيِّمٌ وعَزَبَةٌ وأرْمَلَةٌ وفارِغةٌ.
- فإذا كانت ثيِّباً فهي عَوانٌ.
- فإذا كانت بِخَاتَم رَبِّها فهي بِكْرٌ وعَذْراءُ.
- فإذا بقيت في بَيْتِ أَبَوَيْها غَيْرَ مُزَوَّجَةٍ فهي عانِسٌ.
- فإذا كانت عَرُوساً فهي هَدِيٌّ.

- فإذا كانت جليلةً تظهرُ للناس ويجلِسُ إليها القَوْمُ فهي بَرْزَةٌ.
- فإذا كانت نَصْفاءَ عاقلةً فهي شَهْلَةٌ كَهْلَةٌ.

[فقه اللغة للثعالبي]

❋ ❋ ❋

(صفات في الجنة)

❋ نظر خالد بن صفوان إلى جماعة في مسجد البصرة، فقال: ما هذه الجماعة؟ قالوا: امرأة تدل على النساء، فأتاها وقال لها: أُريد أن أتزوج، فانظري لي امرأة كما أصف.

فقالت: صفها، قال: أُريدها مليحة من قريب، فخمة من بعيد، حصاناً عند جارها، ماجنة عند زوجها، فيها أدب النعمة، وذل الحاجة، لها عقل وافر، وخلق طاهر، وجمال ظاهر، نبيلة المعتقد، كريمة المحتد، رخيمة المنطق، لم يدخلها صلف، ولم يشن وجهها كلف، ريحها أرج، ووجهها بهج، لينة الأطراف، ثقيلة الأرداف، تتثنَّى تثني الخيزران، وتميل ميل السكران، حسنة المآق في حُسْنِ براق، لا الطول عابها، ولا القصر أزرى بها، إذا اجتمعنا كنا أهل دنيا، وإذا افترقنا كنا أهل دين وآخرة. فقالت له: أَصَبْتَها، قال: وأين هي؟ قالت: في الجنة. فمثل هذه لا توجد في دار الدنيا.

❋ ❋ ❋

(أحب كنائني)

❋ وقال الزبرقان بن بدر: أَحَبُّ كنائني إلـيَّ الذليلة في نفسها، العزيزة في رهطها، البرزة الحييَّة.

❋ ❋ ❋

(بيضاء البياض)

❃ وقال رجل لصاحبه: اْبغني امرأة بيضاء البياض، سوداء السواد، طويلة الطول، قصيرة القصر.

وقال آخر: أُريدها لا تؤهل داراً (أي: لا تجعل دارها آهلة بدخول الناس)، ولا تؤنس جاراً (أي: لا تؤنس الجيران بدخولها عليهم)، ولا تنفث ناراً (أي: لا تَنُمّ بين الناس).

وقال أعرابي لابن عمه: أطلبْ لي امرأة بيضاء، مديدة فرعاء، جعدة، تقوم فلا يصيب قميصها منها إلى مشاشة منكبيها.

❃ قال أبو الحسن الأخفش: من أحسن ما قيل في ترتيب أسنان النساء، قول ضمرة للنعمان بن المنذر، وقد سأله وصف النساء:

متى تَلْقَ بِنْتَ العَشْرِ قَدْ نُصَّ ثَديها ... كَلُؤْلُؤةِ الغَوَّاص يَهْتَزُّ جِيدُها
تَجِدْ لَذَّةً منها لِخِفَّةِ رُوحِهَا ... وغُرَّتِها والحُسْنُ بَعْدَ يزيدُها
وصاحبة العشرينَ لا شيءَ مِثْلُها ... فتِلْكَ التي تَلْهُو بها وَتُرِيدُها
وبنتُ الثَّلاثينَ الشِّفاءُ حديثُها ... هي العَيْشُ ما رقَّتْ ولا دُقَّ عُودُها
وإنْ تَلْقَ بنتَ الأرْبَعينَ فَغِبْطَةٌ ... وَخَيرُ النِّسا أوَدُّها وَوَلُودُها
وصَاحبةُ الخمسين فيها بقيَّةٌ ... مِنَ الحُسْنِ واللَّذاتِ صُلْبٌ عمُودُها
وصاحبةُ السِّتين لا خَيرَ عِنْدَها ... وفيها ضَيَاعٌ لا حَرِيصَ يُرِيدُها

[أمالي أبي القاسم الزجاجي]

❃ ❃ ❃

(أحسن النساء)

❃ سئل أعرابي عن أحسن النساء، فقال: أفضل النساء: أطولهنَّ إذا قامتْ، وأعظمهنَّ إذا قعدتْ، وأصدقهنَّ إذا قالتْ. التي إذا غضبتْ حلمتْ، وإذا ضحكتْ تبسَّمَتْ، وإذا صنعتْ شيئاً جودته. التي تلزم

بيتها، ولا تعصي زوجها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود، الولود، وكل أمرها محمود.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

***

(أربع نسوة يصفن بناتهنَّ)

❋ بعث النعمان بن امرىء القيس إلى نسوة من العرب منهنَّ فاطمة بنت الخرشب، وهي من بني أنمار بن بغيض، وهي أم الربيع بن زياد وإخوته، وإلى قيلة بنت الحسحاس الأسدية، وهي أم خالد بن صخر بن الشريد، وإلى تماضر بنت الشريد، وهي أُم قيس بن زهير وإخوته كلهم، وإلى الرواع النمريّة، وهي أُم يزيد بن الصّعق، فلما اجتمعن عنده قال: إني قد أخبرت بكنَّ وأردتُ أن أنكح إليكنَّ فأخبرنني عن بناتِكن؟!

فقالت فاطمة: عندي الفَتخاء العَجْزاء(١) أصفَى من الماء، وأرقّ من الهواء، وأحسن من السماء.

وقالت تماضر: عندي منتهى الوُصّاف، دفيَّة اللحاف، قليلة الخلاف.

وقالت الرواع: عندي الحلوة الجهمة(٢) لم تلدها أَمَة.

وقالت قيلة: عندِي ما يجمع صفاتهنّ، وفي ابنتي ما ليس في بناتهنَّ.

فتزوَّج إليهنَّ جميعاً.

[بلاغات النساء/١٧٧]

---

(١) الفتخاء: اللَّيِّنة أو فاترة الطرف. العجزاء: الكبيرة العجز.
(٢) الجهمة: الضخمة.

❁ يُسْتَحْسَنُ في المرأة طول أربعة وهُنَّ: أطرافها، وقامتها، وشعرها، وعنقها. وقصر أربعة: يدها، ورجلها، ولسانها، وعينها، فلا تبذل ما في بيت زوجها، ولا تخرج من بيتها، ولا تستطيل بلسانها، ولا تطمح بعينها. وبياض أربعة: لونها، وفرقها، وثغرها، وبياض عينها. وسواد أربعة: أهدابها، وحاجبها، وعينها، وشعرها. وحمرة أربعة: لسانها، وخدّها، وشفتها مع لَعَس، وإشراب بياضها بحمرة. ودقة أربعة: أنفها، وبنانها، وخصرها، وحاجبها. وغلظ أربعة: ساقها، ومعصمُها، وعجيزتها، وذاك منها. وسعة أربعة: جبينها، ووجهها، وعينها، وصدرها. وضيقُ أربعة: فمها، ومنخرها، وخرق أُذنها، وذاك منها.

[روضة المحبين لابن القيم]

❁ وقال محمد بن سيرين: ما رأيتُ على امرأةٍ أجمل من شحم، ولا رأيت على رجل أجمل من فصاحة.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

❁ ومن الصفات المحمودة في المرأة ما أشار إليه الأعشى في قوله:

لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الجِيْرانُ طَلْعَتَها ولا تَـراهـا لِـسِـرِّ الـجـارِ تَـخْـتَـتِـلُ

❁ وقال النابغة الذّبياني:

بَيْضاءُ كالشَّمْسِ وافَتْ يَوْمَ أَسْعَدها لَمْ تُؤْذِ أهْلاً ولَمْ تُفْحِشْ على جارِ

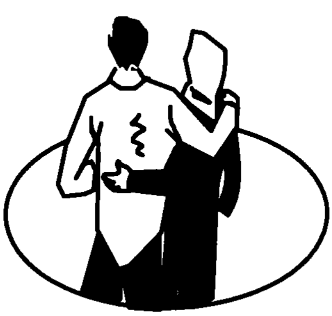
❁ قالوا: ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلاَّ استحقرته: بالسنّ والطول والمال والحسب. وأن تكون فوقه بأربع: بالجمال والأدب والورع والخُلق.

[المستطرف الجديد للعلوي]

❁ وعَدَّدَ الأديب مصطفى صادق الرافعي الصفات التي يجب توافرها في المرأة فقال في قصيدة بعنوان: (خير النساء):

رأيتُ نساءَ الزَّمان كثارا وحَسْبُكَ واحدةٌ في الزَّمان
فإنْ رُمْتَها فالتَمِسْ وَصْفَها فَقَدْ مُيِّزَتْ بصفاتٍ ثمان
بِوَجْهِ الجمالِ ورأسِ الذكاءِ وعينِ العفافِ وصِدْقِ اللِّسان
وقَلْبِ المُحِبِّ وصَدْرِ الصَّبُور ونَفْسِ الكمالِ ودَمِّ الحنان
وتِلْكَ هي السَّعْدُ مَنْ نالَها فَقَدْ صار مِنْ بيتِهِ في الجنان
ومَنْ لم يَكُنْ حُسْنُها هكذا فسُخْرِيَةٌ عَدُّها في الحسان

الولادة والولد



الولادة والولد

۞ قال تعالى: ﴿... لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ..﴾.

[سورة البقرة/٢٣٣]

۞ وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ...﴾.

[سورة الإسراء/٣١]

۞ عن أبي أيوب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من فرَّقَ بين والدةٍ وولدها، فرَّقَ اللَّهُ بينهُ وبين أَحِبَّتِهِ يوم القيامة**».

[صحيح الجامع الصغير/٦٤١٢]

۞ وعن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الولدُ ثمرةُ القلب، وإنَّهُ مَجْبَنَةٌ، مَبْخَلَةٌ، مَحْزَنَةٌ**».

[صحيح الجامع الصغير/٧١٦٠]

۞ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الولدُ منْ كَسْبِ الوالد**».

[صحيح الجامع الصغير/٧١٦٢]

۞ وفي (الصحيحين): من حديث البراء بن عازب، أنَّ ابنة حمزة اختصم فيها عليٌّ وجعفرٌ، وزيد. فقال علي: أنا أحقُّ بها وهي ابنة عمي. وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي. وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها رسول الله ﷺ لخالتها، وقال: «**الخالة بمنزلة الأُمّ**».

۞ روى أبو داود في (سننه): من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبدالله بن عمرو بن العاص، أنّ امرأة قالت: يا رسول الله، إنَّ ابني هذا كان بطني له وعاءً، وثديي له سقاءً، وحَجْري له حِواءً، وإنَّ أباه طلقني، فأراد أن ينتزعه مني، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أنتِ أحقُّ به ما لم تنكحي**».

[حديث حسن أخرجه أبو داود/٢٢٧٦]

۞ وعن يحيى بن سعيد قال: سمعتُ القاسم بن محمد يقول: كانت عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأة من الأنصار، فولدت له عاصم بن عمر، ثم إنَّ عمر فارقها، فجاء عمر قباء، فوجد ابنه عاصماً يلعب بفناءِ المسجد، فأخذ بعضده فوضعه بين يديه على الدَّابة، فأدركته جدَّة الغلام، فنازعته إياه حتى أتيا أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

فقال عمر: ابني، وقالت المرأة: ابني.

فقال أبو بكر: خلِّ بينها وبينه. فما راجعه عمر الكلام.

[رواه مالك في الموطأ]

۞ جاءت امرأة إلى عمر رضي الله عنه فقالت:

خَلُّوا الطريقَ عبادَ الرَّحمان أَخْبِرْ أميرَ المؤمنين بالشَّان
الحَمْلُ حَوْلٌ والرَّضاعُ حوْلان

ثم جلستْ، فقالت: إنَّ ابني هذا كان بطني له وعاء، وفخذي له حِواء، وثديي له سقاء، فلما بلغ منفعته وأدرك خيره أراد أبوه أن ينتزعه مِنّي، فنظر فإذا هو كأنَّه قد شبَّ فخيَّره.

[مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا]

۞ يحدثنا التراثُ عن امرأةٍ عربية هجرها زوجها عندما ولدت له بنتاً وكان يؤملُ أن تلد ابناً، فمرَّ ذات يوم بجانب دارها فسمعها تلاعبُ ابنتها وتقول:

مـا لأبـي حَـمْـزة لا يـأتـيـنـا   يَـظَـلُّ فـي الـبـيـتِ الـذي يَـلِـيـنـا
غَـضْـبـانَ ألاَّ نَـلِـدَ الْـبَـنِـيـنـا   تـالـلَّـهِ مـا ذلـك فـي أيْـدِيـنـا
وإنّـمـا نـأخُـذُ مـا أُعْـطِـيـنـا   ونـحـنُ كـالأرضِ لـزارعِـيـنـا
تُـنْـبِـتُ مـا قـد زَرعُـوهُ فـيـنـا

فَغَدا الشيخ حتّى ولجَ البيتَ، فقبّلَ رأسَ امرأتهِ وابنْتها.

[البيان والتبيين للجاحظ]

❋ ❋ ❋

(أبو الأسود وامرأته وابنهما)

تنازع أبو الأسود الدؤلي وامرأته في ابن لهما، وترافعا إلى زياد، وأراد كل أخذه، فقالت المرأة: أصلح الله الأمير، هذا ابني، كان بطني وعاءَه، وحجري فناءَه، وثديي سقاءَه، أكلؤهُ إذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم أزلْ بذلك سبعة أعوام، حتى استوفَى فصاله، وكملتْ خصاله، واستوكعتْ أوصالُهُ، وأمّلْتُ نفعه، ورجوتُ دفعه، أراد أن يأخذه مني كرهاً. فأنصفني فقد أراد قهري، وحاول قسْري.

فقال أبو الأسود: حملته قبل أنْ تحمله، ووضعته قبل أنْ تضعه، وأنا أقوم عليه في أدبه، وأنظر في تقويم أوده، وأمنحه علمي، وألهمه حلمي، حتى يكمل عقله، ويستكمل نبله.

فقالت المرأة: صدق أصلحك الله، حَمَلَهُ خِفّاً، وحَمَلْتُهُ ثقلاً، ووضعه شهوة، ووضعتُهُ كُرْهاً.

فقال زياد: أُردُدْ على المرأة ولدها فهي أحقُّ به منك، ودعنا من سجعك.

[من كتاب الحبّ عند العرب]

۞ وكتب ابن مُغيث المغربي إلى بعض الرؤساء، وقد جاءَته بنتٌ له فوجَمَ[١] لها وحزن حزناً شديداً:

لا تأْسَ إنْ رُختَ أباً لابْنةٍ ... تَكْظِمُ أشْجاناً إلى كاظِمَهْ[٢]
فإنَّ أبْنَاءَ نبيِّ الهُدَى ... كلُّهم مِن وَلَدَيْ فاطِمَهْ

فَحسُنَ موقعُ ذلك منه ووصله[٣].

[الوافي بالوفيات للصفدي]

۞ وقالت أعرابية ترقّص ولدها:

يا حَبَّذا ريحُ الوَلَدْ ... ريحُ الخُزَامَى في البَلَدْ[٤]
أهَكَذا كُلُّ وَلَدْ ... أم لم يَلِدْ قَبْلي أحَدْ

[شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد]

❋ ❋ ❋

(أولاد الأعجميات)

۞ قال الأصمعي: كان أهل المدينة يكرهون اتّخاذ أُمَّهاتِ الأولاد حتى نشأ فيهم عليُّ بن الحسين والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبدالله بن عمر، ففاقوا أهلَ المدينة فِقْهاً ووَرَعاً، فَرَغِبَ الناسُ في السَّراري.

فأُمّ علي بن الحسين المعروف بزين العابدين هي سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس، وهي أخت أمهات القاسم وسالم، وذلك أنَّ

(١) وجم: سكت وعجز عن التكلم.
(٢) لا تأس: لا تحزن. تكظم أشجاناً: تحبس في نفسك أحزاناً.
(٣) وصله: قدم له عطيّة.
(٤) الخزامى: نوع من الزهور.

الصحابة لمَّا أتوْا المدينة بِسَبْي فارس في خلافة عمر بن الخطاب كان منهم ثلاث بنات ليزدَجرد، فأمر عمر ببيْعهنَّ، فقال له علي بن أبي طالب: إنَّ بنات الملوك لا يعاملن معاملة السُّوقة، قال: وكيف الطريق معَهُنَّ؟ قال: يُقوّمن ومهما بلغ ثمنهنَّ قام به من يختارهنَّ، فَقُوِّمْنَ فاشتراهن علي بن أبي طالب ودَفَع واحدة لعبدالله بن عمر وأُخرى لولده الحسين وأُخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق، فأولد عبدالله أمته سالماً، وأولد الحسين أمته ولد زين العابدين، وأولد محمد بن أبي بكر أمته ولده القاسم.

قال المبرد: وكانت أم علي بن الحسين معروفة النسب خيّرة، وكان يقال لعلي بن الحسين: ابن الخيرتين، لقول رسول الله ﷺ: «**لله من عباده خِيرتان: فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس**».

[دولة النساء للبرقوقي]

۞ أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس، فقال: يا أبا بحر، ما تقول في الولد؟ قال: ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن له أرضٌ ذليلة، وسماء ظليلة، فإن طلبوا فأعطِهم، وإن غضبوا فأرْضِهم، يمنحوك ودَّهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك، ويحبُّوا وفاتك. فقال: لله أنت يا أحنف، لقد دخلتَ عليَّ وإني لمملوءٌ غضباً على يزيد، فَسَلَلْتَهُ من قلبي.

فلما خرج الأحنف من عنده بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم، ومائتي ثوب. فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب، شاطره إيّاها.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

۞ قال لابنة الخُسِّ أبوها يوماً: أيّ النساء خير؟ قالت: التي في بطنها غلام، تحمل على وركها غلام ـ إعرابها يقتضي النصب ـ يمشي وراءها غلام.

[ذيل الأمالي للقالي]

۞ قال الأصمعي: أُتِيَ المنصور بسارقٍ، فأُمر بقطع يده، فأنشأ يقول:

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها بحقويك مِن عارٍ عليها يُشِينُها
فلا خيرَ في الدنيا ولا في نعيمها إذا ما شِمالٌ فارقَتْها يمينُها

فقال: يا غلام! اقطعْ، هذا حدٌّ من حدود الله، وحق من حقوقه لا سبيل إلى تعطيله. قالت أُم الغلام: واحدي وكادي وكاسبي.

قال: بئس الواحد واحدك، وبئس الكاد كادك، وبئس الكاسب كاسبك. يا غلام! اقطعْ، فقالت: يا أمير المؤمنين، أمَا لكَ ذنوب تستغفر الله منها؟ قال: بلى. قالت: هَبْهُ لي، واجعلْ هذا من ذنوبك التي تستغفر الله منها.

[كتاب الأذكياء لابن الجوزي]

۞ وقالت أعرابية تتحسّر على ولد:

يا حَسْرَتا على ولَدْ أَشْبَهُ شيءٍ بالأَسَدْ
إذا الرجالُ في كَبَدْ تَغالبوا على نَكَدْ

[كتاب الدراري لابن العديم]

۞ سئل بعضهم عن ولد الرُّومِيَّة؟ فقال: صَلِفٌ، مُعْجَب، بخيل.

قيل: فَوَلد الصَّقْلَبِيَّة؟ قال: طَفِسٌ زَنِيم.

قيل: فَوَلد السَّودَاء؟ قال: شُجاع، سَخِيٌّ.

قيل: فولد الصفراء؟ قال: هُمْ أنجبُ أولاداً، وألينُ أجساداً، وأطيبُ أفواهاً.

قيل: فولد العَرَبِيَّة؟ قال: أنِفٌ حَسود.

قيل: فولد النُّوبيَّة؟ قال: فاسق.

قيل: فولد اليهودية؟ قال: دَغِلٌ قَذِر.

قيل: فولد الفارسية؟ قال: مَكرٌ وخديعة.

[دولة النساء للبرقوقي]

۞ دخل عمرو بن العاص على معاوية وبين يديه بنته عائشة، فقال: من هذه؟ فقال: هذه تفاحة القلب! فقال له: انْبُذْها عنك، فوالله إنَّهُنَّ لَيَلِدْنَ الأعداءَ، ويُقَرِّبْنَ البُعْداء، ويُوَرِّثْنَ الضَّغائن. قال: لا تقل ذاك يا عمرو، فوالله ما مَرَّضَ المرضَى، ولا نَدَبَ الموتَى، ولا أعانَ على الأحزان مِثْلَهُنَّ، ورُبَّ ابن أُخْتٍ نَفَعَ خاله.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

❋ ❋ ❋

۞ (يزيد بن الوليد بن عبدالملك)

۞ إنّ أوَّلَ ملكٍ وُلِدَ مِن سُرِّيَّة ـ أَمَة ـ في الإسلام هو يزيد بن الوليد بن عبدالملك، وذلك أنَّ قُتيبَة بن مسلم حين افتتحَ الصُّغْدَ وجد جاريتين من أولاد فيروز بن يَزْدَجِرْد، فبَعَثَ بهما إلى الحجاج، فبعث بِوَاحِدَةٍ منهما إلى الوليد بن عبدالملك فولدت له يَزيد، وكانت سُلافةُ أُمُّ زين العابدين عمة أُمّ يزيد.

[دولة النساء للبرقوقي]

۞ وقال المبرد في الكامل: أنشدني الرِّياشيّ:

إنَّ أولاد السَّراري كَثُروا يا ربِّ فينا
رَبِّ أَدْخِلْنِي بلاداً لا أَرى فيها هجينا

۞ وقال حطان بن المعلى:

ولولا بُنيَّاتٌ كَزَغْبِ القَطَا حُطِطْنَ مِنْ بَعْضٍ إلى بَعْضِ
لكانَ لي مُضْطَرَبٌ واسعٌ في الأرضِ ذاتِ الطول والعرضِ
وإنَّما أولادُنا بَيْنَنا أكبادُنا تَمْشِي على الأرضِ
لَوْ هَبَّتْ الريحُ على بعضهم لامْتَنَعَتْ عَيْني من الغَمْضِ

[جواهر الأدب للهاشمي]

۞ وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تُرَقِّصُ الحسين بن علي رضي الله عنهما وتقول:

وَابِـــأبـــي شِـــبْـــهُ الـــنَّـــبـــي لـــيْـــسَ شـــبـــيـــهـــاً بِـــعَـــلـــي

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

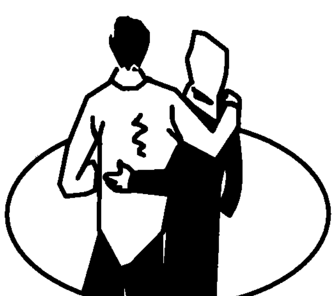
۞ وقال عبدالملك: أضَرَّ بنا في الوليد حُبُّنا له فلم نُؤَدِّبْهُ، وكأنَّ الوليد أدَّبنا.

[المرجع السابق]

۞ ونظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رجل يحمل طفلاً على عنقه، فقال: ما هذا منك؟ قال: ابني يا أمير المؤمنين! قال: أما إنَّه إنْ عاشَ فَتَنَكَ، وإنْ ماتَ حَزَنَكَ.

[المرجع السابق]

أبغض الحلال إلى الله



أبغض الحلال إلى الله

* الطلاق قبل الدخول... قال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾.

[سورة البقرة/٢٣٦، ٢٣٧]

* الطلاق الرجعي... قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾.

[سورة البقرة/٢٣١، ٢٣٢]

* الطلاق البائن... قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا

فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾.

[سورة البقرة/٢٢٩، ٢٣٠]

❋ عدة المطلقة من النسائي اللائي يحضن... قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ...﴾.

[سورة البقرة/٢٢٨]

❋ عدة المطلقة من اللائي يَئِسْنَ من المحيض واللائي لم يحضن... قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾﴾.

[سورة الطلاق/٤]

❋ عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنّه طَلَّقَ امرأَتَهُ وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ، فسألَ عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**مُرْهُ فليُراجعْها، ثم ليُمْسِكْها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إنْ شاءَ أمسكَ بعدُ، وإنْ شاءَ طلق قبل أن يَمَسَّ، فتلك العدة التي أمر اللّهُ أنْ تُطَلَّقَ لها النساء**».

[أخرجه البخاري ومسلم]

❋ وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبيَّ ﷺ، فقالت: يا رسول الله! ثابت بن قيس، ما أعْتِبُ عليه في خُلق ولا دين، ولكني أكْرهُ الكفر في الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**أتَرُدِّينَ عليه حديقته؟**»، قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ: «**اقبلِ الحديقة وطلِّقها تطليقةً**».

❋ وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاث جدُّهنَّ جِدٌّ وهزلُهُنَّ جدٌّ: النكاح، والطلاق، والرَّجْعة**».

[حديث حسن رواه أبو داود في سننه/٢١٩٤]

❋ وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيُّما امرأةٍ سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأسٍ فحرامٌ عليها رائحة الجنة**».

[حديث صحيح رواه أبو داود في سننه/٢٢٢٦]

❋ وقال رجل: أسلمتُ وعندي ثمان نِسوة، فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**اختَرْ منهنَّ أربعاً**».

[حديث صحيح رواه أبو داود في سننه/٢٢٤١]

❋ وعن الضحاك بن فيروز، عن أبيه، قال: قلتُ: يا رسول الله! إني أسلمتُ وتحتي أُختان، قال: «**طلِّقْ أيَّتَهما شِئْتَ**».

[حديث حسن رواه أبو داود في سننه/٢٢٤٣]

❋ وعن ابن عمر، قال: أسلمَ غيلان بن سلمة وتحته عشرُ نِسوةٍ، فقال له النبي ﷺ: «**خُذْ منهنَّ أربعاً**».

[حديث صحيح رواه ابن ماجه في سننه/١٩٥٣]

❋ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ طلَّقَ حفصةَ ثمَّ راجعَها.

[حديث صحيح رواه ابن ماجه في سننه/٢٠١٦]

❋ وعن أبي الأحوص، عن عبدالله، قال: طلاق السُّنَّةِ أَنْ يُطَلِّقَها طاهراً من غير جماع.

[حديث صحيح رواه ابن ماجه في سننه/٢٠٢٠]

❋ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أعظمَ الذنوبِ عند الله رجلٌ تزوَّجَ امرأةً؛ فلما قضى حاجته منها طلَّقها وذهب بمهرها، ورجلٌ استعمل رجلاً فذهب بأُجرتِهِ، وآخرُ يقتلُ دابَّةً عبثاً**».

[صحيح الجامع الصغير/١٥٦٧]

❋ ❋ ❋

(فداك أبي وأمي)

❋ رويَ أن رجلاً نظر إلى امرأته وهي صاعدة في السلم فقال لها: أنتِ طالق إنْ صعدتِ، وطالق إنْ نزلتِ، وطالق إنْ وقفتِ، فرمتْ نفسَها إلى الأرض، فقال لها: فداكِ أبي وأمي، إنْ مات الإمام مالك احْتاجَ إليكِ أهل المدينة في أحكامهم.

[من كتاب المستطرف]

❋ ❋ ❋

(أم الضحاك)

❋ كانت أُم الضحاك المحاربية، تحب زوجها حُبّاً شديداً، فطلّقها، فقالت:

سألتُ المحبين الذين تحملوا ... تباريح هذا الحب في سالف الدَّهر
فقلتُ لهم: ما يذهبُ الحب بعدما ... تبوأ ما بين الجوانح والصدر؟
فقالوا: شفاء الحب حبٌّ يزيلهُ ... من آخرٍ أو نأيٌ طويلٌ على هجر
أو اليأس حتى تذهلُ النفسُ بعدما ... رَجَتْ طمعاً واليأسُ عونٌ على الصبر

❋ ❋ ❋

(عاتكة بنت زيد)

* كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، عند عبدالله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، فأحبها، فكان ربما ترك الصلاة جماعة بسبب مكثه معها، لما اتصفت به من حسن الصورة وسماحة الخلق، مما دعا عبدالله إلى الانشغال بها. فأمره أبو بكر رضي الله عنه بطلاقها قائلاً له: قد فتنتك عن دينك، وشغلتك عن معيشتك، فطلَّقها وقال:

ولم أرَ مثلي طلَّقَ اليوم مِثلَها ... ولا مثلَها في غير جُرْم تُطَلَّقُ
لَهَا خُلُقٌ سَمْحٌ ورأيٌ ومَنْصِبٌ ... وخَلْقٌ سَويٌّ في الحياءِ وَمَصْدقُ
أعاتِكُ لا أنسَاكِ ما هبَّتِ الصَّبَا ... وما ناحَ قُمْرِيُّ الحمام المطوَّقُ
أعاتِكُ لا أنْسَاكِ ما حجَّ راكبٌ ... وما لاحَ نجمٌ في السماءِ مُحَلِّقُ
أعاتِكُ قلبي كلّ يومٍ وليلةٍ ... إليكَ بما تخفي النفوسُ مُعلَّقُ
ولولا اتّقاءُ الله في حقّ والدٍ ... وطاعتُه ما كان منَّا التفرُّقُ

فبلغ أبا بكر شعره فأمره فراجعها، وكانت عنده حتى مات شهيداً في حصار الطائف.

* * *

(القاضي والطلاق)

* جاءَت امرأة إلى القاضي، وذكرت أنَّ زوجها طلَّقها، فقال القاضي: أَلكِ بيِّنة؟ فقالت: نعم، جار لنا. قال: أحضريه. ولما أُحضِر الجار سأله القاضي: أسمعت طلاق هذه المرأة؟ فقال: يا سيدي، خرجت إلى السوق، فاشتريتُ لحماً وخبزاً ودبساً وزعفراناً، فقال له القاضي: ما سألتك عن هذا، هل سمعتَ طلاق هذه المرأة؟ قال: ثم تركته في البيت، وعدتُ فاشتريتُ حطباً وخلاً. فقال: دع هذا عنك. فقال: ما أحسن الحديث من أوله. لقد جلتُ في الدار جولة فسمعتُ صياحهم،

وسمعتُ الطلاق بالثلاث، فما أدري أهي طلقتُه، أم هو طلقها. فقال القاضي: لم تدعم حقّاً ولم تزهق باطلاً.

❋ ومن أقوال القدماء: ليس للرحمة معنى إلاّ العدل، وليس للطلاق معنى إلا الظلم.

❋ ❋ ❋

(طلاق مريح)

❋ طلّق رجل امرأته فقال:

رَحَلَتْ أُمَيْمَةُ بالطلاق ... وعُتِقْتُ من رِقِّ الوثاقِ
بَانَتْ فَلَمْ يَأْلَمْ لها ... قَلْبي ولمْ تَبْكِ المآقِ
لوْ لمْ أُرِحْ بطلاقِها ... لأَرَحْتُ نَفْسي بالإباقِ
ودواءُ ما لا تَشْتَهيهِ النفسُ ... تعجيلُ الفراقِ
والعيشُ ليْسَ يطيبُ بينَ ... اثنينِ في غيرِ اتِّفاقِ

[دولة النساء للبرقوقي]

❋ وقال جميل صدقي الزهاوي:

كم هَدَّ في الشرقِ بيتاً ... بعد الزَّواجِ الفراقُ
كَراهةٌ فَسِبابٌ ... فَرَكْلَةٌ فَطَلاقُ

❋ ❋ ❋

(لعلّك عاشق)

❋ قال الأصمعي: تَزوَّج أعرابيٌّ امرأةً من بني عقيل، فسمعها تتمثَّلُ ببيتِ غزل، فقال لها: ما هذا الذي تتمثَّلين به، لعلكِ عاشق، لئنْ سمعتُكِ تَعُودِين لِمِثل هذا لأضرِبَنّ ظهركِ وبطنكِ، فأنشأَتْ تقول:

فإنْ يضربوا ظهري وبَطْني كِلَيْهما ... فَليسَ لقلبٍ بين جنبيَّ ضاربُ

فَطَلَّقَها.

❋ ❋ ❋

(ميسون ومعاوية)

❋ تزوج الخليفة معاوية بن أبي سفيان ميسون بنت بحدل الكلبي، وهي أم ولده يزيد، وبزواجها هذا، انتقلت من حياة البادية إلى حياة الترف والحضارة، دخل عليها معاوية فسمعها تقول:

لَبَيْتٌ تَخْفِقُ الأرواحُ فيه ... أحبُّ إليَّ من قصرٍ مُنيفِ
ولُبْسُ عباءَةٍ وتقرُّ عيني ... أحبُّ إليَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفوفِ
وأكْلُ كُسَيْرَةٍ في قعْرِ بيتي ... أحبُّ إليَّ مِنْ أَكْلِ الرَّغيفِ
وأصواتُ الرِّياح بكل فجٍّ ... أحبُّ إليَّ مِنْ نَقْرِ الدُّفوفِ
وكَلْبٌ يَتْبعُ الطُّراقَ دوني ... أحبُّ إليَّ مِنْ قطٍّ أليفِ
وبكْرٌ يتْبعُ الأظعان صعْبٌ ... أحبُّ إليَّ مِنْ بغْلٍ زَفُوفِ
وبَعْلٌ من بني عمي ضعيفٌ ... أحبُّ إليَّ من مَلِكٍ عنيفِ
فما أبْغي سِوَى وطني بديلاً ... فَحَسْبي ذَاكَ مِنْ وَطَنٍ شريفِ

فلمَّا سمعها معاوية تقول هذه الكلمات، اغْتاظَ مِنْ إنكارها جميلَهُ، وطلّقها بكلمتين: (كُنْتِ فَبِنْتِ)، فقالت: لا واللَّهِ، ما سررنا إذْ كنا ولا أسِفْنا إذْ بِنَّا.

❋ ❋ ❋

(الطلاق ليس حلاًّ)

❋ روى الهيثم بن عدي، عن ابن عباس قال: طلَّق النَّمِرُ بن توْلب امرأةً ثم جزع عليها حتى خِيف على عَقْله، ومكث أياماً لا يَطْعم ولا ينام،

فلامه عشيرتُهُ وصبَّروه وذكروا له امرأةً يُقال لها: دَعْد، جميلة، فتزوَّجها، فشغَلَتْهُ عن ذكر امرأته الأولى، وفيها يقول:

أهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإن أمُتْ فيا حرَّتا ممن يهيمُ بها بعدي!

❋ ❋ ❋

(مقارنة!)

❋ قال محمد بن زياد الأعرابي: قالت امرأةُ عروة بن الورد العبسي بعد أن طلّقها في النادي: أما إنك والله الضحوك مقبلاً، السَّكُوتُ مدبراً، خفيف على ظهر الفرس، ثقيل على متن العدو، رفيع العماد، كثير الرَّماد[1]، تُرضي الأهل والأجانب.

قال: فتزوجها رجل بعده، فقال: أثني عليَّ كما أثْنيتِ عليهِ. قالت: لا تحوجني إلى ذلك، فإني إنْ قلتُ، قلتُ حقّاً، فأبىٰ، فقالتْ: إنَّ شملتكَ الالتفاف، وإنَّ شربك الاشتفاف، وإنَّكَ لَتَنامُ ليلةَ تخافُ، وتَشْبَعُ ليلةَ تُضافُ.

❋ ❋ ❋

(روح بن زنباع وزوجته)

❋ قالت حميدة لروح بن زنباع: إنَّ فيك لأربع خصال ما يسود عليهنَّ أحد، قال: وما هي؟ لا أبا لك فوالله إنَّ الخصلة الواحدة لتفسد الرجل السيد.

قالت حميدة: أما الواحدة: فإنك من جذام، وأما الثانية: فإنك جبان، وأما الثالثة: فإنك غيُور، وأما الرابعة: فإنك بخيل.

قال روح: أما قولك: إني من جذام، فحسب المرء أن يكون من صالح

(١) كثير الرماد: كناية عن الكرم.

من هو منه ـ أي: من صالح قومه ـ وأما قولك: إني جبان، فإنَّ ما لي نفس واحدة، ولو كان لي نفسان جدتُ بأحديهما؛ وأما قولك: إني غيور، فوالله إني لجدير بالغيرة على الورهاء[1] اللئيمة مثلك؛ وأما قولك: إني بخيل، فوالله ما لي فضل عن قومي، ولكن اذهبي فأنتِ طالق.

❋ ❋ ❋

(فرصة ثمينة)

❋ قال المدائني: طلّقَ رجلٌ امرأته فتزوَّجتْ محلِّلاً، فلما صارت إليه أبَى أنْ يطلّقها.

فقالت في الأول:

قصارك مني النصح ما دمتُ حيَّةً وَوُدٌّ كماءِ المُزْنِ غيرِ مَشُوبِ[2]
وآخِرُ شَيْءٍ أَنْتَ في كُلِّ هَجْعَةٍ وأولُ شَيْءٍ أَنْتَ عِنْدَ هبوبي[3]

وقالت في الآخر:

لِمَنْ بَكْرَةٌ مَطْرُوفَةُ العَيْنِ نَازِعٌ معذَّبَةٌ في كَفِّ راعٍ يُهِينُها[4]

❋ ❋ ❋

(طلاق مُتبادل)

❋ كان لرجلٍ زوجةٌ جميلة، وكان يحبُّها حبّاً شديداً وتبغضه بغضاً شديداً، ولم تزلْ المنافرة بينهما البتَّة[5]، وأضجرُه ذلك وطالتْ مُدَّةُ تجرُّؤها

(١) الورهاء: الحمقاء.
(٢) قصارك: غايتك. المزن: السَّحاب. مشوب: مخلط.
(٣) أي أنها تتذكره عند نومها ليلاً وقيامها من النوم صباحاً.
(٤) البكرة: الفتية من الإبل، تريد نفسَها. نازع: أي حَنَّتْ إلى أوطانها.
(٥) البَتَّة: مستمرة.

عليه في الكلام، فقال لها يوماً: أنتِ طالق ثلاثاً بتاتاً إنْ خاطبتني بشيءٍ ولم أُخاطبكِ بشيءٍ مثله.

فقالت له في الحال: أنتَ طالق ثلاثاً بتاتاً، فأُبْلِسَ[١] الرجل ولم يدر ما يجيب، وخاف في جوابها من وقوع الطلاق. وأرسل إلى أبي جعفر الطبري[٢] فأخبره بما جرى.

فقال له: إذا طالَبَتْكَ بالجواب فقل لها: أنتِ طالقٌ ثلاثاً بتاتاً إنْ أنا طلَّقْتُكِ.

فتكون قَدْ خاطبتَها ووَفَّيْتَ بيَمينِكَ.

[ثمرات الأوراق لابن حجّة]

❋ ❋ ❋

(من مُلَح مزيد)

❋ قال مزيد لامرأته: أنت غيرُ شفيقةٍ عليَّ، ولا راعية لي. فقالت: واللّهِ لأنا أَرْعَى بكَ من التي كانت قبلي وأشفق. قال: أنتِ طالق ثلاثاً، لقد كنتُ آتيها بالجرادة فتطبخ لي منها أربعة ألوان وتشوي جنينها. فدَعَتْهُ إلى القاضي، فجعل القاضي يطلُبُ له المخرج فقال: أصلحكَ الله! لا عليكَ إنْ أشكلتِ المسألة فهي طالق ثلاثين.

[جمع الجواهر في المُلح والنوادر/٣٥٤]

❋ ❋ ❋

(١) أُبلِسَ: تَحَيَّرَ.

(٢) هو الإمام المؤرخ المفسر محمد بن جرير الطبري.

(طلاق سُغدى)

* طلّق الوليد بن يزيد زوجته سُعْدَى، فلمّا تزوّجت اشتدَّ ذلك عليه وندمَ على ما كان منه. فدخل عليه أشعب فقال له: هل لكَ أنْ تُبْلغَ سُعدى عنّي رسالةً ولكَ عشرة آلاف درهم. قال: أقبضنيها. فأمر له بها، فلمّا قبضها قال له: هاتِ رسالتكَ. قال: أئْتِها فأنشِدْها:

أَسُعْدَى هَلْ إليكَ لنا سبيلُ ... ولا حتّى القيامةِ مِنْ تَلاقِ
بَلا وَلَعَلَّ دَهْراً أن يُؤاتي ... بموتٍ مِن خَليلك أو فراقِ

قيل: فأتاها أشعب فاستأذنَ عليها، فأذنت له، فدخل، فقالت له: ما بَدا لكَ في زيارتنا يا أشعب؟ فقال: يا سيّدتي! أرسلني إليكِ الوليد برسالة، ثمّ أنشدها الشعر. فقالت لجواريها: عليكنَّ بهذا الخبيث. فقال: يا سيّدتي! إنه دفع لي عشرة آلاف درهم فهي لكِ واعتقيني لوجه الله. فقالت: والله لا أعتقتكَ أو تبلّغ إليه ما أقول لكَ. قال: يا سيّدتي! فاجعلي لي جُعْلاً - أي: أجراً - قالت: لك بساطي هذا، قال: قُومي عنه، فقامت، فأخذه وألقاهُ على ظهره وقال: هاتي رسالتِكِ، فقالت:

أتبكي على سُعْدَى وأنتَ تَرَكْتَها ... فقد ذَهَبَتْ سُعْدَى فما أنتَ صانِعُ؟

فلمّا بلّغه الرسالة، ضاقت عليه الأرضُ بما رَحُبَتْ، وأخذته كَظْمَةٌ فقال لأشعب: اخترْ منّي إحدى ثلاث، إمّا أنْ أقتلك، وإمّا أن أطرحَكَ من هذا القصر، وإمّا أنْ ألقيكَ إلى هذه السباع فتفترسك. فتَحيّر أشعب وأطرقَ مَلياً ثم قال: يا سيدي! ما كنتَ لتعذّبَ عيناً نظرتْ إلى سُعْدَى. فتبسّم وخلّى سبيله.

[المستطرف للأبشيهي]

* * *

(الكسائي وأبو يوسف)

❋ دخل أبو يوسف القاضي على الرشيد ومعه الكسائي، وهما في مذاكرة ومُمازحة فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ هذا الكوفي قد غلب عليك!

فقال: يا أبا يوسف! إنّه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي وتأخذ بمجامعه.

فقال الكسائي: يا أبا يوسف، هل لك في مسألة؟! فقال: في نَحْوٍ أو فِقْهٍ؟ فقال: بل في فقهٍ! فضحكَ الرشيد وقال: تُلقي على أبي يوسف الفقه! قال: نعم. قال: يا أبا يوسف، ما تقول في رجلٍ قال لزوجه: أنتِ طالقٌ إنْ دخلتِ الدار؟ قال: إذا دخلت طلقت، قال: أخطأتَ يا أبا يوسف! فضحك الرشيد ثم قال: كيف الصواب؟ فقال: إذا قال (أنْ) وجب الفعل ووقع الطلاق، دخلت الدار بعد أو لم تدخل، وإنْ قال (إنْ) بالكسر لم يجب ولم يقع الطلاق حتى تدخل الدار.

[حدائق الأزهار لابن عاصم]

❋ ❋ ❋

(فتوى في الطلاق)

❋ كتب الرشيد في ليلةٍ من الليالي إلى أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة: أفتنا، حاطك الله[١]، في هذه الأبيات:

فإنْ تَرْفُقي يا هندُ فالرِّفْقُ أيْمَنٌ ... وإنْ تَخْرُقي يا هندُ فالخُرْقُ أَشْأَمُ[٢]
فأنتِ طلاقٌ والطلاقُ عزيمةٌ ... ثلاثاً وَمَنْ يَخْرُقْ أعَقُّ وأظلمُ[٣]
فَبِيني بها إنْ كنتِ غيرَ رفيقةٍ ... وما لامْرِئٍ بعدَ الثلاثِ مُقدَّمُ[٤]

(١) حاطك الله: حفظك الله.
(٢) أيمن: مبارك. الخرق: الحمق.
(٣) أعق: من العقوق، وهو العصيان.
(٤) بيني: فارقي.

فقد أُنْشِدَ البيت (عزيمةٌ ثلاثٌ) و(عزيمةٌ ثلاثاً) بالنصب، فبكم تَطْلُقُ بالرفع؟ وبكم تَطْلُقُ بالنصب؟ قال أبو يوسف: هذه مسألة فقهية نحوية، إنْ قلتُ فيها بظنّي لم آمَن الخطأ، وإنْ قلتُ: لا أعلم، قيل لي: كيف تكون قاضي القضاة وأنت لا تعرف مثل هذا. ثم ذكرت أنّ أبا الحسن علي بن حمزة الكسائي(١) معي في الشارع(٢)، فقلتُ: ليكن رسولُ أمير المؤمنين بحيثُ يكرم، وقلت للجارية: خذي الشمعة بين يديّ، فدخلتُ على الكسائي وهو في فراشه، فأقْرأْتُهُ الرُّقعة. فقال لي: خذ الدواة واكتبْ: أمّا مَن أنشدَ البيت بالرفع فقال: عزيمةٌ ثلاثٌ. فإنَّمَا طلّقها واحدةً وأنبأها أنّ الطلاق لا يكون إلا بثلاثة ولا شيءَ عليه.

وأمّا مَن أنشدَ: عزيمةٌ ثلاثاً، فقد طلّقها وأبانها لأنَّهُ كأَنَّهُ قال: أنتِ طالِقٌ ثلاثاً.

وأنفذتُ الجواب، فحُمِلتْ إلـيَّ آخرَ الليل جوائز وصِلاتٌ، فوجّهتُ بالجميع إلى الكسائي.

[مجالس العلماء للزجاجي]

❋ ❋ ❋

(طلاق لُبنى)

❋ قيل: لمَّا ألحَّ ذريح على ابنه قيس في طلاق لُبْنَى فأَبى ذلك قيس، طرحَ ذريحٌ نفسه في الرمضاء وقال: لا، والله، لا أريـمُ(٣) هذا الموضع حتى أموتَ أو يُخلِّيَها. فجاءَه قومُه من كل ناحية، فعظمُوا عليه الأمر وذكّروه بالله وقالوا: أتفعل هذا بأبيك وأمّك! إنْ مات

(١) الكسائي: إمام في اللغة والنحو.
(٢) أي يسكنان في شارع واحد.
(٣) لا أريم: لا أترك.

شيخك على هذه الحال كنتَ معيناً عليه وشريكاً في قتله. ففارق لُبْنَى على رُغْم أنفِهِ وقلة صبره وبكاءٍ منه حتى بكى لهما من حضرهما، وأنشأ يقول:

أقولُ لخُلّتي في غَيْرِ جُرْمٍ ... ألا بيني بنفسي أنتِ بِيني[١]
فواللّهِ العظيم لَنَزْعُ نفسي ... وقَطْعُ الرِّجْل منّي واليمينِ
أحبُّ إليَّ يا لُبْنَى فِراقاً ... فَبَكِّي لِلْفراقِ وأَسْعِديني
ظَلَمْتُكِ بالطلاقِ بغير جُرْمٍ ... فقد أذْهَبْتُ آخرتي وديني

فلمَّا سمعتْ بذلك لُبْنَى بكتْ بُكاءً شديداً، وأنشأتْ تقولُ:

رَحَلْتُ إليه مِنْ بَلَدِي وأهْلِي ... فَجَازاني جزاءَ الخائنينا
فمن رآني فلا يَغْتَرُّ بعدي ... بحُلْوِ القولِ أو يَبْلُو الدَّفينا[٢]

فلمَّا انقضتْ عِدَّتُها وأرادت الشخوصَ[٣] إلى أهلها أُتِيَتْ براحلةٍ[٤] لِتُحْملَ عليها، فلمَّا رأى ذلك قيسٌ دَاخَلَهُ منه أمرٌ عظيم واشتدَّ لهفُهُ وقال في ذلك شعراً ونثراً.

ثم ارتحلت لُبْنَى، فجعل قيس يقبّل موضع رجليها من الأرض وحول خِبائها. فلمَّا رأى ذلك قومُهُ أقبلوا على أبيه بالعَذْل[٥] واللوم، فقال ذَريح لمَّا رأى حالَهُ تلك: قد جَنَيْتُ عليك يا بنيّ. فقال له قيس: قد كنتُ أخبرك أني مجنون بها فلم ترضَ إلا بقتلي، فالله حَسْبُك وحَسْبُ أمّي! وأقبل قومُهُ يَعْذلونه في تقبيله التراب، فأنشأ يقولُ:

---

(١) الخلة: الزوجة. بيني: فارقي.
(٢) يبلو الدفينا: يختبر المستور.
(٣) الشخوص: الذهاب.
(٤) الراحلة: من الإبل.
(٥) العذل: اللوم.

فما حُبّي لطِيبِ تُرابِ أرضٍ ... ولكن حُبُّ مَنْ وَطِئَ التُّرابا
فهذا فِعْلُ شَيْخَيْنا[١] جميعاً ... أرادا لِيَ البَلِيَّةَ والعذابا

[الأمالي للقالي]

* * *

(طلاق أرنب الحنفية)

❋ قال الشاعر ـ هو قتادة اليشكري ـ وكان قد تزوَّج أرنبَ الحنفية، فلم تلذْ له ونَشِزَتْ عليه، فطلَّقها:

تجهَّزي للطلاق واْصْطَبري ... ذاك دواءُ الجوامِحِ الشُّمُسِ[٢]
ما أنتِ بالحنَّةِ الودُودِ ولا ... عِندَكِ خَيْرٌ يُرْجَى لِمُلْتَمِسِ
لَلَيْلَتي حِينَ بِنْتِ طالقَةً ... أَلَذُّ عندي من ليلةِ العُرُسِ[٣]
بِتُّ لَدَيْها بِشَرٍّ مَنْزِلَةٍ ... لا أنا في نَعْمَةٍ ولا فَرَسِي
هذا على الخَسْفِ لا قَضِيمَ لَهُ ... وبِتُّ ما إنْ يَسُوغُ لي نَفَسِي[٤]

[دولة النساء للبرقوقي]

* * *

(نسيم الصّبا)

❋ كان لابن الجوزي زوجة اسمها: (نسيم الصّبا)، فاتفق أنّه طلّقها، فحصل له عند ذلك ندم وهِيام أشرف منه على التَّلَف.

---

(١) الشيخين: أبيه وأُمه.
(٢) الجوامح: مفردها جامحة: صعبة الانقياد. الشمس: جمع شموس: وهو الصعب العسر.
(٣) بِنْتِ: فارقت.
(٤) القضيم: ما تقضمه الدابة وتأكله كالشعير.

فحضرت في بعض الأيام مجلس وَعْظه، فحين رآها عرفها، فاتفق أنّه جاءَته امرأتان وجلستا أمامه فحجبتاها عنه، فأنشد في الحال:

أيـا جَـبَـلَـيْ نُـعْـمـانَ بـالـلّـه خَـلِّـيـا   نسيمَ الصَّبا يُخلِصْ إلـيَّ نَسِيمُـهـا

[ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي]

✽ وقال أَعشى هَمْدان لامرأَتِهِ:

إنَّكِ لَسَلِسَةُ الثُّقْبَةِ، سَريعَةُ الوَثْبَةِ، حَدِيدَةُ الركبةَ، فقالت: والله! إنَّكَ لسريعُ الإراقة، بطيء الإفاقة، قليل الطاقة، فطلّقها.

✽ وقال الجمّاز لامْرأَتِهِ في يومِ غَيْمٍ: ما يطيبُ في هذا اليوم؟ قالت: الطلاق!

✽ ✽ ✽

✽ (طلاق أم جُندب)

✽ كان امرؤُ القيس مُفَرَّكاً - أي: تُبْغِضُهُ النساء - وكان قد تَزَوَّجَ امرأَةً تُسَمَّى أُمَّ جُنْدِب، تَزَوَّجَها حين هَرَب من المنذر بن ماء السماء. فأتَى جَبَلَيْ طيء، بينما هو معها ذات ليلة إذ قالت له: قُمْ يا خير الفتيان فقد أَصْبَحْتَ، فلم يَقُمْ، فكَرَّرَتْ عليه فقامَ فَوَجَدَ الفجرَ لم يَطْلَعْ، فرجَعَ فقال لها: ما حَمَلَكِ على ما صَنَعْتِ؟ فأمسكتْ، وَأَلَحَّ عليها فقالت: حَمَلَنِي أَنَّكَ ثقيلُ الصدرِ، خَفِيفُ العجيزة، سَريعُ الإراقة، بَطيءُ الإفاقة، فعَرفَ تصديقَ قولها وسكَتَ، فلمَّا أَصْبَحَ أَتَى عَلْقَمَةَ بن عَبَدَة الفحل وهو في خَيْمَتِهِ وخَلْفَهُ أُمُّ جُنْدَب، فتذاكروا الشعر، فقال امرُؤُ القَيس: أنا أَشْعَرُ منك، وقال علقمةُ مِثلَ ذلك، فتحاكما إلى أُمّ جُنْدب. ففضَّلَتْ أُمّ جُندب علقمةَ على امرىء القيس، فغَضِبَ امرُؤ القيس من قولها وطلَّقَها، وَخَلَفَ عليها عَلْقَمَةُ.

[دولة النساء للبرقوقي]

❁ وعن علي كرّم الله تعالى وجهه أنّهُ جِيءَ برجلٍ حَلَفَ فقال: امرأته طالق ثلاثاً إنْ لم يطأها في شهر رمضان نهاراً، فقال: تسافر بها ثمّ لتجامعها نهاراً.

[كتاب الأذكياء لابن الجوزي]

❁ وقال علي بن منظور:

ما للطلاق فقدتُهُ   وفقدتُ عاقبةَ الطلاق
طلّقتُ خيرَ حليلةٍ   تحتَ السمٰوات الطِّباق

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ قال الأصمعي: قال عمي للرشيد في بعض حديثه: بلغني يا أمير المؤمنين أنَّ رجلاً من العرب طلّق في يوم خمس نسوة! قال: إنّما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة، فكيفَ طلق خمساً؟ قال: كان لرجل أربع نسوة، فدخل عليهنّ يوماً فوجدهنّ متلاحيات متنازعات، وكان شنطيراً - أي: فحاشاً - فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما إخال هذا الأمر إلا من قبلك - يقول ذلك لامرأةٍ منهنَّ - اذهبي فأنتِ طالق! فقالت له صاحبتها: عجلتَ عليها بالطلاق، ولو أدَّبْتَها بغير ذلك لكنْتَ حقيقاً! فقال لها: وأنتِ أيضاً طالق! فقالت له الثالثة: قَبَّحَكَ الله! فواللّهِ لقد كانتا إليكَ مُحْسِنَتَيْن، وعليكَ مفضلتين! فقال: وأنتِ أيتها المعدّدة أياديهما طالق أيضاً! فقالت له الرابعة - وكانت هلالية وفيها أناةٌ شديدة -: ضاقَ صَدْرُك عن أن تُؤدّبَ نِساءَكَ إلاّ بالطلاق! فقال لها: وأنتِ طالق أيضاً!

وكان ذلك بمسمع جارة له، فأشرفتْ عليه وقد سمعتْ كلامه، فقالت: واللّهِ ما شهدتْ العربُ عليك وعلى قومك بالضعف إلاّ لما بَلَوْهُ منكم ووجدوه فيكم، أبَيْتَ إلا طلاق نِسائِكَ في ساعة واحدة! قال: وأنتِ أيضاً أيتها المؤنّبة المتكلفة طالق، إنْ أجازَ زوجُك! فأجابه من داخل بيته: قد أَجَزْتُ! قد أَجَزْتُ!

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

❋ وتزوَّجَ الحجاج ابنةَ عبدالله بن جعفر، فلمّا دخلتْ عليه نظر إليها وعبرتُها تجودُ على خدِّها، فقال لها: بأبي وأُمي، مِمَّ تبكين؟ فقالت: من شرفٍ اتَّضَعَ، ومن ضعةٍ شرُفتْ.

فلما كتب إليه عبدالملك بن مروان بطلاقها، قال لها: إنَّ أمير المؤمنين أمرني بطلاقكِ. قالت: هو والله أبَرُّ بي مِمّنْ زوَّجَك إياي. فلمّا مات أبوها لم تبكِ عليه، فقيل لها في ذلك، فقالت: والله إنَّ الحزْنَ ليبعثني، وإنَّ الغَيْظَ ليصمتني.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ وطلق رجل امرأته فلما أرادتْ الارتحال قال لها: اسمعي وليسمع من حضر: إني والله اعتمدتكِ برغبة، وعاشرتكِ بِمَحَبّة، ولم أجدْ منك زَلَّة، ولم يدخلني عنك مَلَّة، ولكن القضاء كان غالباً. فقالت المرأة: جزيتَ من صاحبٍ ومصحوب خيراً، فما استقللتُ خيرك، ولا شكوتُ ضَيْرك، ولا تمنَّيْتُ غيرك، ولا أجدُ لك في الرجالِ شبيهاً، وليس لقضاء الله مدفع، ولا من حكمِهِ علينا ممنع.

[المستطرف للأبشيهي]

❋ قال خالد بن صفوان: ما بتُّ ليلةً أحبَّ إلـيَّ من ليلة طَلّقْتُ فيها نسائي، فأرْجعُ والستورُ قد هُتِكَتْ، ومتاعُ البيتِ قد نُقِل، فتبعث إلـيَّ إحداهنَّ بسُلَيْلة ـ تصغير سلة ـ مع بنتي فيها طعامي، وتَبْعَثُ الأُخْرى بفراشٍ أنامُ عليهِ.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❋ وكانت زينب بنت مُرّة عند ابن عمٍّ لها يقال له: المغيرة فجرى بينهما عتاب، فطلَّقها ثلاثاً، فقالت:

يا أيُّها الراكبُ الغادي مطيَّتَهُ ... عَرِّجْ أبُثُّكَ عن بعض الذي أَجِدُ
ما عالجَ الناسُ مِنْ وجْدٍ ومِنْ كَمَدٍ ... إلاّ وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الذي وَجَدُوا
حَسْبِي رِضاهُ وإنِّي في مَسَرَّتِهِ ... وَوِدِّهِ آخرَ الأيَّامِ أجْتَهِدُ

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ طَلَّقَ رجلٌ امرأته، فقيل له: ما صَنَعْتَ؟ قال: طَلَّقْتُها والأرضَ من ورائها ـ أي: لا أقربُ ناحيةً هي بها ـ.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❋ قال العتبي: جاء رجل بامرأةٍ كأنَّها بُرْجُ فِضَّة إلى عبدالرحمٰن ابن أم الحكم وهو على الكوفة، فقال: إنَّ امرأتي هذه شجَّتْنِي! فقال لها: أنتِ فعلتِ بهِ؟ قالت: نعم، غير متعمدة لذلك، كنتُ أعالجُ طيباً، فوقَعَ الفهرُ من يدي على رأسه، وليس عندي عقل، ولا تَقْوَى يدي على القصاص.

فقال عبدالرحمٰن للرجل: يا هذا، علامَ تحبسُها وقد فعلتْ بكَ ما أرى؟ قال: أصْدَقتُها أربعة آلاف درهم، ولا تطيبُ نفسي بفِراقِها! قال: فإنْ أعْطيتُها لكَ أتفارقها؟ قال: نعم. قال: فهي لك. قال: هي طالق إذاً! فقال عبدالرحمٰن: احْبِسِي علينا نفسَكِ.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

❋ عن الأصمعي، عن المعتمر بن سليمان، عن أبي مخزوم، عن أبي شَفقَل راوية الفرزدق قال: قال لي الفرزدق يوماً: امْضِ بنا إلى حلقة الحسن فإني أُريد أَنْ أُطلِّقَ النوار. فقلتُ: إني أخافُ عليكَ أنْ تتبعها نفسُك ويشهد عليك الحسن وأصحابه. فقال: امْضِ بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن. فقال: كيف أصْبَحْتَ يا أبا سعيد؟ فقال: بخير، كيف أصبحت يا أبا فراس؟ قال: تَعْلَمَنَّ أنَّ النوار مني طالق ثلاثاً. فقال الحسن وأصحابه: قد سمعنا. قال: فانطلقنا. قال: فقال لي الفرزدق: يا هذا! إنَّ في قلبي من النوار شيئاً، فقلتُ: قد حذرتك، فقال:

نَدِمْتُ نَدامَةَ الكُسَعِيّ لمَّا ... غَدَتْ مِنِّي مُطَلَّقَةً نوارُ
وكُنْتُ كَفاقِىءِ عَيْنَيْهِ عَمْداً ... فأَصْبَحَ لا يُضِيءُ لَهُ النَّهارُ

وَمَا فَارَقْتُهَا شِبَعاً ولكِنْ ... رأَيْتُ الزُّهْدَ يأْخُذُ ما يُعارُ
وكانتْ جَنَّتِي فَخَرَجْتُ مِنْها ... كآدم حِينَ أَخْرَجَهُ الضرارُ
ولو أنّي مَلَكْتُ يَدِي ونَفْسِي ... لكانَ عليَّ لِلْقَدَرِ الخِيارُ

قال الأصمعي: ما روى المعتمر هذا الشعر إلا من أجلِ هذا البيت - يقصد البيت الأخير -.

[الكامل في اللغة والأدب للمبرد]

❋ ❋ ❋

(أنت طالق)

❋ نَحَرَ أعرابي جَزوراً فقال لامرأته: أطعمي أُمي. فقالت: أيُّها أطعمها؟ قال: الوِرْك. فقالت: التي ظهرتْ بلحمةٍ وبطنتْ بِشحمةٍ، لا لَعَمْري! قال: الفخذ. قالت: الكثيرة اللحم الطيّبة المخ، لا لَعَمْري! قال: الكتف. قالت: الحاملةُ اللحم من كلّ مكان. قال: فما تطعمينها؟ قالت: اللّحَى التي ظهرتْ بالجلد وبطنتْ بالعظم. فقال: تزوّدي إلى أهلك فأنتِ طالق.

[محاضرات الأدباء للأصبهاني]

❋ ❋ ❋

(أين المروءة والذمة؟)

❋ جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يريد طلاق امرأته. فقال له عمر: ولِمَ؟ قال: إني لا أُحبُّها. فقال عمر: أوَ كُلُّ البيوت بُنِيَتْ على الحُبّ! فأين المروءَةُ والذمّة؟

[أنيس الجليس للعابدي]

❁ وطلَّق رجلٌ امرأته، فقالت: أبَعْدَ صُحبة خمسين سنة؟ فقال: ما لكِ عندنا ذنبٌ غيره.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

❁ قيل لامرأة كانت تُطَلَّقُ كثيراً: ما بالُكِ تُطَلَّقِين؟ قالت: يُرِيدون التضييقَ علينا، ضَيَّقَ اللَّهُ عليهم!

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ ❁ ❁

(ندامة)

❁ قال الهيثم بن عدي: كانت تحت العريان بن الأسود بنتُ عمٍّ فطلقها، فتبعتها نفسُه، فكتب إليه يعرّض لها بالرجوع، فكتبتْ إليه تقول:

إنْ كُنْتَ ذا حاجةٍ فاْطْلُبْ لها بدلاً ... إنّ الغزالَ الذي ضيَّعْتَ مَشْغُولُ

فكتب إليها يقول:

إنْ كان ذا شُغْلٍ فاللَّهُ يَكْلَؤُهُ ... فقد لَهَوْنا بِهِ والحبلُ مَوْصُولُ
وقد قضينا من اسْظرافه وطراً ... وفي الليالي وفي أيَّامِها طُولُ

[المستطرف للأبشيهي]

❁ وقيل لأعرابي: هل لك في النكاح؟ قال: لو قدرتُ أنْ أُطَلِّقَ نفسي لطَلَّقْتُها.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

❁ كان الحسن بن علي بن أبي طالب منكاحاً مطلاقاً، تزوج نحواً من سبعين امْرأة، وقلَّما كان يُفارقه أربع ضرائر.

[نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء]

❋ وعن جعفر الصادق، أنَّ عليّاً قال: يا أهل الكوفة لا تزوِّجوا الحسن، فإنَّه مطلاق، فقال رجل: والله لنزوِّجنَّه، فما رضي أمسك، وما كَرِهَ طلَّق.

[نزهة الفضلاء لمحمد حسن عقيل]

❋ روى همام عن قتادة أنَّ إياس بن معاوية أجاز شهادة رجل وامرأتين في الطلاق، قال قتادة: فسُئل الحسن عن ذلك فقال: لا تجوز شهادة النساء في الطلاق. قال: فكتب إلى عمر بن عبدالعزيز بقول الحسن وقضاء إياس، فكتب عمر: أصاب الحسن وأخطأ إياس.

[جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر]

❋ ويروى عن رجل من بني أسد بن عبدالعزى: أنَّ ابن السائب زوَّجَ ابنته عمرو بن عثمان بن عفان، فلما نُصَّتْ عليه طلّقها على المنصَّة، فجاء أبوها إلى عبدالله بن الزبير، فقال: إنَّ عمرو بن عثمان طلَّق ابنتي على المِنَصَّة وقد ظنَّ الناس أنَّ ذلك لعاهة وأنت عمها فقُمْ فادخلْ إليها. فقال عبدالله: أو خيراً من ذلك. جيئوني بالمصعب، فخطب عبدالله، فزوَّجها من المصعب وأقسم عليه ليدخلنَّ بها في ليلته. فلا تُعرف امرأةٌ نُصَّتْ على رجلين في ليلةٍ سِوَاها. فأولدها المصعب عيسى وعكاشة.

[الكامل في اللغة والأدب للمبرد]

❋ يقول ابن القيِّم في كتابه (زاد المعاد): قد يكون الطلاق من أكبر النعم التي يفكُّ بها المُطَلِّق الغُلَّ مِنْ عنقِهِ، والقيد من رجله، فليس كل طلاق نقمة، بل من تمام نعمة الله على عباده أنْ مَكَّنَهم من المفارقة بالطلاق إذا أراد أحدهم استبدال زوجٍ مكان زوج، والتخلص ممن لا يحبها ولا يلائمها، فلم يُرَ للمتحابينَ مثلُ النكاح، ولا للمتباغضين مثلُ الطلاق، ثم كيف يكون نقمة والله تعالى يقول: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة/٢٣٦]، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [سورة الطلاق/١].

❁ قال محمد بن عمرو: عن أبي سلمة أنّ جبير بن مُطعم تزوج امرأَة، فسمَّى لها صداقها، ثم طلَّقها قبل الدخول، فتلا هذه الآية: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [سورة البقرة/٢٣٧]، فقال: أنا أحق بالعفو منها، فسلَّم إليها الصداق كاملاً.

[نزهة الفضلاء لمحمد حسن عقيل]

❁ عن عامر، قال: جاءَتْ امرأةٌ إلى علي رضي الله عنه تُخاصِمُ زوجها طلَّقها فقالت: قد حِضْتُ في شهرين ثلاث حِيَض. فقال علي لشريح: اقضِ بينَهما. قال: يا أمير المؤمنين، وأنت هٰهنا؟ قال: اقضِ بينهما. قال: إنْ جاءَتْ من بطانة أهلها مَن يُرضَى دينه وأمانته يزعُمُ أنها حاضتْ ثلاث حِيَض تطهُرُ عند كل قُرْءٍ، وتصلي، جاز لها، وإلا فلا. قال علي: قالون ـ أي: أحسنت بلسان الروم ـ.

[المرجع السابق]

❁ روى الهيثم بن عدي، أنّ الحسن بن علي رضي الله عنهما، تزوج حفصة بنت عبدالرحمٰن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكان المنذر بن الزبير يهواها، فبلغ الحسن عنها شيئاً أنكره فطلقها، فخطبها المنذر فأبتْ أنْ تتزوجه، فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجته، فرمى إليه المنذر بن الزبير عنها شيئاً فطلقها، وخطبها المنذر فأبتْ أنْ تتزوجه، فدَسَّ لها امرأة من قريش، فأتتها، فتحدَّثتْ معها ثمَّ ذكرتْ لها المنذر، وأعلمتها أنه قد شهر بحبها، فقالت: قد خطبني فآليتُ ألا أتزوجه. قالت: ولِمَ ذلك؟ فوالله إنَّهُ لفتى قريش وشريفها وابن شريفها. قالت: شهرني وفضحني. قالت لها: والآن ينبغي أنْ تتزوجيه ليعلم الناس أنَّ كلامه كان باطلاً. فوقع في نفسها كلامها، وجاءَت المرأة إلى المنذر فقالت: اخطبها فقد أصلحتُ لك قلبها، فخطبها فتزوجته، فعلم الناس أنه كان يكذبُ عليها.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ ودخل المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة الثقفية وهي تتخلل حين انفتلتْ من صلاة الغداة، فقال لها: لئن كنتِ تتخللين من طعامك اليوم إنَّكِ لجشِعة، وإنْ كنت تتخللين من طعام البارحة إنك لشبعة، كنتِ فَبِنْتِ، فقالت: والله ما اغتبطنا إذ كنا، ولا أسِفْنا إذْ بِنَّا، وما هو لشيءٍ مما ذكَرْتَ، ولكني اسْتكتُ فتخللتُ للسواك، فخرج المغيرة نادماً على ما كان منه، فلقيه يوسف بن أبي عقيل فقال له: إني نزلتُ الآن عن سيدة نساء ثقيف، فتزوَّجْها فإنها سَتُنجِبُ، فتزوَّجَها فولدت له الحجاج.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

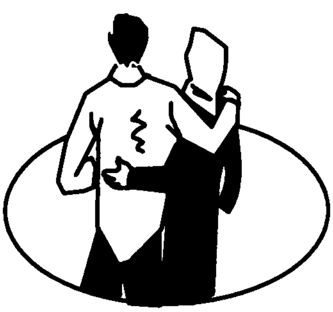
❋ وكان بالمدينة زمن المنصور والمهديّ قاضٍ يُقال له: عبدالعزيز بن المُطَّلِب، فخاصمتْ إليه امرأةٌ زوْجَها، وكانت قالت: أَجَعْتَني وأسأتَ إلَيّ، والله ما تستطيع فيرانُ بيتك أنْ يَمْشينَ من الجهْد، وما يُقِمْنَ إلاّ على الوطن! فقال الرجل: أنتِ طالقٌ إنْ كُنَّ ما يُقِمْنَ إلاّ على الوطن، فخبَّرتْ المرأةُ القاضي بما قالت وقال زوجُها، فقال القاضي يَطْلُبُ له المعاذير: ورَبِّك إنَّ الإبلَ لتكونُ بالمكان الجديب الخسيس المرْعَى فَتُقيمُ به لحُبِّ الوطن، فقال الزوجُ حين رآهُ يحتالُ لئلا يُفَرِّقَ بينَهُما: كأنما أشكلتُ عليك، هي طالقٌ عِشرين، فقال القاضي: قد خَفَّفْتَ الأمرَ علينا.

[دولة النساء للبرقوقي]

❋ وطلَّقَ الحسنُ بن علي رضي الله عنهما، امْرأَتين: قرشيّةً وجُعْفيَّةً ـ حي من اليمن ـ فأرسل إلى كُلِّ واحدة عشرين ألفاً وقال للرسول: احْفَظ ما تقول كُلُّ واحدةٍ، فقالت القرشية: جزاهُ الله خيراً، وقالت الجُعْفِيَّة: مَتاعٌ قليلٌ من حبيبٍ مُفارِق. فراجعَ الجعْفية.

[المرجع السابق]

من قصص المتزوجين



من قصص المتزوجين

❁ عن الشعبي قال: شهدتُ شريحاً وجاءَته امرأَةٌ تخاصِمُ رجلاً فأرسلتْ عينيها فبكتْ، فقلتُ أنا: ما أظنُّ هذه البائسة إلا مظلومة، فقال: يا شعبي، إنَّ إخوة يوسف عليه السلام جاؤوا أباهم عشاءً يبكون.

[وفيات الأعيان لابن خلكان]

❁ وعن المدايني قال: كان المطلب بن محمد الحنظي على قضاء مكة، وكان عنده امرأة قد مات عندها أربعة أزواج، فمرض مرض الموت، فجلستْ عند رأسه تبكي، وقالت: إلى مَنْ توصي بي؟ قال: إلى السادس الشقي.

[كتاب الأذكياء لابن الجوزي]

❁ قال سليمان بن أبي سمخ: تزوج رجلٌ من تهامة امرأَةً من نجد، فلما نقلها إليه، قالت له: ما فعلتْ ريحٌ من نجد كانت تأتينا يُقالُ لها الصَّبا ما رأيتُها هُهُنا؟ فقال: يحجزها عنا هذان الجبلان.

فأنشأت تقول:

أيا جَبَلَيْ نُعْمانَ باللهِ خَلِّيا ... نسيمَ الصَّبا يُخْلِص إليَّ نسِيمُها
فإنَّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تَنَفَّسَتْ ... على قلبِ محزونٍ تَجَلَّتْ هُمُومُها
أجِد بَرْدَها أو يُشْفِ مني حرارةً ... على كَبِدٍ لم يَبْقَ إلاَّ صَمِيمُها

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❁ ❁ ❁

(الشعبي في مجلس القضاء)

دخل رجل على الشعبي في مجلس القضاء ومعه امرأة، وهي من أجمل النساء، فاختصما إليه، فأدلتْ المرأة بحجتها وقرَّبتْ بيِّنتها. فقال للزوج: هل عندك من مَدْفع؟ فأنشأ يقول:

فُتِنَ الشَّعبيُّ لمَّا ... رَفَعَ الطَّرْفَ إليها
فتنته بدَلالٍ ... وبخطَّي حاجِبَيْها
قال للجلواذ[1] قرِّبْها ... وأحضرْ شاهدَيْها
فقضى جوراً على الخصم ... ولم يقضِ عليها

قال الشعبي: فدخلتُ على عبدالملك بن مروان، فلمَّا نظر إليّ تبسَّمَ وقال:

فُتِنَ الشَّعْبِيُّ لمَّا ... رَفَعَ الطَّرْفَ إلَيْها

ثمَّ قال: ما فعلتَ بقائل هذه الأبيات؟ قُلتُ: أوجعتُهُ ضرباً يا أمير المؤمنين بما انْتهكَ من حرمتي في مجلس الحكومة وبما افترى به علَيَّ! قال: أحْسَنْتَ.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

* * *

(خالد بن يزيد ورملة بنت الزبير)

قال أبو عبيدة: حج عبدالملك بن مروان ومعه خالد بن يزيد بن معاوية، وكان خالد هذا من رجالات قريش المعدودين، وكان عظيم القدر عند عبدالملك، فبينما هو يطوف بالبيت إذ بصُر برملة بنت

(١) الجلواذ: الشرطي.

الزبير بن العوام، فعشقها عشقاً شديداً، ووقعتْ بقلبه وقوعاً متمكناً، فلما أراد عبدالملك القفولَ هَمَّ خالد بالتخلف عنه، فوقع بقلب عبدالملك تُهْمَةٌ، فبعث إليه فسأله عن أمره، فقال: يا أمير المؤمنين، رملة بنتُ الزبير، رأيتُها تطوف بالبيت فأذهلتْ عقلي، والله ما أبديتُ إليك ما بي حتى عِيلَ صبري. ولقد عرضتُ النومَ على عيني فلم تقبله، والسُّلوَّ على قلبي فامتنع منه. فأطال عبدالملك التعجُّبَ من ذلك وقال: ما كنتُ أقول إنَّ الهوى يسْتأثرُ مثلك، قال: فإني لأشدُّ تعجباً من تعجبك مني. ولقد كنتُ أقول: إنَّ الهوى لا يتمكن إلا من صنفين من الناس: الشعراء والأعراب. أما الشعراء فإنهم ألزموا قلوبهم الفكر في النساء ووصفهنَّ والتغزُّل فمالَ طبعهم إلى النساء فضَعُفَتْ قلوبهم عن دفع الهوى فاسْتسلموا إليه منقادين.

وأمَّا الأعراب فإنَّ أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون الغالبُ عليه غير حبِّه لها، ولا يشغله عنه شيء، فضعفوا عن دفع الهوى فتمكَّنَ منهم. فما رأيتُ نظرةً حالت بيني وبين الحزم، وحسَّنتْ عندي ركوب الإثم، مثل نظرتي هذه. فتبسَّم عبدالملك فقال: أفكل هذا قد بلغ بك؟ فقال: والله ما عرتني هذه البلية قبل وقتي هذا. فوجَّه عبدالملك إلى الزبير يخطب رمْلة على خالد، فذكروا لها ذلك فقالت: لا والله أو يُطَلِّقَ نساءَه، فطلَّق امرأتين كانتا عنده، وظعن بها إلى الشام وكان يقول:

أليسَ يزيدُ الشوقُ في كُلِّ ليلةٍ ... وفي كُلِّ يوم من حَبِيبَيْنا قُرْبا
خليليَّ ما مِنْ ساعةٍ تَذْكُرانِها ... من الدَّهر إلاَّ فَرَّجَتْ عَنِّيَ الكَرْبا
أُحِبُّ بني العَوَّام طُرّاً لِحُبِّها ... ومِنْ أجْلِها أحْبَبْتُ أَخْوَالَها كَلْبا[1]
تَجُولُ خلاخيلُ النساءِ ولا أرى ... لِرَمْلَةَ خِلْخالاً لا يَجُولُ ولا قُلْبا[2]

[روضة المحبين لابن القيم]

❋ ❋ ❋

(١) طُرّاً: أي دفعاً وجبراً.
(٢) القُلْب بالضم: سوار المرأة.

(غلام يخدع المغيرة)

عن عبدالملك بن عمير قال: سمعتُ المغيرة بن شعبة يقول: ما خدعني قط غير غلام من بني الحرث بن كعب، فإني ذكرتُ امرأةً منهم، وعندي شاب مَن بني الحرث، فقال: أيها الأمير، إنّه لا خير فيها. فقلتُ: ولِمَ؟ قال: رأيتُ رجلاً يُقَبِّلُها.

فأقمتُ أياماً، ثمَّ بلغني أنَّ الفتى تزوَّج بها، فأرسلتُ إليه، فقلتُ: ألم تعلمني أنك رأيتَ رجلاً يقبلها؟ قال: بلى. رأيتُ أباها يقبلها. فإذا ذكرتُ الفتى وما صنع غمَّني ذلك.

[كتاب الأذكياء لابن الجوزي]

❋ ❋ ❋

(زُفُّوني)

كان علي كرّم الله تعالى وجهه قد عزلَ بناتِهِ لولد جعفر بن أبي طالب، فلقيه عمر فقال: يا أبا الحسن، أنكحني ابنتك أم كلثوم ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قال: قد حبستُها لابن جعفر! قال: إنه والله ما على الأرض أحدٌ يُرضيك من حُسْن صُحْبتها بما أُرضيك به، فأنكحني يا أبا الحسن. قال: قد أنكحتكها يا أمير المؤمنين، فأقبل عمر فجلس في الروضة بين القبر والمنبر، واجتمعَ إليه المهاجرون والأنصار، فقال: زُفُّوني! قالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ قال: بأمِّ كلثوم؛ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي**»(١). وقد تقدمتْ لي صحبة، فأحببتُ أن يكون لي معها سبب(٢).

❋ ❋ ❋

(١) حديث صحيح في صحيح الجامع الصغير/٤٥٢٧.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه.

(ردَّهُ الشوق)

قال الزبير بن بكار: حدَّثني عبدالملك بن عبدالعزيز قال: كانت بنت أبي عبيدة بن المنذر بن الزبير عند أبي بكر بن عبدالرحمٰن من حرمه، وكان يخدمها وكانت ذات مال، ولا مال له. وكان تَضِنُّ عنه، فخرج يريد الشام بطلب الرزق، فلمّا كان ببعض الطريق رجع، فمرَّ بجلسائه بالمصلّى فقالوا: رادُّ خير، ثمَّ دخل عليها فقالت له: أبخيرٍ رجعتَ؟ فقال لها:

بينما نحن من بلاكثَ فالقاع　　سراعاً والعيسُ تهوي هوِيّا[1]
خَطَرَتْ خَطْرَةٌ على القلب من　　ذِكْراكِ وَهْناً فما اسْتطاع مُضِيًّا[2]
قُلْتُ لبيكِ إذْ دعاني لكِ الشَّوْقُ　　وللحَادِيَيْنِ حُثُّ المَطِيَّا[3]

قالت له: لا جَرَمَ[4] والله لأشاطرنَّكَ مالي، فأشْطَرَتْهُ إيّاه ولم تدعه للسفر بعد.

[أخبار النساء. لابن الجوزي]

* * *

(أم أبان بنت عتبة بن ربيعة)

زوجها أبان بن سعيد بن العاص بن أمية وقُتل عنها يوم أجنادين، وقيل: إنه لم يكن معها سوى ليلتين حتى قُتل عنها.

وفي رواية: أن الذي مات عنها يزيد بن أبي سفيان، ولمّا تأيَّمَتْ خطبها عمر بن الخطاب فأبَتْهُ فقيل لها: لِمَ؟ قالت: إنْ دخل دخل

(١) بلاكث والقاع: اسمان لموضعين في بلاد العرب. تهوي: تسرع. العيس: الإبل.
(٢) خطرت: مرّت. الوهن: الضعف.
(٣) الحادي: الذي يسوق الإبل ويتغنّى لها.
(٤) لا جرم: لا بُدَّ.

بيباس وإنْ خرج خرج بيباس، قد أدخله أمر آخرته عن أمر دنياه كأنه ينظر إلى ربه بعينه.

وفي رواية: يدخل عابساً ويخرج عابساً، يغلق أبوابه ويقل خيره. ثم خطبها الزبير بن العوام فأبَتْهُ فقيل لها: لِمَ؟ قالت: ليس لزوجته منه إلا قضاء حاجته. ويقول: كنتُ وكنتُ وكان وكان. وفي رواية: يدٌ له على قروني ويدٌ له في السَّوْط. وخطبها علي، فقالت: ليس للنساء منه حظ إلا أنْ يقعدَ بين شعبهنّ الأربع لا يُصِبْنَ منه غيره. وخطبها طلحة فقالت: زوجي حقّاً. قالوا: وكيف ذلك؟ قالت: إني عارفة بخلائقه، إنْ دخل دخل ضاحكاً وإنْ خرج خرج باسماً، إنْ سألتُ أعطى، وإنْ سكتُّ ابتدا، وإنْ عملتُ شكر، وإنْ أذنبتُ غفر.

فلما ٱبتنى بها قال علي: أبا محمد إنْ أذِنْتَ لي أنْ أكلمَ أُمَّ أبان؟ قال: كلِّمْها. فقال: السلام عليك يا عزيزة نفسها. قالت: عليكَ السلام. قال: خطبك أميرُ المؤمنين سيّد المسلمين فأبَيْتِهِ. قالت: وقد كان ذلك. قال: وخطبتُكِ أنا وقد أبَيْتِني من رسول الله ﷺ. قالت: قد كان ذلك. وفي رواية أنه قال لها: رَدَدْتِ مَن رددتِ منا وتزوجتِ ابن بنت الحضرمي. فقالت: القضاء والقدر. فقال: أمَا إنّكِ تزوجتِ أجملنا مرآةً وأجودنا كفّاً وأكثرنا خيراً على أهله.

[أعلام النساء لكحالة]

***

(والصلح خير)

ومن طريف ما يُروى أنّ أحدَ العلماء الصالحين ـ وكان أعمى ـ فدعا أحد أقاربه ليصلح بينه وبين زوجته، فقال: يا أمَّ فلان، إنَّ زوجك في ورعه وزهده، ليشبعه ما يشبع الهدهد، ويرويه ما يروي العصفور، ولئن كان متهدماً، فإنَّه جبل علم، ولا تنظري إلى عمش عينيه،

وحموشة ساقيه، فإنَّه إمام، وله قدر. فصاح الرجل: قمْ أخزاك الله! ما أردتَ إلاّ أنْ تعرفها عيوبي!! قال القريب: ولكني لم أقمْ، ولكن قامتْ زوجة العالم فقبَّلَتْ يده!

فما أسمَى خلق هذه المرأة.

[تحفة العروس لمهدي]

❋ ❋ ❋

(بنت الفرافصة)

قالت تماضر امرأة عبدالرحمٰن بن عوف لعثمان بن عفان: هل لك في ابنة عمٍّ لي، بكر جميلة، ممتلئة الخَلْق، أسيلة الخدّ، أصيلة الرأي، تتزوجها؟ قال: نعم. فذكرت له نائلة بنت الفرافصة الكلبية، فتزوجها وهي نصرانية، فتحنَّفتْ وحُمِلَتْ إليه من بلاد كلب، فلما دخلت عليه، قال لها: لعلك تكرهين ما ترين من شيبي؟ قالت: والله يا أمير المؤمنين، إني من نسوة أحب أزواجهن إليهنَّ الكهل! قال: إني قد جُزتُ الكهول، وأنا شيخ! قالت: أذهبتَ شبابك مع رسول الله ﷺ في خير ما ذهبت فيه الأعمار! قال: أتقومين إلينا أم نقوم إليكِ؟ قالت: ما قطعتُ إليكَ أرضَ السماوة وأريد أنْ أنثني إلى عرض البيت! وقامت إليه.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

❋ ❋ ❋

(القرشي والمرأة الجميلة)

قال الزبير: حدثني أبي، قال: كان عندنا بالمدينة رجل من قريش كانت له امرأة تعجبه ويعجبها، وكانت تحول بينه وبين طلب الرزق، وكل ذلك يحتمله لشدة محبته إياها فلما ساءت حاله وكثر دَينه قال:

إذا المرءُ لم يَطْلُب معاشاً لِنفْسِهِ شَكى الفقرَ أو لامَ الصديقَ فأكْثَرا
وصار على الأَدنين كَلاً وأوْشكَتْ قلوبُ ذوي القُرْبَى له أنْ تَنَكَّرا[1]
فَسِرْ في بلادِ اللّهِ والْتَمِس الغِنى تَعِشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فَتُعْذَرا
ولا ترضَ من عيشٍ بِدُونٍ ولا تَنَمْ وكيف ينامُ الليلَ مَنْ كان مُعْسِرا[2]
وما طالبُ الحاجاتِ من حيثُ يبتغي من الناسِ إلاً مَنْ أجَدَّ وشَمَّرا[3]

فلمّا أصبح قال لامرأته: أنا والله أُحِبُّك، ولا صبر لي على ما نحن فيه من ضيق العيش، فجهِّزيني. فجهزته، فخرج حتى قدم على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فقام بين الصفين، فأخبره بحاله، وأنشده الشعر. فرقّ له، وأمر له بألف دينار، فأخذها وانصرف راجعاً.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ ❋ ❋

(بين قُسنطا وأروى)

قال الزبير بن بكار: حكى الحسن بن علي مولى بني أمية قال: خرجتُ إلى الشام، فلما كنتُ بالسَّمْهاة ودنا الليل، رفع لي قصرٌ فأهويتُ إليه، فإذا أنا بامرأة لم أر قط مثلها حسناً وجمالاً، فسلمت، فردت عليّ السلام، قالت: ممن أنت؟ قلتُ: من بني أُمية. قالت: مرحباً بك، انزلْ، فأنا امرأة من أهلك. فأنزلتني أحسن منزل وبتُّ أحسن مبيت. فلما أصبحتُ قالت: إن لي إليك حاجة. قلتُ: ما هي؟ فأشارت إلى دير، وقالت: إن في ذلك الدير ابن عمي، وهو زوجي، وقد غلبت عليه نصرانية في ذلك الدير، فتمضي إليه وتعظه. فخرجتُ حتى انتهيتُ إلى الدير، فإذا برجل في فنائه من أحسن الرجال وأجملهم، فسلّمتُ

(١) الأدنين: الأقربين. والكلّ: الثقيل الذي لا خير فيه.
(٢) الدون: الخسيس الحقير السافل.
(٣) شمّر: استعدَّ للعمل وتهيأ.

عليه، فردّ وسأل، فأخبرته من أنا، وأين بِتُّ، وما قالت المرأة، فقال: صَدَقْتَ، أنا رجل من أهلك من أهل الحرث بن الحكم، ثم صاحَ: يا قُسْطا، فخرجت إليه نصرانية عليها ثياب حبرات(١) وزنانير ما رأيتُ قبلها ولا بعدها أحسن منها، فقال: هذه قسطا، وتلك أروى(٢)، وأنا الذي أقول:

وَبَدَّلْتُ قُسْطا بَعْدَ أرْوَىٰ وحُبِّها ... كَذاكَ لَعَمْري يَذْهَبُ الحُبُّ بالحُبِّ
وما هي، أمّا ذِكْرُها نَبَطِيَّة ... كَبَدْرِ الدُّجى أوْفَى على غُصنٍ رَطْبِ(٣)

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ ❋ ❋

(الحنين القاتل)

قال إسحاق: خرجتْ امرأة من قريش من بني زهرة إلى المدينة تقضي حقّاً لبعض القرشيين، وكانت طريفة جميلة، فرآها من بني أمية رجل فأعجبته، وتأمّلها فأخذت بقلبه، وسأل عنها فقيل له: هذه حميدة بنت عمر بن عبدالله بن حمزة. ووُصِفتْ له بما زاد فيها كلفه، فخطبها إلى أهلها فزوّجوه إيّاها على كُرهٍ منها، وأُهْدِيتْ إليه فرأت من كرمه وأدبه وحُسْن عشرته ما وَجَدَتْ به، فلم تُقِمْ عنده إلا قليلاً حتى أخرج أهلُ المدينة بني أمية إلى الشام، فنزل بها أمَرٌ ما ابتُليتْ بمثله، فاشتدَّ بكاؤها إلى زوجها وبكاؤه عليها، وخُيّرتْ بين أن تجمع معه مفارقة الأهل والولد والأقارب والوطن أو تتخف عنه مع ما تجد به، فلم تجد شيئاً أخفَّ عندها من الخروج معه مختارة له على الدنيا وما فيها.

---

(١) حَبَرات: ضرب من برود اليمن [مُلاَءة سوداء تلبسها النساء المحجبات إذا خرجن من البيوت].
(٢) اسم المرأة العربية.
(٣) نبطية: نسبة إلى النبط أو الأنباط.

فلما صارت بالشام صارت تبكي ليلها ونهارها ولا تتهنّأ طعاماً ولا شراباً شوقاً إلى أهلها ووطنها، فخرجتْ يوماً بدمشق مع نسوة تقضي حقّاً لبعض القرشيين فمرتْ بفتى جالسٍ على باب منزله، وهو يتمثل بهذه الأبيات:

ألا ليْتَ شِعْري هل تغيَّرَ بَعْدَنا ... صُحُونُ المُصَلّى أم كعهدي القرائنُ؟
وهل أدورٌ حول البلاد عوامرٌ ... من الحيّ أم هل بالمدينة ساكنُ؟
إذا لمعتْ نحو الحجازِ سحابةٌ ... دعا الشوقُ مِنّي برقُها المتيامنُ
وما أشخصتنا رغبةٌ عن بلادنا ... ولكنّه ما قدَّر اللّهُ كائِنُ

فلما سمعتْ المرأة ذكر بلدها وعرفت المواضع، تنفَّسَتْ نفساً صدع فؤادها فوقعتْ ميتة. فحملت إلى أهلها وجاء زوجها، وقد عرف الخبر، فانكبَّ عليها فوقع عنها ميتاً، فغسلا جميعاً وكفنا ودفنا في قبر واحد.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ ❋ ❋

(قصة عبدالملك وعاتكة)

وحكى الهيثم بن عدي[1]، عن ابن عباس، قال: كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية تحت عبدالملك بن مروان، وكان يجد[2] بها ويحبها حبّاً شديداً، فغضبتْ عليه، فطلب رضاها بكل أمر، فأبتْ حتى أضرَّ به ذلك وشكا إلى خاصته. فقال له عمر بن الأسدي: ما لي إنْ أرضيتُها؟ قال له: حكمك. قال: فخرج فأتاها وجلس بين يديها يبكي. فقالت له حاضنتُها ما لك يا أبا حفص؟ قال: قد جئتُ إلى بنت عمي في أمرٍ

(١) هو الهيثم بن عديّ من كبار المؤرخين والعلماء.
(٢) يجد بها: يهيم عشقاً.

مهمٌ عظيم، فاسْتأذني لعلها تقضي حاجتي. فقالت: ما بالك؟ فقال لها: قد عرفتِ حالي مع أمير المؤمنين عبدالملك، ولم يكن لي غير ابنين، فتعدَّى أحدهما على الآخر فقتله. فقلتُ: أنا ولي الدم وقد عفوتُ. فقال أمير المؤمنين: ما أحب أنْ أعوِّدَ رعيتي هذا. وهو قاتله بالغداة فنشدتكِ اللَّهَ إلاّ كلمته فيه، وسألته في إبقائه لي، فإنَّكِ تجمعين في ذلك إحياءه وإحياء نفسي. فإنَّهُ إنْ قتله قتلتُ نفسي. فقالت: ما أُكلمه. فقال لها: ما أظنك تكسبين شيئاً أحبَّ من إحياء نفسين. وبكى بكاءً شديداً، فلم يزل بها صواحبها وخدمها وحاشيتها حتى قالت: عليّ بثيابي. فلبست، وكان بينها وبينه باب قد ردمته. فأمرتْ بفتحه ثم دخلتْ. فأقبل أحد الغلمان فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عاتكة. قال: ويْلكَ رأيتَها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، وإذا هي قد أقبلتْ وعبدالملك على سريره. فسلَّمتْ، فسكتَ، فقالت: أما والله لولا مكان عمر بن بلال ما فعلت، ولا أتيتُكَ والله. إنْ عدا أحدُ بنيه على الآخر فقتله، وهو الولي وقد عفا عنه، لتقتله؟ قال: أي والله، وهو راغم. قالت: أنشدك الله أنْ لا تفعل. فدنتْ فأخذتْ بيده، فأعرضَ عنها، فأخذتْ أرجله فقبَّلتها، فأكَبَّ عليها وضمَّها إلى نفسه ورفعها إلى سريره، وقال: قد عفوتُ عنه. فتراضيا[١].

وراح عبدالملك فجلس مجلس الخاصة، فدخل عمر بن بلال، فقال: يا أبا حفص، ألطفتَ الحيلة في القيادة فلكَ حكمك! فقال: يا أمير المؤمنين، ألف دينار ومزرعة بما فيها من الرقيق والآلة. قال: هي لكَ. قال: ومرابض لولدي وأهل بيتي. قال: وذلك كله لك.

وبلغ عاتكة الخبر فقالت: ويلي على عمر، خدعني.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

***

(١) تراضيا: اصطلحا.

(امرأة تعاتب بعلها)

قالت امرأة تُعاتِبُ بعلها: أسألُ الذي قَسَمَ بين العباد معايشهم أن يَقْسِمَ الحبَّ بيني وبينك، ثمَّ أنشدتْ:

أدْعُـو الـذي صَـرَفَ الـهـوى ... مِـنِّـي إلـيـكَ ومِـنْـكَ عـنِّـي
أنْ يَـبْـتَـلـيـكَ بِـمـا ابـتـلانـي ... أوْ يُـسِـلَّ الـحـبَّ مِـنِّـي

[روضة المحبين لابن القيم]

* * *

(المهدي يزوج بدوياً)

ذكر الخرائطي أنّ المهدي خرج إلى الحج حتّى إذا كان بزُبالة[١] جلس يتغدّى فأتى بدوي فناداه: يا أمير المؤمنين، إني عاشق! ورفع صوتَه، فقال للحاجب: ويحك ما هذا؟ قال: إنسان يصيحُ إني عاشق، قال: أدخلوه، فأدخلوه عليه فقال: مَنْ عشيقتك؟ قال: ابنة عمي، قال: أوَ لَها أبٌ؟ قال: نعم، قال: فما له لا يزوّجك إياها؟ قال: هٰهنا شيءٌ يا أمير المؤمنين، قال: ما هو؟ قال: إني هجين[٢]. قال له المهدي: فما يكون؟ قال: إنه عيبٌ عندنا. فأرسل في طلب أبيها فأُتيَ به، فقال: هذا ابن أخيك؟ قال: نعم، قال: فلِمَ لا تزوجه كريمتك؟ فقال له مثل مقالة ابن أخيه، وكان من ولد العباس عنده جماعة، فقال: هؤلاء كلهم بنو العباس وهم هُجُن ما الذي يضرُّهم من ذلك؟ قال: هو عندنا عيب. فقال له المهدي: زوّجه إياها على عشرين ألف درهم، عشرة آلاف للعيب، وعشرة آلاف مهرها، قال: نعم، فحمد الله وأثنى عليه وزوّجه إياها، فأتى ببدرَتين[٣]، فدفعهما إليه، فأنشأ الشاب يقول:

(١) زُبالة: منزل بطريق مكة من الكوفة.
(٢) الهجين: الذي أمُّهُ أمَةٌ وليست عربية.
(٣) البدرة: صُرَّة بها عشرة آلاف درهم.

ابْـتَـغْـتُ ظَـبْـيَـةً بـالـغَـلاءِ وإنَّـمـا ... يُـعْـطِـي الـغَـلاءَ بِـمِـثْـلِـهـا أمْـثـالـي
وتـركْـتُ أسْـواقَ الـقِـبـاحِ لأهْـلِـهـا ... إنَّ الـقِـبـاحَ وإنْ رَخُـصْـنَ غَـوَالـي

[روضة المحبين لابن القيم]

❋ ❋ ❋

(زواج بُهَيْسَة بنت أوس بن حازم الطائي)

عرض عليها أبوها الزواج من الحارث بن عوف فقالت: أنتَ وذاك. وقبلها عرض على أختها الكبرى ثم الوسطى الزواج منه فرفضتاه، فقال لها: إني قد عرضتُ ذلك على أختيك فأبتاه. فقالت: لكني والله الجميلة وجهاً، الصَّناع يداً، الرفيعةُ خُلُقاً، الحسيبةُ أباً، فإن طلّقني فلا أخلف الله عليه بخير. فقال: بارك الله عليكِ. ثم خرج إلينا فقال: قد زوجتك يا حارثُ بُهَيْسَة بنت أوس. قال: قد قَبِلتُ. فأمر أُمَّها أن تُهَيِّئها وتصلح من شأنها، ثم أمر ببيتٍ فضُرب له، وأنزله إيّاه، فلمّا هُيِّئتْ بعث بها إليه. فلمّا أُدخِلتْ إليه لبث هُنَيْهةً ثم خرج إلـيّ ـ أيْ: إلى أبيها ـ فقلتُ: أفَرَغْتَ من شأنك؟ قال: لا والله، قلت: وكيف ذاك؟ قال: لمّا مَدَدْتُ يدي إليها قالت: مَهْ! أعند أبي وإخوتي!! هذا والله ما لا يكون. قال: فأمر بالرحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا، فسرنا ما شاء الله. ثم قال لي: تقدّمْ فتقدمتُ، وعدل بها عن الطريق، فما لَبِثَ أن لَحِقَ بي. فقلت: أفرغتَ؟ قال: لا والله. قلتُ: ولِمَ؟ قال: قالت لي: أكما يُفْعَل بالأمَةِ الجَليبة أو السَّبِيَّة الأخيذة! لا والله حتى تنحرَ الجُزُرَ، وتذبحَ الغنمَ، وتدعو العربَ، وتعمل ما يُعْمل لمثلي. قلتُ: والله إني لأرى هِمَّةً وعقلاً، وأرجو أن تكون المرأة مُنجبة إن شاء الله. فرحلنا حتى جئنا بلادَنا، فأحضَرَ الإبلَ والغنَمَ، ثم دخل عليها وخرج إلـيّ، فقلت: أفَرَغْتَ؟ قال: لا، قلت: ولِـمَ؟ قال: دخلتُ عليها أُريدها، وقلتُ لها: قد أحضرنا من المال ما قد تَرَيْن، فقالت: والله لقد ذكرتَ لي من الشرف ما لا أراه فيك. قلتُ: وكيف؟

قالت: أتفرُغ لنكاح النساء والعربُ تقتل بعضها! (وذلك في أيام حرب عَبْس وذُبيان)، قلت: فيكون ماذا؟ قالت: اخرُجْ إلى هؤلاءِ القوم فأصْلِحْ بينهم، ثم ارجعْ إلى أهلك فلن يفوتك. فقلتُ: واللّهِ لأني لأرى هِمَّةً وعقلاً، ولقد قالت قولاً. قال: فاْخْرُج بنا. فخرجنا حتى أتَيْنا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحتسِبوا القتلى، فيؤخذَ الفضل ممن هو عليه، فحملنا عنهم الدِّيات، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين. فمُدِحوا بذلك، وهذه لهم شَرَفٌ إلى الآن. ورجع فدخل بها، فولدت له بنين وبنات.

[الأغاني للأصفهاني]

❋ ❋ ❋

(زينب بنت حدير)

عن الشعبي قال: قال لي شريح: يا شعبي، عليكم بنساء بني تميم فإنَّهنَّ النساء، قال: قلت: وكيف ذاك؟ قال: انصرفتُ من جنازةٍ ذات يوم ظهراً، فمررتُ بدور بني تميم، فإذا امرأةٌ جالسةٌ في سقيفةٍ على وسادة وتجاهها جاريةٌ رُؤْد ـ أي: جميلة قد بلغت ـ ولها ذُؤابة على ظهرها جالسة على وسادة، فاستسقيت، فقالت لي: أي الشراب أعجبُ إليك: اللبن أم الماء؟ قلت: أي ذلك يَتَيَسَّر عليكم، قالت: اسقوا الرجل لبناً، فإني أخاله غريباً.

فلما شربتُ نظرتُ إلى الجارية فأعجبتني، فقلت: مَنْ هذه؟ قالت: ابنتي، قلت: وممَّن؟ قالت: زينب بنت حُدَير، إحدى نساء بني تميم، ثم إحدى نساء بني حنظلة، ثم إحدى نساء بني طُهيَّة، قلت: أفارِغَةٌ أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة، قلت: أتزوِّجنيها؟ قالت: نعم إن كنْتَ كَفِيّاً، ولها عمٌّ فاقصده.

فانصرفتُ فامتنعتُ من القائلة، فأرسلتُ إلى إخواني القرّاء الأشراف:

مسروق بن الأجدع، والمسيّب بن نجبة، وسليمان بن صُرد الخزاعيّ، وخالد بن عُرْفُطة العُذريّ، وعُروة بن المغيرة، وأبي بردة بن أبي موسى، فوافيتُ معهم صلاة العصر، فإذا عمُّها جالس، فقال: أبا أمية، حاجتك؟ قلت: إليك، قال: وما هي؟ قلت: ذُكرت لي بنتُ أخيك زينب بنت حدير، قال: ما بها عنك رغبة، ولا بك عنها مَقْصر، وإنك لنُهْزَة - أي: فرصة -.

فتكلمتُ فحمدت الله جلّ ذكره، وصلّيْت على النبي ﷺ، وذكرتُ حاجتي، فردّ الرجل عليّ وزوّجني، وبارك القومُ لي، ثمّ نهضنا. فما بلغت منزلي حتى ندمْتُ، فقلتُ: تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفاها فهممتُ بطلاقها، ثم قلتُ: أجمعها إليّ، فإن رأيتُ ما أُحِبُّ وإلا طلّقتُها.

فأقمتُ أياماً، ثم أقبل نساؤها يهادينها، فلما أُجْلِسَتْ في البيت أخذتُ بناصيتها فبركت، وأخليَ لي البيت، فقلتُ: يا هذه! إنَّ من السُّنَّة إذا دخلتِ المرأةُ على الرجل أن يصلي ركعتين وتصلي ركعتين، ويسألا الله خير ليلتهما، ويتعوّذا بالله من شرّها.

فقمتُ أصلي ثم التفتُّ، فإذا هي خَلْفي فصليت، ثم التفتُّ فإذا هي على فراشها، فمددتُ يدي، فقالت لي: على رِسْلِك، فقلتُ: إحدى الدواهي مُنيتُ بها، فقالت: إن الحمد لله أحمده وأستعينه، إني امرأة غريبة، ولا والله ما سرتُ مسيراً قط أشدّ عليّ منه، وأنتَ رجل غريب لا أعرف أخلاقك، فحدّثني بما تحبُّ فآتيه، وما تكره فأنزجر عنه. فقلت: الحمد لله وصلى الله على محمد، قدمتِ خَيْرَ مقدم، قدمتِ على أهل دارِ زوّجك سيدُ رجالهم، وأنتِ سيدة نسائهم، أُحبُّ كذا وأكرهُ كذا. قالت: أخبرني عن أختانك - أي: أصهارك - أتحبُّ أن يزوروك؟ فقلت: إني رجل قاض، وما أُحبُّ أن تملّوني. قال: فبِتُّ بأنعم ليلة، وأقمتُ عندها ثلاثاً، ثم خرجْتُ إلى مجلس القضاء، فكنت لا أرى يوماً إلا هو أفضل من الذي

قبله، حتى إذا كان عند رأس الحَوْل دخلتُ منزلي، فإذا عجوز تأمر وتَنْهَى قلت: يا زينب، مَنْ هذه؟ فقالت: أُمّي فلانة. قلت: حيّاكِ الله بالسلام، قالت: أبا أمية، كيف أنت وحالك؟ قلتُ: بخير أحمد الله، قالت: أبا أمية، كيف زوجك؟ قلت: كخير امرأة، قالت: إن المرأة لا تُرى في حال أسوأ خلقاً منها في حالين: إذا حظيت عند زوجها، وإذا ولدتْ غلاماً؛ فإنْ رابَكَ منها رَيْب فالسَّوْط؛ فإنَّ الرجال والله ما حازت إلى بيوتها شرّاً من الوَرْهاء - أي: الحمقاء - المتدلّلة.

قلتُ: أشهد أنها ابنتُكِ، قد كفيتنا الرياضة، وأحْسَنْتِ الأدب. قال: فكانت في كل حوْل تأتينا فتذكر هذا، ثم تنصرف. قال شريح: فما غضبتُ عليها قطّ إلا مرّةً كنتُ لها ظالماً فيها؛ وذاك أني كنتُ أمام قومي فسمعتُ الإقامة، وقد ركعتُ ركعتي الفجر، فأبصرتُ عقرباً، فعجلتُ عن قتلها، فأكفأتُ عليها الإناء فلما كنتُ عند الباب قلت: يا زينب! لا تحرّكي الإناء حتى أجيء. فعجَلَتْ فحرّكتْ الإناء فضربتها العقرب، فجئتُ فإذا هي تلوّى، فقلت: ما لك؟ قالت: لسعتني العقرب، فلو رأيتني يا شعبي وأنا أعركُ أصبعَها بالماءِ والملح، وأقرأ عليها المعوذتين وفاتحة الكتاب.

وكان لي يا شعبيّ جارٌ يُقال له: مَيْسرة بن عُرَيْر من الحيّ، فكان لا يزال يضرب امرأته فقلتُ:

رأيتُ رجالاً يَضْرِبُون نساءَهم ... فَشُلَّتْ يَميني يَوْمَ أَضْرِبُ زيْنَبا
أأَضْرِبُها في غَيْرِ جُرْمٍ أتَتْ بِهِ ... إلَيَّ فما عُذْري إذا كُنْتُ مُذْنِبا
فتاةٌ تَزِيْنُ الحُلْيَ إنْ هيَ حُلِّيتْ ... كأنَّ بفيها المِسْكَ خالَطَ مَحْلَبَا

يا شعبي، فوددتُ أني قاسمتُها عيشي.

[الأغاني للأصفهاني]

* * *

(زواج عائشة بنت طلحة من مصعب بن الزبير)

عندما تُوفي زوجها عبدالله بن عبدالرحمٰن بن أبي بكر الصديق، تزوجت بعده مصعب بن الزبير، فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك.

قال مصعب بن الزبير: لا يقدر عليها إلا بتَلاح وتنازع، فشكا ذلك إلى ابن أبي فِرْوة كاتبه. فقال له: أنا أكفيكَ هذا إن أذِنْتَ لي، قال: نَعَمْ! اَفعَلْ ما شئتَ فإنّها أفضل شيءٍ نِلْتُهُ من الدنيا. فأتاها ليلاً ومعه أسْوَدان فاسْتأْذَنَ عليها، فقالَت له: أفي مثل هذه الساعة؟! قال: نعم. فأدخلتْهُ. فقال للأسودين: احفرا هٰهنا بئراً. فقالت له جاريتها: وما تصنع بالبئر؟ قال: شُؤم مولاتك، أمرني هذا الفاجر أن أدفِنَها حَيَّةً وهو أسفكُ خلقِ الله لدمٍ حرام. فقالت عائشة: فأنظرني أذهب إليه. قال: هيهات! لا سبيل إلى ذلك، وقال للأسودين: احفِرا. فلمّا رأت الجدَّ منه بكتْ ثم قالت: يا ابن أبي فروة إنك لقاتِلي ما منه بُدٌّ؟ قال: نعم، وإني لأعلم أن الله سيجزيه بعدكِ، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب. قالت: وفي أيّ شيءٍ غضبُه؟ قال: في امتناعك عنه، وقد ظن أنك تُبْغِضينه وتتطلّعين إلى غيره فقد جُنّ. فقالت: أنشُدُكَ الله إلاّ عاودته، قال: إني أخاف أن يقتلني. فبكتْ وبكى جواريها. فقال: قد رَقَقْتُ لك، وحلف أنه يغرِّر بنفسه، ثم قال لها: فما أقول؟ قالت: تَضْمَنُ عنّي ألاّ أعودَ أبداً، قال: فما لي عندك؟ قالت: قِيامٌ بحقِّك ما عشتُ. قال: فأعطيني المواثيقَ، فأَعطته.

فقال للأسودين: مكانكما، وأتى مصعباً فأخبره. فقال له: اسْتَوْثقْ منها بالأيمان، ففعلتْ وصلحتْ بعد ذلك لمصعب.

[الأغاني للأصفهاني]

***

(زواج عائشة بنت طلحة من عمر بن عبيدالله بن معمر)

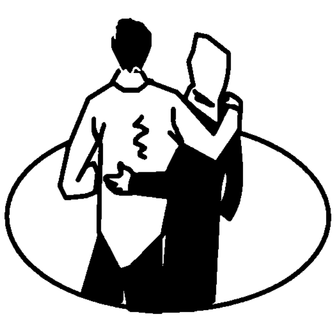
لمّا قُتل مصعب عن عائشة تزوّجها ابن عمها عمر بن عبيدالله بعد مقدمه من الكوفة، فحمل إليها ألف ألف درهم: خمسمائة ألف درهم مهراً وخمسمائة ألف هدية، وقال لمولاتها: لكِ عليّ ألفُ دينار إن دخلتُ بها الليلة. وأمر بالمال فحُمل فأُلقي في الدار وغُطّي بالثياب. وخرجت عائشة فقالت لمولاتها: أهذا فرشٌ أم ثيابٌ؟ قالت: انظري إليه، فنظرتْ فإذا مال، فتبسّمتْ. فقالت: أجزاءُ مَنْ حملَ هذا أن يبيتَ عَزَباً؟ قالت: لا والله، ولكن لا يجوز دخولُه إلا بعد أن أتزيّن له وأستعدّ. قالت: فيمَ ذا فوجهُك والله أحسنُ من كل زينة، وما تَمُدّين يدَكِ إلى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلا وهو عندك. وقد عزمتُ عليك أن تأذني له. قالت: افعلي. فذهبتْ إليه فقالت له: بِتْ بنا الليلة. فجاءَهم عند العشاء الآخرة، فأُدْنِيَ إليه طعامٌ، فأكل الطعامَ كلّه حتى أعْرَى الخِوان، وغسل يده، وسأل عن المتوضّأ فأخبرتُه فتوضأ، وقام يصلي حتى ضاق صدري ونِمْتُ، ثم قال: أعليكم إذنٌ؟ قلت: نعم، فادْخُلْ، فأدخلته وأسبلتُ السِّتْرَ عليهما.

قال المدائني: وكان عمر بن عُبيدالله من أشدّ الناس غَيْرةً، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حرٌّ شديد وغبارٌ، فقال لها: انفُضي الترابَ عني. فأخذتْ مِنْديلاً تنفُض به عنه التراب، ثم قالت له: ما رأيتُ الغبارَ على وجه أحدٍ قطُّ كانَ أحسنَ منه على وجه مُصْعَبٍ، قال: فكان عمر يموت غيظاً.

ومكثت عائشة عند عمر بن عبيدالله ثماني سنين، ثم مات عنها، فخطبها جماعة فردّتهم ولم تتزوج بعده أحداً.

[الأغاني للأصفهاني]

الحُسْن والجمال



الحُسن والجمال

* قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾.

[سورة النحل/٦]

* وقال سبحانه: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ...﴾.

[سورة الأحزاب/٥٢]

* عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أُعطيَ يوسفُ وأُمُّهُ شطرَ الحُسْن»**.

[صحيح الجامع الصغير/١٠٦٣]

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله تعالى جميل يحبُّ الجمال»**.

[صحيح الجامع الصغير/١٧٤١]

* وعن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله تعالى جميل يحِبُّ الجمال، ويحب معالي الأخلاق، ويكرهُ سِفسَافَها»**.

[صحيح الجامع الصغير/١٧٤٣]

* من أجمل ما قال الشعراء في الجمال: قول المقنع الخراساني:

خَلَقْتَ الجمالَ لنا فتنةً وقلتَ لنا: يا عبادِي اتَّقُون
فأنتَ جميلٌ تُحِبُّ الجمالَ فكيفَ عبادُك لا يَعْشَقُون

* وقال عمرو بن معدِيكَرِب:

لَيسَ الجمالُ بِمئْزَرٍ فاعْلَمْ وإنْ رُدِّيتَ بُرْدا
إنَّ الجمالَ معادِنٌ وَمَنَاقِبٌ أوْرَثْنَ مَجْدا

* وقال سليمان الحكيم عليه السلام: الجمال كاذب، والحُسْنُ مُخْلِف، وإنما تسْتحق المدحَ المرأةُ الموافقة.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

* وقال إبراهيم بن زياد العدوي: ثلاث تفرّح القلب وتنمي العقل: الزوجة الجميلة، والكفاف من الرزق، والأخ المؤنس.

[بستان العارفين للسمرقندي]

* وقال الإمام علي رضي الله عنه: جمال الرجل في عِمَّتِه، وجمال المرأة في خُفِّها.

[البيان والتبيين للجاحظ]

* عن عبدالله بن بردة الأسلمي قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعُسُّ ذات ليلةٍ، فإذا هو بنسوةٍ يتحدَّثن، فإذا هُنَّ يقلن: أيُّ أهل المدينة أصبح؟ فقالت امرأةٌ منهنَّ: أبو ذئب. فلما أصبح سأل عنه، فإذا هو من بني سُليم، فلما نظر إليه عمر إذا هو من أجمل الناس. فقال له عمر: أنت والله ذئبُهُنَّ، مرتين أو ثلاثاً، والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أنا بها! قال: فإنْ كنتَ لا بُدَّ مُسَيِّرني، فسَيِّرْني حيث سَيَّرتَ ابن عمي، يعني: نصر بن حجاج السلمي، فأمر له بما يُصْلِحُهُ وسَيَّره إلى البصرة.

[الطبقات الكبرى لابن سعد]

* وقال جميل بن مَعْمر: ما رأيتُ مُصْعباً يختالُ بالبلاط إلا غِرتُ على بُثَيْنَة، وبينهما ثلاثة أيام.

والبلاط: موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين مسجد رسول الله ﷺ وبين سوق المدينة.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

* ومرَّ رجلٌ بناحيةِ البادية فإذا فتاةٌ كأحسن ما تكون، فوقف ينظر إليها، فقالت له عجوزٌ من ناحية: ما يُقيمُك على الغزال النجديّ ولا حظٌّ لك فيه، فقالت الجارية: يا عمتاه، يظنُّ كما قال ذو الرُّمَّة:

وإنْ لم يكنْ إلا تعلُّلُ ساعةٍ قليلاً فإنّي نافعٌ لي قليلها

[المرجع السابق]

* وقال بعض الشعراء:

الخالُ يقبحُ بالفتى في خدِّهِ والخالُ في خدِّ الفتاة مليحُ
والشَّيْبُ يَحْسُنُ بالفتى في رأسه والشَّيبُ في رأسِ الفتاة قبيحُ

[المرجع السابق]

* قال أبو اليقظان: كان يُسَمَّى جيشُ ابن الأشعث جيش الطواويس، لكثرة من كان فيه من الفتيان المنعوتين بالجمال.

[المرجع السابق]

* وخرج نسوةٌ يوم العيد ينظرن إلى الناس، فقيل لهنّ: مَنْ أحسن مَنْ مَرَّ بكنّ؟ قلن: شيخٌ عليه عمامةٌ سوداء، يَعْنين: الحسن البصري. وأخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه، فقال الرجل: أيها الأمير، ما أقبح مِنْ أنْ أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة، ووجهك هذا الذي يُسْتضاءُ به فأتعلق بأطرافك وأقول: يا رب سلْ مصعباً فيم قتلني؟ فقال مصعب: أطلقوه. فقال الرجل: أيها الأمير! اجعلْ ما وهبتَ لي من حياتي في خَفْض - أي: في دعة وسعة

عيش ـ فقال مصعب: أعطوه مائة ألف درهم، فقال: إني أشهد الله أنَّ لعبدالرحمٰن بن قيس الرُّقيات نصفها، قال مصعب: ولِمَ ذلك؟ قال: لقوله:

إنّما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلّتْ عن وجهه الظَّلْماءُ

فضحك مصعب وقال: إنَّ فيك لموضعاً للصنيعة، وأمره بلزومه.

[روضة المحبين لابن القيم]

* وقال بعض الشعراء يذكر نساءً جئن مع جارية:

أقْبَلْنَ في رَأدِ الضُّحاءِ بِها وَسَتَرْنَ وَجْهَ الشمسِ بالشمس

[رأد الضحاء: وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء].

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

* وصف أعرابيٌّ امرأةً فقال: كاد الغزالُ يكونها، لولا ما تمَّ منها ونقص منه.

[المرجع السابق]

* وأراد عمرو بن حُجْر ملك كندة أن يتزوج ابنة عوف بن محلم الشيباني، فوجَّهَ إليها امرأة يُقال لها: عصام، لتنظر إليها وتمتحن ما بلغه عنها، فدخلت على أمها أمامة بنت الحرث، فأعلمتها ما قدمت له، فأرسلت إلى ابنتها، فقالت: أي بنية، هذه خالتك أتتْ إليك لتنظر إلى بعض شأنك، فلا تستري عنها شيئاً أرادت النظر إليه.

فدخلت عصام عليها، فنظرتْ إلى ما لم تر عينُها مثلَهُ قطّ، بهجةً وحُسْناً وجمالاً، فخرجتْ من عندها فقالت:

رأيتُ جبهةً كالمرآة الصقيلة، يزينها شعر حالك كأذناب الخيلِ المضفورة، إنْ أرْسَلَتْهُ خِلْتَهُ السلاسل، وإنْ مَشطَتْهُ قلت عناقيد كرْم

جلاها الوابل[١]، ومع ذلك حاجبان كأنهما خُطّا بقلم، أو سُوِّدا بحُمَم[٢]، قد تقوَّسا على مثل عين العبهرة[٣] التي لم يَرُعْها قانص[٤]، ولم يُذْعِرْها قسورة[٥]، بينهما أنف كحدّ السيف المصقول، لم يخنس[٦] به قصر، ولم يُمعن به طول، حَفَّتْ به وجنتان كالأرجوان[٧]، في بياض محض[٨] كالجمان، شُقَّ فيه فمٌ كالخاتم، لذيذ المبتسم، فيه ثنايا غُرّ[٩]، ذوات أَشَر[١٠]، وأسنان تبدو كالدر، وريق كالخمر، له نشر الروض بالسَّحَر، يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان، يقلّبه به عقلٌ وافر، وجوابٌ حاضر، تلتقي دونه شفتان حمراوان كالورد، يجلبان ريقاً كالشهد، تحت ذاك عنق كإبريق الفضة، رُكِّب في صدر تمثال دمية يتصل به عضدان ممتلئان لحماً، مكتنزان شحماً، وذراعان ليس فيهما عظمٌ يُحسُّ، رُكبتْ فيهما كفان دقيق قصبُهُما، ليِّنٌ عصبُهما، تَعْقِد إنْ شِئْتَ منهما الأنامل، وتركّب الفصوص في حُفر المفاصل، وقد تربَّعَ في صدرها حُقان كأنهما رمانتان، يخرقان عليها ثيابَها، من تحته بطنٌ طُوِيَ كطيّ القباطيّ المدمجة[١١]، كُسِرَ عُكناً[١٢] كالقراطيس المدرجة، تحيط بتلك العكن سُرّة كمدهن العاج المجلوّ، خلف ذلك ظهر كالجدول ينتهي إلى خصر لولا رحمة الله لا نخزل،

---

(١) جلاها الوابل: أي أبانها المطر.
(٢) حُمم: سواد.
(٣) العبهرة: المرأة العظيمة الخلق مع الجمال.
(٤) يرعها قانص: أي يفزعها صياد.
(٥) يذعرها قسورة: أي يخيفها أسد.
(٦) الخَنَس: تأخر الأنف في الوجه وقصره.
(٧) الأرجوان: شجرة صغيرة زهرها وردي تزرع للزينة.
(٨) بياض محض: بياض خالص.
(٩) ثنايا غُر: أسنان بيضاء في مقدم الفم.
(١٠) أشر: هو التحزيز في الأسنان يكون خِلْقة وصناعة.
(١١) القباطي: نوع من الثياب القبطية. المدمجة: المطوية الملفوفة.
(١٢) العُكن: ما انطوى وتثنى من لحم البطن.

تحته كفل[١] يقعدها إذا نهضتْ، ويُنهضها إذا قعدت، كأنه دِعْصُ رمل[٢]، لبَّده سقوط الطّل، يحمله فخذان لفاوان، كأنهما نضيد الجمان[٣]، تحملهما ساقان خذْلتان[٤] كالبردي وُشِّيتا[٥] بشعر أسود، كأنه حلق الزرد، ويحمل ذلك قدمان كحذو اللسان، تبارك الله، مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما، فأما سوى ذلك فتركتُ أنْ أصفه غير أنّه أحسنُ ما وصفه واصفٌ بنظم أو نثر.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

* قال الزبير بن بكار: حدَّثنا مُصْعب الزبيري، حدَّثنا عبدالرحمٰن بن أبي الحسن قال: خرج أبو حازم يرمي الجمار ومعه قومٌ متعبدون وهو يكلمهم ويحدثهم ويقص عليهم، فبينما هو يمشي وهم معه إذ نظر إلى فتاةٍ مستترةٍ بخمارها، ترمي الناس بطرفها يمنةً ويَسْرةً وقد شغلت الناس وهم ينظرون إليها مبهوتين، وقد خبط بعضهم بعضاً في الطريق، فرآها أبو حازم فقال: يا هذه، اتقي الله فإنك في مَشْعَرٍ من مشاعر الله عظيم، وقد فَتَنْتِ الناس، فاضربي بخمارك على جيبك فإنَّ الله عز وجل يقول: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، فأقبلت تضحك من كلامه وقالت: إني والله:

من اللّاءِ لم يَحْجُجْنَ يبغين حِسْبَةً ولكنْ لِيَقْتُلْنَ البَرِيءَ المُغَفَّلا

فأقبل أبو حازم على أصحابه وقال: تعالوا ندعو الله أن لا يعذِّبَ هذه الصورة الحسناء بالنار، فجعل يدعو وأصحابه يُؤَمِّنون.

[روضة المحبين لابن القيم]

(١) كفل: كفل المرأة عجيزتها.
(٢) دِعْص: كثيب الرمل.
(٣) نضيد: متسق ومتراص. الجمان: اللؤلؤ.
(٤) خدلتان: ضخمتان ممتلئتان.
(٥) وشيتا: زينتا.

* قال ضمْرة بن ربيعة، عن عبدالله بن شَوذَب: دخلتْ امرأةٌ جميلةٌ على الحسن البصري فقالت: يا أبا سعيد، أيَحُلُّ للرجال أن يتزوَّجوا على النساء؟ قال: نعم، قالت: وعلى مثلي؟ ثمَّ أسْفرتْ عن وجْهٍ لم يُرَ مثله حسناً وقالت: يا أبا سعيد، لا تُفْتوا الرجال بهذا، ثمَّ ولَّتْ، فقال الحسن: ما على رجلٍ كانت هذه في زاوية بيته ما فاته من الدنيا.

[المرجع السابق]

* وقال الخيزراني:

رأيْتُ الهِلالَ وَوَجْهَ الحَبيبِ ... فكانا هِلالَيْنِ عِنْدَ النَّظَرْ
فَلَمْ أدرِ مِنْ حَيْرَتي فيهما ... هِلالَ الدُّجىٰ مِنْ هِلالِ البَشَرْ
فَلَوْلا التَّوَرُّدُ في الوجنتين ... وما راعَني مِنْ سَوادِ الشَّعَرْ
لَكُنْتُ أظُنُّ الهِلالَ الحَبيبَ ... وكُنْتُ أظُنُّ الحَبيبَ القَمَرْ

* وقال الفاروقي:

وَمَنْ كانَ ذا صَبْوَةٍ بالمِلاحِ ... فَلا يَطْعَمُ الغَمْضَ إلاَّ قَليلْ
بِرِدْفٍ ثَقيلٍ وخَصْرٍ نَحيلٍ ... وخَدٌّ أسيلٍ وطَرْفٍ كَحيلْ

* وقال شاعر في الخال:

وَبَيْنَ الخَدِّ والشَّفَتَيْنِ خالٌ ... كَزِنْجِيٍّ أتىٰ رَوْضاً صباحا
تَحَيَّرَ في الرِّياضِ فَلَيْسَ يَدْري ... أيَجْني الوَرْدَ أمْ يَجْني الأقاحا

* وقال آخر:

لها خالٌ على صَفَحاتِ خَدٍّ ... كَنُقْطَةِ عَنْبَرٍ في صَحْنِ مَرْمَرْ
وألْحاظٌ كأسْيافٍ تُنادي ... علىٰ عاصي الهَوىٰ اللَّهُ أكْبَرْ

* وقال الملك الناصر:

لَوْ عايَنَتْ عَيْناكَ حُسْنَ مُعَذِّبَتي ... ما لُمْتَني ولكُنْتَ أوَّلَ مَنْ عَذَرْ
عَيْنُ الرَّشا قَدُّ القنا رِدفُ النَّقا ... شَعْرُ الدُّجىٰ شَمْسُ الضُّحىٰ وَجْهُ القَمَرْ

* وقال مسلم بن الوليد يصف صاحبتَهُ:

وَقَـدْ قَـالَـتْ لِـبـيـضٍ آنِـسـاتٍ ... يَـصِـدْنَ قـلـوبَ شُـبَّـانٍ وَشِـيـبِ
أنـا الشَّمْسُ المُضِيئَةُ حين تَبْدو ... ولـكِـنْ لـسْـتُ أُعْـرَفُ بـالـمَـغـيـبِ
بَـرانـي الـلَّـهُ رَبِّـي إذْ بَـرانـي ... مُـبَـرَّأَةً سَـلِـمَـتُ مِـنَ الـعُـيـوبِ
فَـلَـوْ كَـلَّـمْـتُ إنْـسـانـاً مَـرِيـضـاً ... لَـمـا احْتاجَ المَريضُ إلى الطَّبيبِ
وخَـلْـفـي مِـسْـكَـةٌ عُـجِـنَـتْ بِـبـانٍ ... فَـلَـسْـتُ أُريـدُ طـيـبـاً غَـيْـرَ طـيـبـي
وأغْـقِـدُ مِـئْـزري عَـقْـداً ضَـعِـيـفـاً ... عـلـى دِعْـصٍ رُكـامٍ مِـن كَـثِـيـبِ[1]
وَجِـلْـدي لَـوْ يَـدِبُّ عَـلَـيْـهِ ذَرٌّ ... لأدمـىٰ الـذَّرُ جِـلْـدي بـالـدَّبِـيْـبِ
وَرِيـقـي مـاءُ غـادِيَـةٍ بِـشَـهْـدٍ ... فَـمـا أشـهـىٰ مِـنَ الـشَّـهْـدِ الـمَـشُـوبِ

* وقال ابن الرومي:

صُـدورٌ فَـوْقَـهُـنَّ حِـقَـاقُ عـاجٍ ... وَحَـلْـيٌ زانَـهُ حُـسْـنُ اتِّـسـاقِ
يـقـول الـنـاظِـرونَ إذا رَأَوْهـا ... أهٰـذا الـحَـلْـيُ مِـنْ هٰـذِي الـحِـقـاقِ
ومـا تِـلْـكَ الـحِـقَـاقُ سِـوى ثُـدِيٍّ ... قُـدِزْنَ مـن الـحِـقـاقِ عَـلَـى وِفـاقِ
نَـواهِـدُ لا يُـعَـدُّ لَـهُـنَّ عَـيْـبٌ ... سِـوى مَـنْـعِ الـمُـحِـبِّ مـن الـعِـنـاقِ

* وقال عبدالله بن أبي السمط بن مَرْوان:

كَـأَنَّ الـثُّـدِيَّ إذا مـا بَـدَتْ ... وَزَانَ الـعُـقُـودُ بِـهِـنَّ الـنُّـحـورَا
حِـقَـاقٌ مِـنَ الـعـاجِ مَـكْـنـونَـةٌ ... حَـمَـلْـنَ مِـنَ الـمِـسْـكِ شـيـئـاً يَـسِـيـرا

* وقال عمرو بن كُلثوم في معلقته:

وَثَـدْيـاً مِـثْـلَ حُـقِّ الـعـاجِ رَخْـصـاً ... حَـصـانـاً مِـنْ أكُـفِّ الـلاَّمِـسِـيـنـا[2]

(١) الدعص: كثيب الرمل المجتمع.
(٢) رَخصاً: ليّناً. وحَصاناً: عفيفة.

* وقال عروة بن أُذينة ـ وهو الفقيه المحدِّث الثقة ـ روى عنه الإمام مالك وغيره من الأئمة، وكان إلى ذلك شاعراً غَزِلاً:

إنّ التي زَعَمَتْ فؤادَكَ مَلَّهَا ... خُلِقَتْ هَواكَ كما خُلِقْتَ هَوىً لها
بيضاءُ باكَرَها النَّعِيمُ فَصاغَها ... بِلَبَاقَةٍ فأدَقَّها وأَجَلَّها
وإذا وَجَدْتُ لها وسَاوِسَ سَلْوةٍ ... شَفَعَ الضميرَ إلى الفؤادِ فَسَلَّهَا

[دولة النساء للبرقوقي]

* وقال ابن لَنْكَكْ:

البدْرُ والشمْسُ المُنِيـ ... ـرَةُ والدُّمَى والكَوْكَبُ
أضْحَتْ ضَرائِرَ وَجْهِهِ ... من حَيْثُ يَطْلُعُ تَغرُبُ
وكأنَّ جَمْرَ جَوانِحِي ... في خَدِّهِ يَتَلَهَّبُ
وكأنَّ غُصْنَ قَوامِهِ ... مِن ماءِ دَمْعِي يَشْرَبُ
وصَوالِجِ في صُدْغِهِ ... بِسَوادِ قَلْبِي تَلْعَبُ

* وقال أبو هلال العسكري:

وَوَجْهٍ تَشَرَّبَ ماءَ النَّعيم ... فلَو عُصِرَ الحُسْنُ مِنْهُ انْعَصَرْ
يَمُرُّ فَأَمْنَحُهُ ناظِرِي ... فيَنْثُرُ وَرْداً عليه الخَفَرْ
تَمَتَّعَتِ العَينُ في حُسْنِهِ ... فما حَفَلَتْ بطُلُوعِ القَمَرْ

* * *

(أجمل وأملح)

* قالت السيدة سُكَيْنَةُ بنت الحُسين رضي الله عنهما يوماً لعائشة بنت طلحة: أنا أجملُ مِنكِ! فقالت عائشة: بل أنا أجملُ مِنكِ! واختصما إلى عمر بن أبي ربيعة. فقال: لأقضينّ بينكما، أمّا أنتِ يا سُكَيْنة فأملحُ، وأمّا أنتِ يا عائشة فأجملُ. فقالت سكينة: قَضَيْتَ لي والله عليها.

ويوضح هذا قولهم: الجميلةُ هي التي تأخُذُ ببَصَرِكَ جُمْلَةً على البُعْد، فإذا دَنَت لم تكن كذلك، والمليحة هيَ التي تأخُذُ بقلبك على القرب، أو التي كلما كرَّرْتَ فيها بَصَرَك زادتْكَ حُسْناً.

[دولة النساء للبرقوقي]

❋ ❋ ❋

(محاسن بديعة)

❋ قال المعزّ بن باديس:

لـو كُـنْـتِ حَـلْـيـاً لـكُـنْـتِ عِـقـداً ... أو كُـنْـتِ طِـيْـبـاً لـكُـنْـتِ نَـدّا[١]
أو كُنْتِ وَقْـتـاً لـكُـنْـتِ صُـبْـحـاً ... أو كُنْتِ نَجْماً لكنتِ سَعْـدا[٢]
أو كُـنْـتِ غُـصْـنـاً لـكُـنْـتِ آسـاً ... أوْ كُـنْـتِ زَهْـراً لـكـنـتِ وَرْدَا[٣]
وكـم طَـلَـبْـتُ الـسُّـلُـوَّ جَـهْـدَى ... فـلـم أَجِـدْ مِـن هَـواكِ بُـدّا[٤]

[الحلة السيراء لابن الأبار]

❋ يرى ابنُ القيم الجوزية أن الحُسْنَ هو ما يستنطق أفواهَ الناظر بالتسبيح، فقد قال:

يـا صـورةَ الـبـدرِ ولا والـذي ... صـوّرَ لـيـس الـبـدرُ يـحـكـيـكِ
مِـنّـي عـلـى الـعـيـن ولا تَـبْـخـلـي ... بـنـظـرةٍ فـالـعـيـنُ تـفـديـكِ
وإنْ تَـحَـرَّجْـتِ لـهـذا فـكـم ... قـدْ سَـبّـحَ الـرحـمٰـنَ رائـيـكِ
هـذا بـهـذا فـأرْتَـجـيْ أَجْـرَ مَـنْ ... إنْ غِـبْـتِ عَـنْـهُ ظَـلَّ يَـبْـكِـيـكِ

[روضة المحبين لابن القيم]

---

(١) الحلي: الزينة كالذهب والجوهر. الندّ: نوع من البخور.
(٢) سعد: نجم في السماء.
(٣) الآس: شجر عطري دائم الخضرة.
(٤) السلو: النسيان.

* وقال ابن سُكَّرة الهاشمي:

فـي وَجْـه إنـسـانـةٍ كَـلِـفْـتُ بـهـا ... أربـعـةٌ مـا اَجْـتَـمـعْـنَ فـي أحـدِ
فـالـخـدُّ وَرْدٌ والـصُّـدْغُ غـالـيـةٌ ... والـرِّيـقُ خـمـرٌ والـثَّـغْـر مِـنْ بَـرَدِ
لـكُـلِّ جُـزْءٍ مِـنْ حُـسْـنِـهـا بِـدَعٌ ... تُـودِعُ قـلـبـي وَدَائِـعَ الـكَـمَـدِ

[دولة النساء للبرقوقي]

* قال بعضهم: الجمال مرحوم.

* وقال آخر: شفيع الحُسْن مقبول.

* وقال الحكم بن قَنْبَر المازني:

وَيْلي على من أطارَ النومَ فامْتَنَعَا ... وزاد قـلـبـي إلـى أوجـاعِـهِ وَجَـعَـا
كأنَّما الشمسُ في أَعْطافِهِ لَمَعَتْ ... حُـسْـنـاً أوِ الـبـدرُ من أزْرارِهِ طَـلَـعَـا
مُسْتَقْبَلٌ بالذي يَهْوَى وإنْ كَثُرَتْ ... مِـنْـهُ الإسـاءَةُ مَـعْـذُور بـمـا صَـنَـعَـا
في وَجْـهِـهِ شـافِـعٌ يَـمْـحُـو إسـاءَتَـهُ ... من القُلوبِ وَجِيهاً حَيْثُما شَفَعَا

[دولة النساء للبرقوقي]

* وقال الأعشى:

لـوْ أسْـنَـدَتْ مَـيْـتـاً إلـى نـحْـرِهـا ... عـاشَ ولـم يُـنْـقَـلْ إلـى قَـابِـرِ

* وكان محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان يُسَمَّى الدِّيباج لجماله، وقالت له امرأةٌ يوماً: أنت تَفْخَرُ بالجمال وإنّما ذلك فخر النساء، وفخر الرجال بالإجمال، فقال لها: وإذا جمع الرجل بين الجمال والإجمال فقد حاز مرتبة الكمال.

[دولة النساء للبرقوقي]

* وقال جميل بن عبدالله بن مَعْمَر العذري:

فلو دَرَجَ النملُ الصِّغارُ بِجِلْدِها لأَنْدَبَ أعلى جِلدِها مَدْرَجُ النَّملِ[١]
وأحسنُ خلقِ اللَّهِ جيداً ومُقْلةً تُشَبَّهُ في النِّسْوان بالشادِنِ الطِّفْلِ[٢]

* وقال ابنُ المعتز:

يا مُفرداً بالحُسْنِ والشَّكْلِ مَنْ دلَّ عينيه على قَتْلي
البَدْرُ مِنْ شَمْسِ الضُّحى نُورُهُ والشَّمْسُ من نُورِ وَجْهِك تَسْتَمْلي

* وقال عمر بن أبي ربيعة:

وفتاةٍ إنْ يَغِبْ بَدْرُ الدُّجى فَلَنا في وَجْهِها عَنْهُ خَلَفْ
أجْمَعَ الناسُ على تَفْضيلها وَهَواهُم في سِواها مُخْتَلِف

* ووَصَفَ أعرابيٌّ امرأةً فقال: كادَ الغزالُ يكونُها لولا ما تمَّ منها ونَقَصَ مِنه.

وقال آخر: خَلَوْتُ بها والقمرُ يُرينيها، فلمَّا غاب أرَتْنيه[٣].

* وقال الناجم:

كادَ الغزالُ يكُونُها لكنَّما هو دُونَها
والنَّرْجِسُ الغَضُّ الجَنِيُّ أغضُّ منه جُفُونُها
مَن كانَ يَعْرِفُ فَضْلَها فَعَنِ القِياسِ يَصُونُها

* وقال أبو فراس الحمداني:

وبِيضٍ بألحاظِ العُيونِ كأنَّما هَزَزْنَ سُيُوفاً أو سَلَلْنَ خَناجِرا
تَصَدَّيْنَ لي يوماً بِمُنْعَرَجِ اللِّوى فَغَادَرْنَ قلبي بالتَّصَبُّرِ غادِرَا[٤]

---

(١) لأندب: لجرح.
(٢) الشادن: ولد الظبية. الطِّفل: الناعم.
(٣) يريد أن القمر الحقيقي لما غاب أرتني منها قمراً.
(٤) منعرج اللوى: اسم موضع.

سَفَرْنَ بُدُوراً وانْتَقَبْنَ أهِلَّةً ... وَمِسْنَ غُصُوناً والتَفَتْنَ جآذِرا[١]
وأطْلَعْنَ في الأجيادِ للدُّرِّ أنْجُمَا ... جُعِلْنَ لِحَبَّاتِ القلوبِ ضَرَائرا[٢]

* وقال أبو تمام:

إنَّ لِلَّهِ في العِبَاد مَنَايَا ... سَلَّطَتْها على القُلُوبِ العيونُ

* وقال خالد بن صفوان: الشَّعَرُ الأسْوَدُ بُرْنُسُ الجمال.

* وقال ابنُ دُرَيد الأزْدي:

غَرَّاءُ لو جَلَتِ الخُدُودُ شُعَاعَها ... للشَّمْسِ عِنْد طُلوعِها لم تُشْرِقِ
غُصْنٌ على دِعْصٍ تأَلَّقَ فَوْقَهُ ... قَمَرٌ تأَلَّقَ تَحْتَ ليلٍ مُطْبقِ[٣]
لو قيل للحُسْنِ احْتَكِمْ لَمْ يَعْدُها ... أوْ قيلَ خاطِبْ غَيْرَها لم يَنْطِقِ
فكأنَّنا مِنْ فَرْعِها في مَغْرِبٍ ... وكأنَّنا مِنْ وَجْهِها في مَشْرِقِ

* وقال النحلي:

راقتْ محاسنُها ورَقَّ أديمُها ... فتكادُ تُبْصِرُ باطناً مِنْ ظاهِرِ
يَنْدَى بماءِ الوَرْدِ مُسْبِلُ شَعْرِها ... كالطَّلِّ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحَيْ طائِرِ

* وقال عبدالله بن المعتز:

رِيمٌ يَتِيهُ بِحُسْنِ صُورَتِهِ ... عَبَثَ الفتورُ بِلَحْظِ مُقْلَتِهِ
فَكَأَنَّ عَقْرَبَ صُدْغِهِ وَقَفَتْ ... لَمَّا دَنَتْ من نار وَجْنَتِهِ

* وقال ابن المعتز:

وذاتِ دَلالٍ سَبَتْ مُهْجَتي ... بِمُسْتَشْرِفين على مَرْمَرِ
كأنَّ العُقودَ على نَحْرِها ... نُجومٌ نَظَرْنَ إلى المُشْتَرِي

---

(١) سفرن: كشفن. مِسْنَ: تمايلن. الجآذر: جمع جؤذر: وهو ولد البقرة الوحشية.
(٢) الأجياد: جمع جيد وهو العنق.
(٣) الدعص: كثيب الرمل المجتمع.

✽ وقال العرجي:

تُـرِيـكَ وَجْـهـاً فـوْقَ جِـيـدٍ لـهـا ... مِـثْـل رُخـام الـمَـرْمَـرِ الـمُـدْمَـجِ
كـأنَّـمـا الـحَـلْـيُ عـلـى نَـحْـرِهـا ... نُـجُـومُ فَـجْـرٍ سَـاطِـعٍ أَبْـلَـجِ

✽ وقال عبدالله بن المعتز:

قَـبِـيـحٌ بِـمِـثْـلِـكِ أنْ تَـهْـجُـرِي ... وَأَقْـبَـحُ مِـن ذاكَ أنْ تُـهْـجَـرِي
أَقـاتِـلـتـي بِـفُـتُـورِ الـجُـفُـونِ ... وَرُمَّـانَـتَـيْـنِ عـلـى مِـنْـبَـرِ
كَـحُـقَّـيْـنِ مِـن لُـبِّ كـافُـورَةٍ ... بِـرَأْسَـيْـهِـمـا نُـقْـطَـتَـا عَـنْـبَـرِ

✽ وقال ابن عبد ربه صاحب العقد:

يـا لـؤلـؤاً يَـسْـبـي الـعـقـولَ أنـيـقـا ... وَرَشـا بـتـقـطـيـعِ الـقـلـوبِ خـلـيـقـا
مـا إنْ رأيـتُ ولا سـمـعـتُ بِـمِـثْـلِـهِ ... دُرّاً يَـعُـودُ مـن الـحـيـاءِ عَـقـيـقـا
وإذا نَـظَـرْتَ إلـى مـحـاسِـنِ وَجْـهِـهِ ... ألْـفَـيْـتَ وَجْـهَـكَ فـي سَـنـاهُ غـريـقـا
يـا مَـنْ تَـقَـطَّـعَ خَـصْـرُهُ مـن رِقِّـهِ ... مـا بـالُ قـلـبِـكِ لا يـكـونُ رَقـيـقـا

✽ وقال المتنبي:

وَخَـصْـرٍ تَـثْـبُـتُ الأبـصـارُ فـيـه ... كـأنَّ عـلـيـهِ مِـنْ حَـدَقٍ نِـطـاقـا

✽ ومن أمثلة ما يُروَى في فخر النساء بجمالهنَّ، ما رواه الأصمعي قال: كان أعرابي عندهُ أربع نسوة: كندية، وغسانية، وشيبانية، وغنوية، فجمع بينهنَّ ثم قال: لتقل كل واحدة منكن قولاً تصفُ به نفسَها.

فقالت الكندية:

كـأنّـي جَـنَـى الـنَّـحـلِ والـزَّنْـجَـبـيـل ... وصَـفْـوَةَ الـمُـدامَـةِ والـسَّـلْـسَـبـيـل
يـزيـنُ سـنـا الـوجْـهِ لـي مَـبْـسَـمٌ ... كـمِـثْـلِ الـلآلِـي وعـيـنِ كَـحِـيـل

وقالت الغسَّانية:

بــرانــي إلٰــهــي إلٰــهُ الــسَّــمــاءِ نَـصَـفـاً قَـضِـيْـبـاً وَنَـصَـفـاً كَـثِـيـبـا
وألْـبَـسَـنـي مـا يـسُـوءُ الـحَـسُـودَ جمـالاً ومُـلْـحـاً وحُـسْـنـاً عَـجِـيـبـا

وقالت الشَّيبانيةُ:

أَفُـوقُ الـنِّـسـاءَ إذا مـا اْجْـتَـمَـعْـنَ كـبَـدْرِ الـسَّـمـاءِ نـجُـومَ الـدُّجَـىٰ
ويُـقْـصِـرُ عـنِّـي جـمـيـعَ الـصِّـفـاتِ فـمـن نـالـنـي نـالَ فَـوقَ الـمُـنَـى

وقالت الغنوية:

تَـزَوَّدْ بـعَـيْـنَـيْـك مِـنْ بَـهْـجَـتـي فـقـد خـلـقَ الـلَّـهُ مِـنِّـي الـجَـمَـالا
إذا مــا تَــفَــرَّسْــتَ فــي رُؤْيَــتــي رَأيْــتَ هِــلالاً وَأَحْــوَى غَــزَالا

[بلاغات النساء/١٨]

* قال الأصمعي: الحُسْنُ في العينين، والجمال في الأنف، والملاحة في الفم.

* وقالت امرأةُ خالد بن صفوان له: إنك لجميل يا أبا صفوان. فقال: كيف وليس عندي رداء الجمال، ولا برنسه ولا عموده. إنَّ رداءَه البياض وأنا آدِم، وعموده الطول وأنا ربعة، وبرنسه سواد الشعر وأنا أشمط. ولكن قولي: إنك مليح ظريف.

[آدِم: أي أسمر، أشمط: خالط سواد شعره بياضٌ].

* * *

(جمال المرأة)

* قسَّمَ العرب جمال المرأة إلى إحدى عشرة صفة وهي:

١ ـ الصباحة في الوجه.

٢ ـ الوضاءة في البشرة.

٣ ـ الجمال في الأنف.

٤ ـ الحلاوة في العينين.

٥ ـ الملاحة في الفم.

٦ ـ الظرف في اللسان.

٧ ـ الرشاقة في القد.

٨ ـ الليانة في الشمائل.

٩ ـ البداعة في المحاسن.

١٠ ـ الدقة في الأطراف.

١١ ـ وكمال الحُسْن في الشَّعَر.

* وقال أبو الطيب المتنبي:

واستقبلت قمر الزمان بوجهها فأرتنيَ القمرين في وقتٍ معا

* وقال صفي الدين الحلي:

وجاءَتْ بأعْطافٍ لِطافٍ تَهُزُّها فَعَايَنْتُ غُصْنَ الْبَانِ من هَزِّها زَهَا
لها مُقْلَةٌ سَوْداءُ نجْلاءُ كَحْلَةٌ كأَنَّ أباها الظَّبْيُ أو أُمُّها مَهَا

* أهدى المنذر الأكبر إلى أنوشروان جاريةً كان أصابها إذْ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني، وكتب إلى أنوشروان يصفها فقال:

إني قد وجهت إلى الملك جارية معتدلة الخلق، نقية اللون والثغر، بيضاء قمراء، وطفاء كحلاء، دعجاء عيناء، قنواء، شماء، برجاء، زجاء. أسيلة الخد، شهية المقبل، جثلة الشعر، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القرط، عيطاء عريضة الصدر، كاعب الثدي، ضخمة مشاش المنكب والعضد، حسنة المعصم، لطيفة الكف، سبطة البنان، ضامرة

البطن، خميصة الخصر، غرثى الوشاح، رداح الإقبال، رابية الكفل، لفاء الفخذين، رياء الروادف، ضخمة المأكمتين، مفعمة الساق، مشبعة الخلخال، لطيفة الكعب والقدم، قطوف المشي، مكسال الضحى، بضعة المتجرد. وهي سموع للسيد، ليست بخنساء ولا سفعاء، رقيقة الأنف، عزيزة النفس، لم تغذَ في بؤس، رزينة حليمة، ركينة، كريمة الخال، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها، وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها، قد أحكمتها الأمور في الأدب، فرأيها رأي أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة، صناع الكفين، قطيعة اللسان، رهوة الصوت، ساكنة، تزين الولي، وتشين العدو، إنْ أردتها اشتهتْ، وإن تركتها انتهتْ.

[من كتاب الأغاني]

* وقال الوأواء الدمشقي:

أُنسِيَّةٌ لو بدتْ للشمسِ ما طلعتْ ... للناظرين ولم تَغرُبْ على أحدِ
قالت وقد فتكتْ فينا لواحظُها ... ما إنْ أردْتُ لِنَبْلِ الحُبِّ من قَوَدِ
فأَمْطَرتْ لُؤلؤاً من نرجسٍ وسقَتْ ... ورداً وعضَّتْ على العِنَّاب بالبَرَدِ
ثُمَّ استمرّتْ وقالتْ وهي ضاحكةٌ ... قُوموا انظروا كيف فِعْلُ الظَّبيِ بالأسدِ

* وقال صفي الدين الحلي:

أسْبَلْنَ مِنْ فَوْق النُّهُودِ ذوائباً ... فتَرَكْنَ حَبَّاتِ القلوب ذَوائبا
وَجَلَوْنَ مِنْ صُبْحِ الوُجُوهِ أشعةً ... غادرْنَ فَوْد اللّيل منها شائبا
بيضٌ دعاهنَّ الغبيُّ كواعبا ... ولو اَستبانَ الرُّشْدَ قال كواكبا

* وقال الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان:

الحُسْنُ في الأغصانِ فَنٌّ ... وهوَ في هذا فُنُون
من أينَ للأغصانِ ذا ... كَ الحُسْنُ والسِّحْرُ المبين
أمْ ذلك الوردُ الجَنِيّ ... بِخَدِّه والياسمين

* وقالت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: البياضُ نصفُ الحُسْن.

* وقال المؤمل بن أَمِيل:

شَهِدَ المؤمّلُ يومَ يَلقَى رَبَّهُ ... أنَّ البياضَ طِرازُ كُلِّ جَمالِ

* وقال قيس بن الخُطَيم:

هيفاء مِثْلُ الشمس عِند طُلُوعِها ... في الحُسْنِ أوْ كُدُنُوِّها لِغُرُوبِ

* وقال ابن الرومي:

كأنَّما أُفْرِغَتْ مِنْ ماءِ لُؤْلُؤَةٍ ... في كُلِّ ناحِيَةٍ مِنْ وَجْهِهَا قَمَرُ
كما اشْتَهَتْ خُلِقَتْ حتَّى إذا اكتَمَلَتْ ... تَمَّتْ قَواماً فلا طُولٌ ولا قِصَرُ

* ذكر أعرابي امرأةً فقال: تلك شمس باهتْ بها الأرض شمس سمائها، وليس لي شفيع في اقتضائها، وإنّ نفسي لكتوم لدائها، ولكنها تفيض عند امتلائها.

* وقال الشيخ سعيد السَّمَّان الدمشقي:

يا رُبَّ ظَبْيٍ كالمدَامِ حديثُهُ ... فيُسيغهُ سَمْعي وعقْلي يَطْرَبُ
قدْ خِلْتُهُ شَمْسَ النَّهار بكَفِّهِ ... مرآةُ حُسْنٍ لَوْنُها يَتَذَهَّبُ
والوجْهُ فيها لائحٌ فكأنَّها ... هي دارةٌ والبدْرُ فيها يلْعَبُ

* وقال الأعشى:

ومِنْ كلِّ بيْضاءَ رُعْبُوبَةٍ ... لها بشَرٌ ناصعٌ كاللَّبَنْ

* وقال ذو الرمَّة:

صفراءُ في نَعَجٍ بَيْضَاءُ في دَعَجٍ ... كأنَّها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ

* وقال علاء الدين البديوي:

هويتُهُ أشكل العينين مقلته لها على أعينِ الغزلانِ تفضيلُ
ما تفعلُ المقلةُ السوداء فعايلَها إلاّ وفيها لقتلِ الصَّبِّ تشهيلُ

* وقال الخليفة المأمون:

خَرَجْتُ إلى صَيْدِ الظِّباءِ فَصَادَني هناكَ غَزالٌ أدْعَجُ العَيْنِ أحْوَرُ[١]
غزالٌ كأَنَّ البدرَ حَلَّ جَبِينَهُ وفي خدّهِ الشِّعْرَى المُنِيرَةُ تَزْهَرُ[٢]

* تقول العرب في محاسن خَلْق المرأة:

- إذا كانت شابة حسنة الخلق، فهي: خَوْد.
- فإذا كانت جميلة الوجه، فهي: بَهْكَنَةٌ.
- فإذا كانت دقيقة المحاسن، فهي: مَمْكُورةٌ.
- فإذا كانت حسنة القدّ، ليّنة القَصَب، فهي: خَرْعَبَةٌ.
- فإذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة، فهي: ممشوقة.
- فإذا كانت طويلة العنق في اعتدالٍ وحُسْن، فهي: عُطْبُول.
- فإذا كانت كأنّ الماء يجري في وجهها من نضرة النعمة، فهي: رقراقة.
- فإذا كانت رقيقة الجلد، ناعمة البشرة، فهي: بضَّة.
- فإذا كانت متثنية من اللّين والنعمة، فهي: غيداء، وغادة.
- فإذا كانت طيبة الريح، فهي: بَهْنَانَةٌ.
- فإذا كانت طيبة الفم، فهي: رَشُوف.

---

(١) عين دعجاء: شديدة السواد مع سعتها. عين حوراء: اشتدّ بياضُ بياضها وسواد سوادها.

(٢) الشِّعْرَى: كوكب يطلع في شدة الحر.

- فإذا كانت طيبة ريح الأنف، فهي: أنُوفٌ.
- فإذا كانت بها مَسْحَةٌ من جمال، فهي: وضِيئةٌ وجميلةٌ.
- فإذا أشبه بعضُها بعضاً في الحُسْن، فهي: حُسَّانَة.
- فإذا اسْتغنتْ بجمالها عن الزينة، فهي: غانية.
- فإذا كانت لا تُبالي أن لا تَلْبَسَ ثوباً حَسَناً ولا تتقلَّدَ قلادةً فاخرةً، فهي: مِعْطَالٌ.
- فإذا كان حُسْنُها ثابتاً كأنَّه قدْ وُسِمَ، فهي: وَسِيمةٌ.
- فإذا قُسِمَ لها حَظٌّ وافرٌ من الحُسْن، فهي: قَسِيمةٌ.
- فإذا كان النَّظرُ إليها يَسُرُّ الرُّوعَ، فهي: رَائعةٌ.
- فإذا غَلَبَتْ النساء بحُسْنِها، فهي: بَاهِرَةٌ.
- فإذا لم يركبْ بعضُ لحمَها بعضاً، فهي: مُبَتَّلَةٌ.
- فإذا كانت لطيفة البَطْنِ، فهي: هَيْفَاءُ.
- فإذا كانت لطيفة الكَشْحَيْن، فهي: هضيم.
- فإذا كانت عظيمة الوَرِكين، فهي: وَرْكاءَ وهِرْكَوْلَةٌ.
- فإذا كانت عظيمة العجيزة، فهي: رداح.
- فإذا كانت سمينةً ممتلئةَ الذراعين والسَّاقين، فهي: خَدَلَّجَةٌ.
- فإذا كانت تَرْتَجُّ من سِمَنِها، فهي: مَرْمَارَة.
- فإذا كان بها فُتُورٌ عند القيام لسِمَنِها، فهي: أناةٌ ووَهْنَانَةٌ.
- فإذا كانت عظيمة الخَلْق مع الجَمالِ، فهي: عَبْهَرَة.
- فإذا كانت ناعمةً جميلة، فهي: عَبْقَرَةٌ.
- فإذا كانت طيبة الخَلْوَة، فهي: رَصُوفٌ.
- فإذا كانت لعُوباً ضحوكاً، فهي: شَمُوعٌ.

- فإذا كانت تامَّة الشَّعر، فهي: فَرْعاءُ.
- فإذا لم يكن لمِرْفقها حَجْمٌ من سِمَنِها، فهي: دَرْماءُ.
- فإذا ضاق مُلْتَقَى فَخْذَيْها لكثرة لحْمِها، فهي: لَفَّاءُ.

[فقه اللغة للثعالبي]

* وقال بشار بن بُرد:

هَيْفاءُ[١] مُقْبِلَةً عَجزاءُ[٢] مُدْبِرَةً   لَمْ تُجْفَ طُولاً ولا أَزْرَى بِها القِصَرُ

* وقال الحجاج: لا يَحْسُنُ نحرُ المرأةِ حتَّى يَعْظُمَ ثدياها.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

* قال ابن شُبْرُمة: كفاكَ من الحُسْن أَنَّهُ مُشْتَقٌّ من الحسنة.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا تَمَّ بياضُ المرأة في حُسْنِ شعرها فقد تَمَّ حُسْنُها.

[روضة المحبين لابن القيم]

* وقال كُثيِّر عَزَّة:

لو أنَّ عزَّةَ خاصَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى   في الحُسْنِ عند مُوَفَّقٍ لَقَضَى لها

[المرجع السابق]

* وأنشد ثعلب:

خُزَاعِيَّةُ الأطرافِ مُرِّيَّةُ الحشا   فَزَارِيَّةُ العينين طَائِيَّةُ الفَمِ
وَمَكِّيَّةٌ في الطِّيْبِ والعِطْرِ دائماً   تَبَدَّتْ لنا بين الحَطِيمِ وَزَمْزَمِ

[روضة المحبين لابن القيم]

* * *

(١) هيفاء: رقيقة الخصر، ضامرة البطن.
(٢) عجزاء: كبيرة العجيزة.

(الشَّعَرُ أحَدُ الوجهين)

* قالوا: مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً أو اتَّخَذَ جاريةً فَلْيَسْتَحْسِن من شَعَرِها، فإنَّ الشَّعَرَ الحَسَنَ أحَدُ الوجهين.

قال بكر بن النطاح(١):

بَيْضَاءُ تَسْحَبُ من قيامِ شَعْرَها ... وتغيبُ فيه وهُو جَثْلٌ أَسْحَمُ(٢)
فكأنَّها فيهِ نَهارٌ ساطعٌ ... وكأنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْها مُظْلِمُ

[المستطرف للأبشيهي]

* وقال المرّار العدوي:

صَلْتَةُ الخَدِّ طويلٌ جيدُها ... ناهِدُ الثَّدْيِ ولَمَّا يَنْكَسِرْ(٣)
فهي هَيْفاء هَضِيمٌ كَشْحُها ... فَخْمَةٌ حَيْثُ يُشَدُّ المُؤْتَزَرْ(٤)

* وقال بشار بن بُرد في وصف حديث صاحبته:

وكأنَّ رَجْعَ حَدِيثِها ... قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهْرا
وكأنَّ تَحْتَ لِسَانِها ... هاروت يَنْفُثُ فيه سِحْرا

* وقال ابن سهل الأندلسي:

فاحِمُ الجُمَّةِ(٥) مَعْسُولُ اللَّمَى(٦) ... أكْحلُ اللَّحْظِ شهِيُّ اللَّعَسِ(٧)

(١) شاعر غزل من فرسان بني حنيفة في اليمامة.
(٢) أسحم: أسود. جثل: كثير ملتف.
(٣) صلتة الخد: خدها طويل أملس غير مترهل. ناهد: مرتفع، لم ينكسر ثديها بعد لأنها صغيرة السن.
(٤) هضيم كشحها: خصرها نحيف. فخمة حيث يشد المؤتزر: ضخمة الأوراك.
(٥) الجمة: الشعر.
(٦) اللمى: السمرة في الشفتين.
(٧) اللعس: السواد في الشفتين واللّثة.

* وقال امرؤ القيس بن حُجر الكندي:

حِجازِيَّةُ العَيْنَيْنِ مَكِّيَّةُ الحَشا عِراقيَّةُ الأَطْرَافِ رُومِيَّةُ الكَفَلْ
تُهامِيَّةُ الأبْدانِ عَبْسِيَّةُ اللَّمَى خُزاعِيَّةُ الأسْنانِ دُرِّيَّةُ القُبَلْ

* والعرب تمدح المرأة بالبياض، قال الشاعر:

بِيضٌ أوَانِس ما هَمَمْنَ بِريبةٍ كظباءِ مكة صيْدُهُنَّ حَرَامُ
يُحْسَبْنَ من لِينِ الحديث زوانياً ويَصُدُّهُنَّ عَنِ الخَنا الإسْلامُ

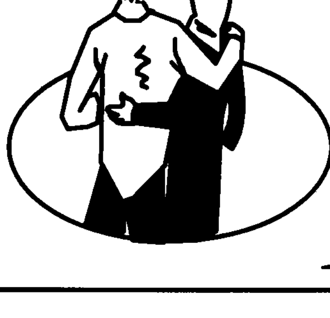
[روضة المحبين لابن القيم]

* وقال عبدالملك لابن أبي الرقاع: كيف علمك بالنساءِ؟ قال: أنا والله أعلم بِهِنَّ، وجعل يقول:

قُضاعِيَّةُ الكَعْبين كِنْدِيَّةُ الحَشا خُزَاعِيَّةُ الأطْرافِ طائيَّةُ الْفَمِ
لها حكمُ لقمانٍ وصورةُ يوسفٍ ومَنْطِقُ داود وعِفَّةُ مَرْيمِ

[المستطرف للأبشيهي]

القبحُ والدَّمامة



القبح والدمامة
(النقاب ستر)

❁ روي أنَّ رجلاً وامرأَتُهُ اْختصما إلى أميرٍ من أمراء العراق، وكانت المرأة حسنة المنتقب[١]، قبيحة المسفر[٢]، وكان لها لسان[٣]، فكأَن العامل مال معها فقال: يَعْمِدُ أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوَّجها ثمَّ يُسيءُ إليها، فأهوى الزوجُ النقابَ عن وجهها، فقال العاملُ: عليكِ اللعنة، كلامُ مظلومٍ ووجهُ ظالم.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ ❁ ❁

❁ (ليس لديوان الرسائل أُريدك)

❁ قال أبو العيناء[٤]: خطبتُ امرأةً فاْستَقْبَحَتْني، فكتبتُ إليها:

فإنْ تَنْفري من قُبحِ وجهي فإنَّني أريـبٌ أديـبٌ لا غـبـيٌّ ولا فَـدْمُ[٥]

(١) حسنة المنتقب: أي جميلة وهي منقبة.
(٢) قبيحة المسفر: أي قبيحة دميمة وهي سافرة.
(٣) لها لسان: أي تجيد الكلام والحجة.
(٤) أبو العيناء: أديب فصيح ظريف اشتهر بنوادره، عاش ما بين (١٩١ - ٢٨٣هـ).
(٥) أريب: ذكي. فَدْم: ثقيل جاف.

فأجابتني: ليس لديوان الرسائل أُريدك.

[نهاية الأرب للنويري]

* * *

(القبح بلاء)

قال رجل في زوجة قبيحة ٱبْتُلِيَ بها:

هي الغُولُ والشيطانُ لا غُولَ غيرها ... ومَنْ يَصْحَبِ الشيطانَ والغُول يَكْمُدُ(١)
تـعـوَّذَ منـهـا الـجِـنُّ حـيـنَ يَـرَوْنَـهـا ... وَيَـفْـرِقُ منـهـا كُـلُّ أفْـعَـى وأسْـودُ(٢)
فـإنّـي لَـشَـاكـيـهـا إلـى كُـلِّ مُـسْـلـمٍ ... وأدعـو عـلـيـهـا اللَّـهَ فـي كـلِّ مَـسْـجِـدِ

[الأشباه والنظائر للسيوطي]

* * *

(جاء ولده على قبحه وقصرها)

قال الأصمعي: كان أعرابيٌّ طويلاً قبيحاً، فخطب امرأةً وقال: أريدها قصيرةً جميلةً، ليأخذَ الولدُ طولي وجمالها، قال: وتزوَّجَها على تلك الصفة، فجاءَ ولدُهُ على قُبْحِهِ وقِصَرِها.

[دولة النساء للبرقوقي]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تُكْرِهوا فتياتِكم على الرجل القبيح، فإنَّهُنَّ يُحْبِبْنَ ما تُحِبُّونَ.

وَأَتَتْ امرأةٌ إلى عُمَرَ بزوْجٍ لها أشْعَثَ أغبَر فقالت: يا أميرَ المؤمنين، خَلِّصْنِي مِنْ هذا، فنظر عُمَرَ فعَرَف ما كَرِهَتْ مِنْه، فأشارَ إلى رَجُلٍ

(١) يكمُدُ: من الكمد، وهو الهم والحزن.

(٢) الأسود: الأفعى الكبيرة.

فقال: اذْهَبْ به فحمِّمْهُ وَقَلِّمْ أظْفارَهُ، وَخُذْ مِنْ شَعَرِهِ وائتني به، فذهب فَفَعل ذلك، ثمَّ أتاهُ، فأوْمأ إليه عمر أنْ خُذْ بيدها، فأَخَذَ بيدها وهي لا تعرفه، فقالت: يا عبدالله، سُبْحانَ الله! أَبَيْنَ يَدَيْ أمير المؤمنين تفعل هذا؟ فلما عَرَفته ذهبتْ معه، فقال عمر: هكذا فاصنعوا لهن، فوالله، إنَّهُنَّ لَيُحْبِبْنَ أن تتزيَّنُوا لهُنَّ كما تُحِبُّونَ أنْ يتزيَّنَّ لكم.

[دولة النساء للبرقوقي]

❁ خطب رجل قبيح الأنف امرأةً فقال: عندي احتمالٌ للمكروه ووفاءٌ عظيم؛ فقالت المرأةُ: ما أشُكُّ في احتمالك للمكروه لأنَّك تحمل هذا الأنف أربعين سنة.

❁ عن أبي زيد الكلابي: قدم رجل منا البصرة فتزوج امرأةً، فلما دخل بها وأُرْخيتْ السُّتور وأُغلقتْ الأبوابُ عليه، ضجر الأعرابي وطالت ليلته، حتى إذا أصبح وأراد الخروج مُنِع من ذلك وقيل له: لا ينبغي لك أن تخرج إلا بعد سبعة أيام، فقال:

أقولُ وقد شدُّوا عليها حجابَها ... ألا حبّذا الأرواحُ والبلدُ القَفْرُ
ألا حبّذا سيفي ورَحْلي ونُمْرُقي(١) ... ولا حبّذا منها الوشاحان والشَّذْرُ(٢)
أَتَوْني بها قبلَ المحاقِ بليلةٍ ... فكان محاقاً كُلُّهُ ذلكَ الشهرُ
وما غَرَّني إلا خِضَابٌ بكفِّها ... وكُحْلٌ بِعَيْنَيْها وأثوابُها الصُّفْرُ
تُسائلني عن نفسِها هَلْ أُحبُّها ... فَقُلْتُ ألا لا والذي أمْرُهُ الأمْرُ
تَفُوحُ رياحُ المِسْكِ والعطرُ عِنْدَها ... وأشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ ما يَنْفَعُ العِطْرُ

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ كان سعيد بن بيان التغلبي سيد بني تغلب، وكانت تحته بَرَّة، وكانت من أجمل النساء، فقدم الأخطلُ الكوفةَ على بشر بن مروان، فدعاه

(١) النمرق: الوسادة.
(٢) الشذر: ما يصاغ من الذهب فرائد يفصل بها اللؤلؤ والجوهر، وقيل: صغار اللؤلؤ.

سعيد بن بيان واحتفل ونجَّدَ بيوته واسْتجاد طعامه وشرابه، فلما شرب الأخطل جعل ينظر إلى وجه برَّة وجمالها، وإلى وجه سعيد وقبحه، فقال له سعيد: يا أبا مالك، أنت رجل تدخل على الخلفاء والملوك فأين ترى هيئتنا من هيئتهم! فقال الأخطل: ما لبيتك عيبٌ غيرُك، فقال سعيد: أنا والله أحمقُ منك يا نصراني حين أُدْخِلك منزلي، وطرده.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ وقال أعرابي في امرأته:

ولا تستطيعُ الكحلَ من ضيقِ عينها ... فإنْ عالجتْهُ صار فوقَ المحاجِرِ
وفي حاجبيها حزَّةٌ لغرارةٍ ... فإنْ حُلِقَا كانا ثلاث غرائِر
وثَدْيان أمَّا واحدٌ فَكَمَوْزَةٍ ... وآخر فيه قِرْبَةٌ لِمُسَافِرِ

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ ❁ ❁

❁ (زوجة جميلة وزوج دميم)

❁ قال الأصمعي: رأيتُ بدوية من أحسن الناس وجهاً، ولها زوج قبيح، فقلتُ: يا هذه، أتَرْضَيْنَ أنْ تكوني تحت هذا؟ فقالت: يا هذا، لعلّهُ أحْسَنَ فيما بينهُ وبينَ ربِّه فجعلني ثوابه، وأسأتُ فيما بيني وبين ربِّي فجعله عذابي!

أفلا أرضى بما رضيَ الله به!

[دولة النساء للبرقوقي]

❁ ❁ ❁

❁ (الصابر والشاكر في الجنة)

❁ كان لعمران بن حطَّان زوج جميلة، وكان هو قصيراً دميماً، فقالت له ذات يوم: أعلمُ أني وإياك في الجنة. قال: كيف؟ قالت: لأنكَ

أُعطيتَ مثلي فشكرتُ، وأنا بُليتُ بمثلكَ فصبرتُ، والصابر والشاكر في الجنة.

[المستطرف للأبشيهي]

❋ ❋ ❋

(ذكَّرَني فُوكِ حِمَارَيْ أهلي)

قيل: إنَّ رجلاً خرج يطلبُ حمارَيْن ضَلاّ له، فرأى امرأَةً منتقبة[1]، فأعجبته، حتَّى نسيَ الحمارين. فلمْ يزلْ يطلب إليها حتى سَفَرَتْ[2] له، فإذ هي فوهاء[3]، فحين رأى أسنانها ذكر الحمارين فقال: ذكَّرَني فوكِ حِمَارَيْ أهلي، ثمَّ أنشأ يقول:

ليتَ النِّقابَ على النِّساء مُحَرَّمٌ   كيلا تَغُرَّ قبيحةٌ إنْسَانَا

[مجمع الأمثال للميداني]

وقع بين الإمام الأعمش وبين امرأَته وَحْشَة، فسأَل بعضَ أصحابه أن يرتضيها ويصلح بينهما، فدخل عليها وقال: إنَّ أبا محمد شيخُنا وفقيهُنا فلا يُزَهِّدَنَّكِ فيه عَمَشُ عينيه، وحمُوشَةُ ساقيه، وضَعْفُ ركبتيْهِ، وقَزَل - عرج - رجليه، ونَتْنُ إبطيه، وبَخَرُ شِدْقَيْه، فقال الأعْمَشُ: قُمْ عنا، قبَّحك الله، فقد أريتَها من عيوبي ما لم تكنْ تَعْرِفُهُ وتبصره.

[دولة النساء للبرقوقي]

وكان ذو الرُّمَّة الشاعر يُشَبِّبُ بمَيَّة، وكانت من أجمل النساء، ولم تَرَهُ قَطُّ. فجعلتْ لِلَّهِ عليها بَدَنَةً حين تراهُ، فلما رأَتْهُ رأتْ رجلاً دميماً أسْوَدَ، فقالت: واسَوْءَتاه! وابُؤْسَاهُ! فقال ذو الرُّمَّة:

---

(١) منتقبة: تضع نقاباً على وجهها.

(٢) سَفَرَتْ: كشفت عن وجهها.

(٣) فوهاء: واسعة الفم مع خروج الأسنان من الشفتين وطولها.

عـلى وَجْـهِ مَـيِّ مَـسْـحَـةٌ من مَـلاحَـةٍ وتـحـتَ الثيابِ الشَّيْـنُ لـو كـانَ بـادِيَـا
أَلَـمْ تَـرَ أنَّ الـمـاءَ يَـخْـبُـثُ طَـعْـمُـهُ وإنْ كـان لَـوْنُ الـمـاءِ أبـيـضَ صـافِـيَـا

[دولة النساء للبرقوقي]

❋ ❋ ❋

(دميم داهية وجميلة رعناء)

قال عُمارة بن عقيل: كُنتُ امرءاً دميماً داهية، فَتَزَوَّجْتُ حسناء رعناء ليكونَ أولادي في جمالها ودهائي، فجاؤوا في رعونتها ودمامتي.

[تاريخ بغداد للخطيب البغدادي]

❋ ❋ ❋

(من شابه أباه فما ظلم)

تحدث ابن الجوزي عن رجل اسمه يزيد كان قبيح الصورة. فلمَّا حملتْ امرأته قالت له: الويل لكَ إنْ كان ولدي يُشْبِهُكَ. فأجابها: بل الويل لكِ أنتِ إنْ جاءَ يُشبِهُ أحداً غيري.

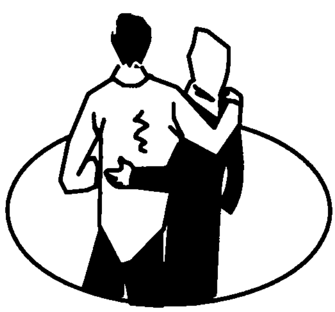
❋ ❋ ❋

(ابن المعتز والجارية)

حكى أحدهم قال: كنتُ عند الأمير عبدالله بن المعتز، وعنده قَيْنة - جارية - قبيحة الصورة، فجعلتُ أتبرّمُ بها، وجعل يُظهر شغفاً بها وعشقاً لها ليغايظني بذلك. فلمّا اشتدَّ غَيْظي منه خلوتُ به فقلتُ له: نَشَدْتُكَ الله أيها الأمير، أعشقتها؟ فقال مضاحكاً: نعم. فقلتُ: أَلَسْتَ ترى قُبح وجهها وسماجة خلقها! فارتجل:

قـلـبـي وثّـابٌ إلـى ذا وذا لـيـس يـرى شـيـئـاً فـيـأبـاهُ
يَـهِـيـمُ بـالـحُـسْـنِ كـمـا يـنـبـغـي ويـرحـمُ الـقُـبْـحَ فـيـهـواهُ

الشَّيْب بعد الشباب



الشَّيب بعد الشباب

❂ قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا...﴾.

[سورة هود/٧٢]

❂ وقال سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا...﴾.

[سورة مريم/٤]

❂ وقال سبحانه: ﴿...ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً...﴾.

[سورة الروم/٥٤]

❂ عن ابن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الشيب نور المؤمن، لا يشيبُ رجلٌ شيبةً في الإسلام إلا كانت له بكل شيبةٍ حسنةٌ، ورُفع بها درجة»**.

[صحيح الجامع الصغير/٣٧٤٨]

❂ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الشيخُ يَضعُفُ جسمُهُ، وقلبه شابٌّ على حُبِّ اثنتين؛ طول الحياة، وحُبِّ المال»**.

[صحيح الجامع الصغير/٣٧٤٩]

❂ وقال ابن المعتز:

رأَيْنَ الغواني الشَّيْبَ راحَ بِمَفْرِقي فأَعْرَضْنَ عَنّي بالخُدُودِ النَّوَاضِرِ

[المستطرف للأبشيهي]

❁ وقال امرؤ القيس:

أراهـنَّ لا يُـحْـبِـبْـنَ مَـنْ قَـلَّ مـالُـهُ ... ولا مَـنْ رأَيْـنَ الـشَّـيْـبَ فـيـهِ وقَـوَّسـا

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ وقال بعض الأعراب:

لا تَـنْـكِـحَـنَّ عـجُـوزاً إنْ دَعَـوْكَ لـهـا ... وإنْ حَـبَـوْك عـلـى تَـزْويـجِـهـا الـذَّهَـبـا

وإنْ أتَـوْكَ وقـالـوا إنَّـهـا نَـصَـفٌ ... فـإنَّ أطْـيَـبَ نِـصْـفَـيْـهـا الـذي ذَهَـبـا

[النصف: المرأة الوسط بين الحدثة والمسنة، وقيل: هي التي بلغت خمسين سنة).

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ وعن عبدالله بن محمد بن عمران القاضي عن أبيه قال: شباب المرأة من خمس عشرة سنة إلى ثلاثين سنة، وفيها من الثلاثين إلى الأربعين مُسْتمتع، وإذا اقْتَحَمَتِ العقبة الأخرى حَسَلَتْ ـ أي: رذلت ـ.

[المرجع السابق]

❋ ❋ ❋

(خالد الكاتب)

لـمَّـا رأتْ شَـيْـبـاً أَلَـمَّ بِـمَـفْـرَقـي ... صَـدَّتْ صُـدودَ مُـفـارِقٍ مَـتَـجَـمِّـلِ

وَجَـعَـلْـتُ أطْـلُـبُ وَصْـلَـهـا بِـتَـذَلُّـلٍ ... والـشَّـيْـبُ يَـغْـمِـزُهـا بِـأَنْ لا تَـفْـعـلـي

[نهاية الأرب للنويري]

❋ ❋ ❋

(ابن طباطبا)

قالتْ: أراكَ خَضَبْتَ الشَّيْبَ قُلْتُ لها ... سَتَرْتُهُ عنكِ يا سَمْعي ويا بَصَري
فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قالتْ مِنْ تَعَجُّبِها ... تَكاثَرَ الغِشُّ حَتَّى صَارَ في الشَّعَرِ

[يتيمة الدهر للثعالبي]

وقال علقمة الفحل:

فإنْ تَسْألوني بالنساء فإنَّني ... خبيرٌ بأدْواءِ النساءِ طبيبُ
إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ مالُهُ ... فليسَ لَهُ في وُدِّهِنَّ نَصيبُ
يُرِدْنَ ثَراءَ المالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ ... وشَرْخُ الشبابِ عِنْدَهُنَّ عَجيبُ

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

* * *

(عبدالله بن المعتز)

قال ابن المعتز في الشيب:

قالتْ وقد راعَها مَشيبي ... كنتَ ابنَ عَمٍّ فَصِرْتَ عَمّا
وَاسْتَهْزَأَتْ بي فقلتُ أيْضاً ... قد كنتِ بِنْتاً فَصِرْتِ أُمّا
كُفّي ولا تُكْثِري مَلامي ... ولا تَزيدي العَليلَ سُقْمَا
مَن شابَ أبْصَرْنَهُ الغَواني ... بِعَيْنِ مَنْ قَدْ عَمِيْ وَصَمّا
لَوْ قيلَ لي اخْتَرْ عَمىً وشَيْباً ... أيَّهُما شِئْتَ قُلْتُ: أعْمَى

[المحاسن والمساوىء للبيهقي]

كان لرجل من الأعراب امرأةٌ عجوز، وكانت تشتري العطر بالخبز، فقال:

عجوزٌ تُرَجّي أنْ تَكونَ فَتِيَّةً ... وقدْ غارتْ العينان واحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ
تدُسُّ إلى العَطّارِ سِلْعَةَ أهْلِها ... وَلَنْ يُصْلحَ العَطّارُ ما أفْسَدَ الدَّهْرُ

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❁ (الكهل أم الفتى)

❁ رحل الحارث بن السليل الأسدي زائراً لعلقمة بن حفصة الطائي وكان حليفاً له، فنظر إلى ابنةٍ له يقال لها: الرّباب، وكانتْ أجمل أهل زمانها، فأُعجب بها، فقال: جئتكَ خاطباً، وقد ينكح الخاطب، ويدرك الطالب، وينجح الراغب.

فقال علقمة: أنت كفؤ كريم، ثمّ انكفأ[1] إلى أُمها، فقال: الحارث بن السليل سيد قومه حَسَباً ومَنْصِباً وبَيْتاً، أتانا خاطباً، فلا ينصرفنَّ من عندنا إلا بحاجته، فأريدي[2] ابنتكِ على نفسها في أمره، فقالت: يا بنية، أي الرجال أحبّ إليك: الكهل الجَحْجَاح[3] الفاضل الهياج، أمْ الفتى الوضّاح الذمول الطماح؟

قالت الجارية: الطماح. قالت: إنّ الفتى يغيرك، وإنّ الشيخ يميرك، وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحدث السّنّ[4]، الكثير المنّ، قالت: يا أمه، إنَّ الفتاة تحبّ الفتى كحبّ الرّعاة أنيق الكلا، قالت: يا بنية، إنّ الفتى شديد الحجاب كثير العتاب، وإنّ الكهل ليّن الجناح[5]، قليل الصياح، قالت: يا أمه، أخشى الشيخ أن يدنسَ ثيابي، ويبلي شبابي، ويشمت بي أترابي[6]. فلم تزل بها أُمها حتى غلبتها على رأيها، فتزوجها الحارث بن السليل على خمس ديات من الإبل وخادم وألف درهم، فابتنى بها[7] ورحل إلى قومه، فبينا هو جالس ذات يوم بفناء مظلته وهي إلى جنبه، إذ أقبل فتية من بني أسد

(١) انكفأ: رجع.
(٢) فأريدي: راودي.
(٣) الجَحْجَاح: السيد الكريم.
(٤) النائل: المعطاء.
(٥) لين الجناح: أي الجانب.
(٦) أترابي: نظرائي.
(٧) ابتنى بها: تزوج.

نشاط يعتلجون ويصطرعون، فتَنَفَّسَتْ صعداء[١]، ثم أرختْ عينيها بالدموع، فقال لها: ثكلتك[٢] ما يبكيك؟ قالت: ما لي والشيوخ الناهضين كالفروخ، قال: ثكلتك أمك، تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، فذهبت مثلاً. وقال: الحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك.

[مجمع الأمثال للميداني]

❋ ❋ ❋

(ترتيب سنّ المرأة)

- هي طِفْلَةٌ ما دامتْ صَغِيرَة.

ثمَّ وليدَة إذا تحرَّكَتْ.

ثمَّ كاعِبٌ إذا كَعَب ثَدْيُها.

ثمَّ ناهِدٌ إذا زاد.

ثمَّ مُعْصِرٌ إذا أدركَتْ.

ثمَّ عَانِسٌ إذا ارْتَفَعَتْ عن حَدِّ الإعْصار.

ثمَّ خَوْدٌ إذا تَوَسَّطَتْ الشَّبَاب.

ثمَّ مُسْلِفٌ إذا جاوزتْ الأَرْبعين.

ثمَّ نَصَفٌ إذا كانت بين الشباب والتَّعْجيز.

ثمَّ شَهْلَةٌ كَهْلَةٌ إذا وَجَدَتْ مسَّ الكِبَرَ وفيها بقِيَّةٌ وجَلَد.

ثمَّ شَهْبَرَةٌ إذا عَجَّزَتْ وفيها تَمَاسُك.

ثمَّ حَيْزَبُون إذا صارَتْ عالية السنّ ناقِصةَ القُوَّة.

ثمَّ قَلْعَم ولِطْلِطٌ إذا انْحَنَى قَدُّها وسَقَطَتْ أَسنانُها.

[فقه اللغة للثعالبي]

(١) صعداء: أي تنفساً طويلاً.

(٢) ثكلتك: فقدتك.

۞ وجاء في المثل: ذهب منه الأطْيبان: (يضرب لمن قد أَسَنَّ، أي: لذة النكاح والطعام).

قال نهشل:

إذا فاتَ منك الأطْيبان فلا تُبَلْ متى جاءَك اليومُ الذي كُنْتَ تَحْذَرُ

[مجمع الأمثال للميداني]

***

۞ (بشار والمرأة)

۞ قيل: إنَّ امرأةً قالت لبشّار ـ هو الشاعر بشار بن بُرد ـ: أيّ رجلٍ أنتَ لو كُنتَ أسودَ اللحية والرأس!

فقال بشار: أما علمتِ أنَّ بِيضَ البُزاةِ أثمنُ من سُودِ الغِرْبان؟ فقالت له: أمَّا قولكَ فحَسَنٌ في السَّمْع، ومَن لكَ بِأنْ يَحْسُنَ شَيْبُكَ في العين كما حَسُنَ قولكَ في السَّمْعِ! فكان بَشّار يقولُ: ما أَفحَمَني قطّ غير هذه المرأة.

[البزاة: طيور جارحة تستخدم في الصيد].

[الأغاني للأصفهاني]

۞ وفي الأثر: أنَّ شابَّة زُوِّجَتْ شيخاً، فقَتَلَتْهُ، فقال عمرُ بن الخطاب: لِيَنْكِح الرجُلُ لُمتَهُ من النساء، ولتَنْكحِ المرأةُ لُمتَها من الرجال.

[اللُّمَّة: المِثْلُ في السِّنّ والتِّرْبُ، كأنَّ عمرَ كَرِهَ للشاب أن يتزوَّجَ المُسِنَّةَ وللمُسِنِّ أنْ يَتزوَّجَ الشَّابَّة].

[دولة النساء للبرقوقي]

۞ قال الأصمعي: خاصم رجلٌ امرأته إلى زياد، فكأنَّ زياداً شَدَّدَ عليه، فقال الرجلَ: أصلح الله الأمير، إنَّ خيرَ نَصْفَي الرجل آخرهما: يذهب جهلُهُ ويثوبُ حلمُهُ ويجتمع رأيه، وإنّ شرَّ نِصْفَي المرأة آخرهما، يسوءُ خُلُقُها ويَحِدُّ لسانُها وتعْقمُ رحمُها، فقال: ٱسْفَعْ بيدها ـ أي: خُذْ بيدها ـ.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❋ ❋ ❋

۞ (أبو دُلَف)

۞ ودخلَ أبو دُلف على المأمون وعنده جاريةٌ له، وكان أبو دُلف قد تَرَكَ الخضابَ، فأشار المأمون إلى الجارية فقالت له: شِبْتَ يا أبا دُلف، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فسكت عنها أبو دُلف، فقال له المأمون: أجِبْها، فقال:

تَـهَزَّأَتْ إذْ رأتْ شَيْبي فقـلتُ لـها ... لا تَـهْزَئِي مَنْ يَطُلْ عُمْرٌ به يَشِبِ
شِيبُ الرجالِ لـهم زَيْـنٌ ومَكْـرُمَةٌ ... وشَـيْبُـكُـنَّ لَكُـنَّ الـوَيْـلُ فـٱكْـتَئِبي
فـيـنـا لـكُـنَّ وإنْ شَـيْـبٌ بـدا أرَبٌ ... ولَيْسَ فيكُنَّ بَعْدَ الشَّيْبِ من أرَبِ

[دولة النساء للبرقوقي]

۞ وقال عبدالعزيز بن مروان: من لم يتعظ بثلاث لم يَنْتَهِ بشيء: الإسلام والقرآن والشَّيْب.

[المستطرف للأبشيهي]

۞ وقال الشعبي: الشَّيْبُ عِلَّةٌ لا يُعاد منها، ومصيبةٌ لا يُعَزَّى عليها.

[المرجع السابق]

۞ وقال عاصم بن كليب: تزوَّجَ سُويد بن غفلة بِكراً وهو ابن مائة وست عشرة سنة.

[نزهة الفضلاء لمحمد عقيل موسى]

❋ ❋ ❋

(والشيب يغمزها)

قال العُتبيّ: رأيتُ امرأة فأعجبتني صورتها، فقلتُ: أَلكِ بعْل؟ قالت: لا. قلتُ: أفترغبين في التزويج؟ قالت: نعم، ولكن لي خصلة أظنكَ لا ترضاها، قلتُ: وما هي؟ قالت: بياضٌ برأسي. قال: فثَنَيْتُ عَنَانَ فرسي وسرتُ قليلاً، فنادتْني: أقسمتُ عليك لتقفنَّ. ثمَّ أتتْ إلى موضع خالٍ، فكشفتْ عن شعر كأنَّهُ العناقيد السوداء، فقالت: والله ما بلغتُ العشرين، ولكني عَرَّفْتُكَ أنَّا نكْرَهُ ما تكْرَهُ منا. قال: فخلجتُ وسرتُ وأنا أقولُ:

فجعلتُ أطلبُ وَصْلَها بِتَمَلُّقٍ والشَّيْبُ يَغْمِزُها بأنْ لا تَفْعَلي

[متعة الأديب للخطيب]

عن عبدالملك بن عمير: إنَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه، لمَّا تزوَّج نائلة بنت الفرافصة حُمِلَتْ إليه من الشام، فلما دخلتْ عليه، قال لها: لا تكرهين ما رأيت من شيبي، فقالت: إني من نسوة أحب أزواجهنَّ إليهنَّ الكهْل السيد، قال: إني قد جاوزتُ التكهيل، فأنا شيخ، قالت: أبليتَ عُمْركَ في الإسلام ونصرة رسول الله ﷺ في خير ما أُفنِيَتْ فيه الأعمار.

قال أعرابي: وشباب المرأة ما بين ثلاث عشرة إلى عشرين، فإذا بلغت الثلاثين فقد كهَّلتْ، فإذا بلغت الأربعين فقد شَهَّلَتْ، فإذا بلغت الخمسين فطلِّق طلِّق.

[الكَهْلة: من بلغ عمرها ثلاثين إلى خمسين]. [الشَّهْلة: العجوز].

* * *

(الخليل وصديقه والمرأة)

كان للخيل بن أحمد الفراهيدي صديقٌ يُكَنَّى أبا المُعلَّى - مَوْلى لبني يشكر - وكان أصلع شديد الصَّلع، فبينا هو والخليل جالسان عند قصر أوْس إذْ مرّتْ بهما امرأة يقال لها: أُم عثمان من وُلْد المُعارِك بن

عثمان ومعه بناتٌ لها، فقال أبو المعلَّى للخليل: يا أبا عبدالرحمٰن، ألا تكلّم هذه المرأة! قال: ويحك! لا تفعل، فإنَّهنَّ أعدُّ شيءٍ جواباً، والقول إلى مثلك يُسْرع، فجلَسْنَ يَتَرَوَّحْنَ، فقال لأمّهن: يا أَمَة الله، ألكِ زوج؟ قالت: لا والله ولا واحدة مِنّا، قال: فهل لَكُنَّ في أزواج؟ قالت: وَدِدْنا والله، قال: فأنا أتزوّجُكِ ويتزوج هذا إحدى بناتك، فقالَت له: أمّا أنت فقد ابتلاك الله بِبَلاءَيْن: أمَّا أحدهما فإنّه قد قرع رأسَك بمسحاة، وجعل لك عِقْصة في قفاك بيضاء، فكأنما صارت في قَفَاك نُخامة، فبلغ من نوكك ـ أي: حمقك ـ أنَّك خضبتها بحمرة، فلو كنتَ إذ ابتُليتَ خَضَبْتَ بسوادٍ فغطيت عوارك هذا الذي أبداهُ منكَ! ثمَّ قالت له: أظنك من رهط الأعشى، فقال لها أبو المعلى: أنا مولى لبني يَشْكُرْ. قالت: أفتروي بيت الأعشى:

وأنكَرَتني وما كانَ الذي نَكِرَتْ ... من الحوادثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

فما بقي بعد ذلك إلاّ الموتُ هُزالاً.

[دولة النساء للبرقوقي]

* * *

(الشاعر المدني، أخو الشاعر القروي)

قال في الشيب بعد الشباب:

رُدِّي الشَّبابَ تَعُدْ إليَّ صَبابَتي ... فالشَّيْبُ ما بَيْني وبَيْنَكِ حائلُ
لا تَعْذِلُوا أهْلَ الهَوى لِضَلالِهِمْ ... إنَّ الضَّلالةَ ما يقولُ العاذِلُ
عَبَقُ الشَّبابِ هُوَ الهَوىٰ فإذا مَضَىٰ ... عَهْدُ الشَّبابِ فَكُلُّ زَهْرٍ ذابِلُ
غَفَلَ الشَّبابُ عن المَنُونِ فإنْ بَدا ... فَجْرُ المَشِيبِ فَقُلْ تَنَبَّهَ غافِلُ
ما الشَّيْبُ إلاّ أَسْطُرٌ فكأنَّما ... بَيْنَ المَنِيَّةِ والشَّبابِ تَراسُلُ

* * *

(جرير)

- قال جرير:

رأتْ مَرَّ السِّنينَ أَخَذْنَ مِنّي ... كما أَخَذَ السِّرارُ مِنَ الهِلالِ[١]
فقالتْ فيمَ أنتَ مِنَ التّصابي ... متى عَهْدُ التَّشَوُّقِ والدَّلالِ
فما تَرْجو وليس هَوَى الغواني ... لأصحابِ التَّنَخْنُحِ والسُّعالِ
وإذا الشيوخُ تعرّضُوا لمودَّةٍ ... قُلْنَ التّرابُ لكلِّ شَيْخٍ أدْرَدا[٢]
تلقى الفتاةُ من الشيوخِ بَليّةً ... إنَّ البَليَّةَ كلُّ شَيْخٍ أَرْمَدَا[٣]

- تزوَّج جَهْمٌ امرأةً من بني فَقْعَسٍ وباع إبلاً له ومهرها، فلما دخل بها إذا هي عجوز، فقال:

وما لُمْتُ نفسي مذ فُطِمْتُ بِلَحْيَةٍ ... كما لُمْتُ نفسي في عجوزِ بني شَمْسِ
وبِنْتُ ولم أُغْبَنْ غداةَ اشْتَرَيْتُها ... وبِعْتُ تِلادَ المالِ بالثَّمنِ البَخْسِ
فإنْ ماتَ جَهْمٌ غيلةً فاقتلوا به ... قُمَامَةَ إنَّ النَّفسَ تُقْتَلُ بالنَّفسِ

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

- وقال بعضُ الشعراء:

كفاكَ بالشَّيْبِ ذنباً عند غانيةٍ ... وبالشباب شفيعاً أيُّها الرجلُ

[المرجع السابق]

- وقال حبيب الطائي:

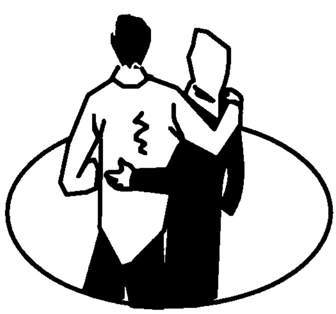
نَظَرَتْ إليَّ بِعَيْنِ من لم يَعْدِلِ ... لمَّا تَمَكَّنَ حُبُّها مِنْ مَقْتَلِي
لمَّا رَأَتْ وَضَحَ المَشِيبِ بِلُمَّتي ... صَدَّتْ صُدُودَ مُجانِبٍ مُتَحَمِّلِ
فَجَعَلْتُ أطْلُبُ وَصْلَها بِتَلَطُّفٍ ... والشَّيْبُ يَغْمِزُها بِألاَّ تَفْعَلِي

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

---

(١) السرار: آخر ليلة من الشهر.
(٢) الأدرد: المكسر الأسنان.
(٣) أرمد: افتقر.

نسيان عهد الزوج
وعدم الوفاء بعهده



نسيان عهد الزوج وعدم الوفاء بعهده

(أم عُقبة)

قيل: إنّ رجلاً من بني يَشْكر يقال له: غَسَّان بن جَهْم، كانت تحته ابنة عمّ له يقال لها: أم عقبة بنت عمرو بن الأبْجر، وكان لها محبّاً، وكانت له كذلك، فلمّا حضره الموت وظنّ أنه مُفارق الدنيا قال ثلاثة أبيات، ثم قال: يا أم عقبة، اسمعي ما أقول وأجيبي بحقّ، فقد تاقت نفسي إلى مسألتك عن نفسك، بعدما يُواريني التراب. فقالت: قل، فوالله لا أُجيبك بكذب، ولا جعلته آخر حظّك منّي، فقال وهو يبكي بكاء كاد يمنعه الكلام:

أخبريني ماذا تُريدين بَعْدي ... والذي تُضمِرين يا أُمَّ عُقْبَةْ
تحفظيني بَعْدَ مَوْتي لما قَدْ ... كانَ مِنْ حُسْنِ خُلُقٍ وصُحْبَةْ
أم تُريدين ذا جمالٍ ومالٍ ... وأنا في التُّراب في سِجْنٍ وغُرْبَةْ

فأَجابته ببكاء وانتحاب:

قَدْ سَمِعْنا الذي تَقُولُ وما قَدْ ... خِفْتَهُ يا غَسَّانُ من أُمِّ عُقْبَةْ
أنا مِنْ أحْفَظِ النِّساءِ وأرْعَاهُ ... لما قَدْ أوْلَيْتَ مِنْ حُسْنِ صُحْبةْ
سَوْفَ أبْكِيكَ ما حَيِيتُ بِشَجْوٍ ... وَمَراثٍ أقُولُها وَبِنُدْبَةْ

قال: فلمّا قالتْ ذلك طابتْ نفسُه، فقال:

أنا واللَّهِ واثقٌ منكِ لكنْ ... ربَّما خِفْتُ مِنْكِ غَدْرَ النِّساءِ

بَعْدَ مَوْتِ الأزواجِ يا خَيْرَ مَنْ عُو ... شِرَ فأَرْعَيْ حَقِّي بحُسْنِ الوَفاءِ
إنَّني قَدْ رَجَوْتُ أنْ تَحْفَظِي العَهْـ ... ـدَ فكُوني إنْ مِتُّ عند الرَّجاء

ثم اعْتُقِلَ لسانُه فلمْ ينطقْ حتى مات. فلم تلبثْ إلاّ قليلاً حتى خُطِبَتْ من كل جانب ورَغبتْ فيها الأزواجُ، لاجتماعِ الخِصال الفاضلة فيها من العقل والجمال والعفاف والحسب، فقالت مُجيبة لهم:

سَأحفَظُ غَسّاناً على بُعْدِ دارهِ ... وأرْعاهُ حتَّى نلتقِي يَوْمَ نُحْشَرُ
وإنّي لفي شُغْلٍ عَنِ النّاسِ كُلِّهِمْ ... فَكُفُّوا فما مِثْلي بِمَنْ ماتَ يَغْدِرُ
سَأبْكِي عَلَيْهِ ما حَيِيتُ بِعَبْرَةٍ ... تَجُولُ على الخَدَّيْنِ مِنِّي فَتَكْثُرُ

فيئسَ الناسُ منها حيناً، فلمّا مرَّتْ بها الأيام نَسِيَتْ عهده، وقالت: من ماتَ فقد فات، فأجابتْ بَعْضَ خُطّابها فتزوَّجها، فلما كانت الليلة التي أراد الدخولَ بها جاءَها غسّان في النَّوْم وقد أغْفَتْ، فقال:

غَدَرْتِ ولم تَرْعَيْ لِبَعْلِكِ حُرْمَةً ... ولَمْ تَعْرفي حقّاً ولَمْ تَحْفَظِي عَهْدَا
ولَمْ تَصْبِري حَوْلاً حِفاظاً لِصَاحِبٍ ... حَلَفْتِ لَهُ يَوْماً ولَمْ تُنْجزي وَعْدَا
غَدَرْتِ بِهِ لَمّا ثَوَى في ضَرِيحِهِ ... كذلكَ يُنْسَى كُلُّ مَنْ سَكَنَ اللَّحْدَا

فلما قال هذه الأبيات انْتَبَهَتْ مُرْتاعةً مُسْتَحْيِيَةً مِنْهُ، كأنّه بات معها في جانب البيت، وأنكر ذلك منها مَن حضرها من نسائها، فَقُلْنَ: ما لك وما دهاكِ؟ فقالت: ما تَرَكَ غسان بعده في الحياة أرَباً، وَلا بعده في الحياة سرورٌ ورَغْبة، أتاني في منامي الساعة فأنشدني هذه الأبيات، وأنشَدَتْها وهي تبكي بدمعٍ غزير وانتحابٍ شديد.

فلما سَمِعْنَ ذلك منها أخَذْنَ بها في حديث آخر لتنسَى ما هي فيه، فتغافَلَتْهُنَّ ثمّ قامت فلم يُدْرِكنها حتى ذَبَحَتْ نفسها حياءً مما كادتْ تركبُ بعده منَ الغَدْر به والنِّسْيان لعهدِهِ.

[ذيل الأمالي للقالي]

(فاطمة بنت الحسين)

وكانت فاطمةُ بنتُ الحسين بن علي رضي الله عنهم - وهي أُخت السيدةَ سُكينة - عند الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، وكانَ مُحِبّاً لها، فلما احْتُضِرَ قال لها: إنكِ امرأةٌ مَرْغُوبٌ فيك، وكأني بعبدالله بن عَمْرو بن عثمان بن عفان قد جاء خَلْفَ جنازتي على فرسٍ مُرَجِّلاً شَعَره لابِساً جُبَّتَهُ يسير في جانب الناس مُتَعَرِّضاً لكِ، فأنْكِحي مَنْ شِئْتِ غيرَهُ، فإنِّي لا أَدَعُ من الدُّنيا ورائي همّاً غَيْرَكِ، وحَلَّفَها بالأيمانِ المغلظةِ، من العتق والصدقة على ذلك، فلما مات الحسنُ جرى الأمرُ على ما وَصَفَهُ قبل وفاته، وكان يُقال لعبدالله بن عَمْرو بن عثمان: (المطرف)، لحسنِه وجمالِه، فرآها حاسرةً وهي تضربُ وَجْهها، فأرسلَ إليها: ألاّ تَضربي وجْهَك فإنَّ بنا إليه حاجة، فارفُقي به، فاسْتَرخَتْ يداها وعُرِفَ ذلك منها، ثمَّ عَوَّضَها مكان كلِّ مملوكٍ حلفتْ به مملوكين، ومكان كُلِّ شيءٍ شيئين، ثمَّ تزوَّجها، فولدت له الدِّيباج محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، وهو الذي قتله أبو جعفر المنصور، وكانت وفاتها هي وأُختُها سُكينة في عامٍ واحد.

[حولة النساء للبرقوقي]

***

(فاطمة بنت القاسم)

عن مُصعب بن عبدالله، قال: زعَموا أنّ حمزة بن عبدالله بن الزبير نظر إلى فاطمة بنت القاسم تبكي عند رأسه، وهو يموت، فقال لها: أما والله فكأنّي بالأُعَيْرج طلحة بن عمر، قد أرسل إليكِ إذا حَلَلْتِ، فتَزوَّجِينه!؟ قالت: كل مملوكٍ لها حُرّ، وكل شيءٍ لها في سبيل الله تعالى إنْ تزوجته إبداً.

فلما حَلّتْ، أرسل إليها طلحة بن عُمر: إني قد علمْتُ يَمينكِ، ولكِ بكل شيءٍ شيئان.

فأصْدَقها ثلاثمائة ألف درهم، فتزوّجته، فولدَتْ له إبراهيم وَرَمْلة.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ ❋ ❋

(امرأة عربية)

رُوي أنّ امرأةً من نساء العرب تَزَوَّجَتْ رجلاً من خَشْعَم، فَوَجَدَ كل واحدٍ منهما بصاحبه وجداً شديداً، وأنهما تحالفا أن لا يتزوج أحدهما بعد صاحبه، فمات قبلها، فتزوجت، فلامها بعض أهلها، وقالوا: أين ما كنتِ تجدين به؟ فأنشأت تقول:

وَقَدْ كَانَ حُبِّي ذاكَ حُبّاً مُبَرِّحاً ... وَحُبِّي لِذا إذْ ماتَ ذاكَ شَدِيدُ
وَكَانَ هَوَايَ عِنْدَ ذاكَ صَبابَةً ... وَحُبِّي لِذا طُولَ الحياةِ يَزِيدُ
فلمَّا مَضَى عَادَتْ لهذا مَوَدَّتي ... كَذاكَ الهَوَى بَعْدَ الذَّهابِ يَعُودُ

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ ❋ ❋

(إلاّ الرباب)

توفي رجل وبقيتْ امرأته شابّة جميلة، فما زال بها النساء حتى تزوجت، فلما كانت ليلة زفافها رأتْ في المنام زوجها الأول آخذاً بعارضتي الباب وقد فتح يديه وهو يقول:

حَيَّيْتُ ساكنَ هذا البيتِ كُلَّهُمُ ... إلاّ الرَّبابَ فإني لا أُحَيِّيها
أمْسَتْ عَروساً وأمْسَى مَسْكني جَدَثٌ ... بينَ القبور وإني لا أُلاقيها
واسْتَبْدلتْ بدلاً غيري فقد عَلِمَتْ ... أنَّ القبورَ تُواري مَنْ ثَوَى فيها
فقدْ كُنْتُ أحْسَبُها للعَهْدِ رَاغِبةً ... حَتَّى تَمُوتَ وما جَفَّتْ مآقيها

ففزعتْ من نومها فزعاً شديداً، وأصْبَحَتْ فاركاً ـ أي: مُبْغضة للأزواج ـ وآلتْ أنْ لا يصل إليها رجلٌ بعده أبداً.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ ❋ ❋

(أم هشام بنت عثمان بن عبدالله)

❀ كانت أُم هشام بنت عثمان بن عبدالله عند عبدالرحمٰن بن عمر بن سهل العامري، وكان عبدالله بن عكرمة بن عبدالرحمٰن المخزومي صديقاً له، فقال: فدخلتُ عليه وهو يموتُ، فإذا هو شَكِعٌ ـ أي: مهموم ـ فقلتُ له: ما يشكعك يا أخي، أمِنَ الموت تشكَعُ؟! قال: والله ما ذاك يُشْكِعُني، ولكنّي أخاف أنْ تزوّج أُمُّ هشام عُمرَ بن عبدالعزيز ـ وعُمرُ إذْ ذاك والٍ على المدينة ـ قال: وسِترٌ في البيت، فسَمِعتُ حركةً فيه، فما كان بأوشك من أنْ كُشِف السِّتر، وإذا جَوارٍ قد قُمْنَ بين المرأة، ثمّ قالت: قد سمعتُ مقالتك يا ابن عمر، والذي يشغلك، واستغلَظَتْ في اليمين بالنَّذر، وكل شيءٍ لها في سبيل الله عزّ وجلّ، وعِتْق ما تَمْلِكُ، إنْ تزوَّجْتُه، فطِبْ نفساً. فقال: الحمدُ للّهِ ما أُبالي متى جاءَني الموت.

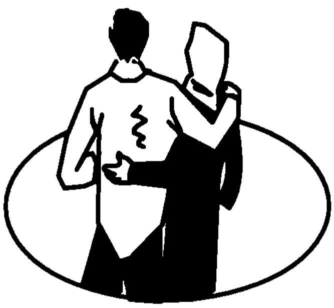
قال عبدالله بن عكرمة: فخرَجْتُ إلى المنزل، فوالله ما بلغتُ حتّى سمعتُ الصِّياح، وجاءَني الرسولُ أنْ أدْرك أخاك فقد مات. قال: فجئتُهُ فقمنا إلى حاجته، وأُم هشام في الناس، ليس لي همّة إلاّ أنظر كيف تصنع هي وعُمر

فلمّا كُنّا على القبر التفت عُمر إلى المأتم، فإذا امرأة قد راقت النساء طولاً وجمالاً وهي تضرب على خدَّيْها ضرباً شديداً، فقال: من هذه؟ فقيل: ابنة خالتك أيّها الأمير أُم هشام بنت عثمان. فأرسلَ: أبْقي في خَدَّيْكِ، فإنَّ لنا فيهما حاجة. قال: فأتى الخَصِيّ فكلّمها، فنظرتُ إلى

يديها وقد استَرْخَتا، فلم يكُنْ إلاّ أنْ حَلَّتْ، فأخلفَ عليها ما حَلَفت به وأزْغَبها وتزوَّجها. وبلغني ذلك فكتبتُ إليها أذكّرها ما كان بلغنا من غَدْر النساء، وإنْ كنّا بين مُصَدِّقٍ ومكذِّب، حتى بان لي ذلك فيها.

[الأغاني للأصفهاني]

التعدد



التعدد

۞ قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾.

[سورة النساء/٣]

۞ وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تزوَّجَ البِكْرَ على الثَّيِّبِ أقام عندها سبعاً، وإذا تزوَّجَ الثيبَ على البِكْرِ أقامَ عندَها ثلاثاً**».

[صحيح الجامع الصغير/٤٢٩]

۞ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدلْ بينهما، جاءَ يومَ القيامة وشِقُّهُ ساقط**».

[صحيح الجامع الصغير/٧٦١]

۞ وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ بني هشام بن المغيرة اَسْتأذنوني في أنْ ينكحوا ابنتهم عليَّ بن أبي طالب، فلا آذِن، ثم لا آذنُ، ثم لا آذنُ، إلاَّ أنْ يُريد ابنُ أبي طالب أنْ يُطلقَ ابنتي وينكح ابنتُهم، فإنما هي بضعةٌ مني، يُريبُني ما أرابها، ويُؤْذيني ما آذاها**».

[صحيح الجامع الصغير/٢٠٤٦]

❁ قيل لرجل من الأعراب كان يجمع الضرائر: كيف تقدر على جمعهنَّ؟ قال: كان لنا شباب يصابرهنَّ علينا، ثمّ كان لنا مال يصبرهنَّ لنا، فلمّا ذهب الشباب والمال، بقيَ لنا خُلُقٌ حسن، فنحن نتعاشر ونتعايش به.

❁ وقال عبدالله بن المعتز عن غيرة المرأة التي يتزوج عليها زوجها:

خَبَّرُوها بأنني قد تَزوَّجتُ ... فَظَلَّتْ تُكاتِمُ الغيظَ سِرّا
ثم قَالَتْ لأُخْتِها ولأُخْرى ... جَزَعاً لَيْتَهُ تزوَّجَ عَشْرا
وأشارتْ إلى نساءٍ لَدَيْها ... لا ترَى دُونَهُنَّ للسِّرِّ سِتْرا
ما لِقلْبي كأنَّهُ لَيْسَ مني ... وعظامي أَخَالُ فيهنَّ فَتْرا

❁ وقال أبو العلاء المعري:

إذا كُنتَ ذا ثِنْتَيْنِ فاْغدُ محارباً ... عَدُوَّيْنِ واْحذَرْ من ثلاثِ ضرائر
وإنْ هُنَّ أَبْدَيْنَ المَوَدَّةَ والرِّضا ... فكمْ مِنْ حَقُودٍ غُيِّبَتْ في السَّرائرِ

وقال:

وَمَنْ جَمَعَ الضَّرَّاتِ يَطْلُبُ لَذَّةً ... فَقَدْ باتَ في الإضرارِ غيرَ سديدِ

وقال أيضاً:

إذا كانَتْ لكَ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ ... فلا تأخذْ بها أبداً كَعَابَا
فإنْ كانَتْ أقَلَّ بهاءَ وَجْهٍ ... فَأَجْدَرُ أنْ تكُونَ أقَلَّ عَابَا

❁ ❁ ❁

❁ (بين ضَرَّتَين)

❁ كان لأعرابي امرأتان، فولدت إحداهما جارية والأُخرى غُلاماً، فرقَّصتْهُ يوماً وقالت معايرة ضَرَّتها:

الحمدُ للَّهِ الحميدِ العالي أَنقذني العامَ من الجوالي(١)
مِنْ كلِّ شوهاءَ كشنٍّ بالِ لا تدفعُ الضَّيمَ عَنِ العيالِ(٢)

فسمعتْها ضَرَّتُها فأَقبلتْ ترقِّصُ ابنتَها وتقول:

وما عليَّ أنْ تكونَ جاريهْ تغسلُ رأسي وتكونَ الفاليهْ(٣)
وترفعُ السَّاقِطَ من خماريهْ حتَّى إذا بَلَغَتْ ثمانِيَهْ(٤)
أَزَّرْتُها بنفيسةٍ يمانِيَهْ أَنكحتُها مروانَ أو مُعَاويهْ
أَصهارَ صدقٍ ومهورٍ غالِيَهْ

فسمعها مروان فتزوَّجها على مائة ألف مثقال وقال: إنَّ أُمها جديرة أنْ لا يُكذَّبَ ظنُّها ولا يُخانَ عهدُها. فقال معاوية: لولا مروان سبقنا إليها لأضْعَفْنا لها المَهْرَ، ولكن لا تُحرمُ الصِّلة، فبعث إليها بمائة ألف درهم.

۞ وقال جرير:

أخالدَ قد هَويتُكِ بَعْدَ هِنْدٍ فَشَيَّبَني الخَوالدُ والهُنُودُ
هَوَىً بِتُهامةٍ وهَوَىً بِنَجْدٍ فَتُبْلِينِي التَّهائمُ والنُّجُودُ

وقال:

أُحِبُّ ثَرَى نَجْدٍ وبالغَوْرِ حاجةٌ فَغارَ الهَوى يا عبدَ قَيْسٍ وأَنْجَدا

* * *

۞ (شمس وبدر)

۞ وقال الشاعر ابن سُكَّرَة الهاشمي وقد تزوَّج اثنتين:

اللَّيالي تَسُوءُ ثُمَّ تَسُرُّ وَصُروفُ الزَّمانِ ما تَسْتَقِرُّ

(١) الجوالي: النساء اللاتي يجلين العروس.
(٢) شوهاء: مشوَّهة. الشنُّ: القربة.
(٣) الفالية: أي تفلي رأسي من القمل.
(٤) الخمار: غطاء الرأس.

غَيْرَ أنّي على الحوادث راضٍ ... بَعْد سُخْطٍ والعيشُ حُلْوٌ ومُرُّ
كُنْتُ صَبّاً بواحِدٍ ثُمَّ ثَنَّيْـ ... ـتُ فَلي بالجَميعِ وَصْلٌ وهَجْرُ
مَنْ كَمِثْلي وَعَنْ يَمِينِيَ شَمْسٌ ... تَتَجلَّىٰ وعن شَمالِيَ بَدْرُ
ذا على خَدِّهِ مِنَ المِسْكِ سَطْرٌ ... وعلى طَرْفِ ذا مِنَ الغَنْجِ مَطْرُ

۞ وللأستاذ أحمد سالم باعطب قصيدة بعنوان (ذبيحٌ بين الشفاه) جاء في مطلعها:

قالوا السعادة أنْ تُعاشرَ زوجتين ... تُقضي الحياةَ مُنَعَّماً وقريرَ عين
أَنَّى اتَّجَهْتَ فهذِهِ من شوقها ... تَهْوي إليكَ وتلك باسِطَةُ اليدين
تَتَسابَقانِ إلى رِضاكَ تَوَدُّداً ... غُصْنٌ يُعانِقُ في الرياضِ حمامتين

❋ ❋ ❋

۞ (بين الضَّرَّتين)

۞ قيل لأعرابي: مَنْ لم يتزوّجْ امرأتين لم يَذُقْ حلاوةَ العيش، فتزوّج امرأتين، ثمَّ ندم. فقال:

تَزَوَّجْتُ اثْنَتَيْنِ لِفَرْطِ جَهْلي ... بِما يَشْقَى بِهِ زَوْجُ اثْنَتَيْنِ
فَقُلْتُ أَصِيرُ بَيْنَهُما خَرُوفاً ... أُنَعَّمُ بَيْنَ أكْرَمِ نَعْجَتَيْنِ
فَصِرْتُ كَنَعْجَةٍ تُضْحِي وتُمْسِي ... تُداوَلُ بَيْنَ أَخْبَثِ ذِئْبَتَيْنِ
رِضا هٰذي يُهَيِّجُ سُخْطَ هٰذي ... فما أعْرَى مِنْ إحْدَى السَّخْطَتَيْنِ[1]
وأَلْقَى في المَعيشَةِ كُلَّ ضُرٍ ... كذاكَ الضُرُّ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ
لِهذِي لَيْلَةٌ وَلِتِلْكَ أُخْرَى ... عِتابٌ دائِمٌ في اللَّيْلَتَيْنِ
فإنْ أحْبَبْتَ أنْ تَبقَى كَريماً ... مِنَ الخَيْراتِ مَمْلُوءَ اليَدَيْنِ
فعِشْ عَزَباً فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْهُ ... فَضَرْباً في عِراضِ الجحفلين[2]

[الأمالي للقالي]

(١) أعرى: أنجو.
(٢) الجحفلين: الجحفل هو الجيش الكثير.

(أعرابي عنده أربع نسوة)

كان أعرابي عنده أربع نسوة: كِنْدِيّة، وغسانيّة، وشيبانيّة، وغَنَويَّة. والأعرابي غسَّاني. وكُنَّ مُتظاهراتٍ على الغنويّة، فجمع بينهنّ حتى تَشَاتَمْنَ، ثمّ قال: لتقلْ كل واحدةٍ منكنَّ قولاً تصف به نفسها.

فقالت الكِنْدِيَّة:

كأنّي جَنَى النحلِ والزَّنْجبيل ... وَصَفْوُ المُدامَةِ والسَّلْسَبِيل
يزيدُ سَنَا الوَجْهِ لي مَبْسَمٌ ... كمثلِ اللآلىء وعَيْنٌ كحيل

وقالت الغسّانية:

بَرَاني إلٰهي إلٰهُ السَّمَاءِ ... نِصْفاً قَضِيباً ونِصْفاً كَثيبا
وألْبَسَني ما يَسُوءُ الحسُودَ ... جمالاً ومُلْحاً وحُسْناً عَجيبا

وقالت الشَّيْبانية:

أفوقُ النساء إذا ما ٱجْتَمَعْنَ ... كَبَدْرِ السَّماءِ نُجُومَ الدُّجَى
ويقصرُ عنّي جميعُ الصِّفاتِ ... فَمَن نالني نالَ كُلَّ الْمُنَى

وقالت الغنوية:

تَزَوَّدْ بِعَيْنكَ من بَهْجَتي ... فقد خلقَ اللّٰهُ مِنّي الجَمالا
إذا ما تفَرَّسْتَ في رُؤيتي ... رأيتَ هِلالاً وأحْوَى غَزَالا

[المستطرف للأبشيهي]

❋ ❋ ❋

(شاعر تزوج أربع نسوة)

قال الحجّاجُ يوماً وعنده أصحابه: أمَا إنّه لا يجتمع لرجل لذّةٌ حتّى

تجتمعَ أربع حَرائر(١) في منزله يتزوّجهن، فسمع ذلك شاعِرٌ من أصحابه يُقال له: الضحّاك، فعمد إلى كل ما يملك فباعه وتزوَّجَ أربع نِسوةٍ، فلم توافقه واحدةٌ منهنّ، فأقبل إلى الحجاج فقال: سمعتكَ ـ أصلحك الله ـ تقول: لا تجتمع لرجلٍ لذّة حتى يتزوّج أربع حرائر، فعمدتُ إلى قليلي وكثيري فبعتُهُ وتزوّجتُ أربعاً فلم توافقني واحدةٌ منهنّ: أما واحدةٌ مِنهنّ فلا تعرفُ الله ولا تُصلي ولا تصوم، والثانية حمقاء لا تتمالك، والثالثة مُذَكَّرةٌ مُتَبَرِّجَة(٢)، والرابعة وَرْهاء(٣) لا تعرف ضَرَّها من نفعها، وقد قلتُ فيهن شعراً، قال: هاتِ ما قلتَ لله أبوك! فقال:

تَزَوَّجْتُ أبْغي قُرَّةَ العَيْنِ أرْبَعاً ... فيا ليتني واللَّهِ لم أتَزَوَّج
ويا لَيْتَني أَعْمَى أصَمُّ ولم أكنْ ... تَزَوَّجْتُ بَلْ يا لَيْتَني كُنْتُ مُخْدَجُ(٤)
فَواحدةٌ لا تَعْرِفُ اللَّهَ ربَّها ... ولم تَدْرِ ما التقوى ولا ما التحرُّجُ
وثانيةٌ حَمقاءُ (. . .) مخافةً ... (تُسافِهُ) مَنْ مَرَّتْ به لا تُعَرِّجُ
وثالثةٌ ما إنْ تُوارَى بثوبها ... مُذَكَّرَةٌ مَشْهُورَةٌ بالتَّبرُّجِ
ورابعةٌ وَرْهاءُ في كل أمرها ... مُفَرَّكَةٌ هَوْجاءُ مِنْ نَسْلِ أهْوَجِ(٥)
فهُنَّ طلاقٌ كُلُّهُنَّ بَوائنٌ ... ثلاثاً بَتاتاً فاشْهدوا لا أَلَجْلِجُ(٦)

[ذيل الأمالي للقالي]

۞ وقال يونس بن عُبَيد: صَحِبْتُ الحسَنَ البَصْريَّ ثلاثينَ سنةً، ما سمعتُهُ قَطُّ خاضَ في شيءٍ ممَّا يخوضُ فيه الناسُ من أمْر الدنيا، إنَّما كانَ أكثرَ ذِكره الموْتُ، حتى أتتْهُ امرأةٌ يوماً ناهيكَ من امْرأةٍ شَباباً وجمالاً وشَحْماً ولحماً، يَدْفَعُ بعضُها بَعْضاً، فجلَسَتْ بينَ يَدَيْهِ وقالت: يا شيخ،

---

(١) حرائر: لسْنَ من الجواري.
(٢) متبرجة: تبدي زينتها لغير محرم.
(٣) ورهاء: كثيرة الشحم.
(٤) مخدج: ناقص الخلقة.
(٥) مفركة: التي كرهها زوجها.
(٦) بوائن: أي طلاق نهائي لا رجعة عنه.

أيحِلُّ للرجل أن يَتزوَّجَ على امرأته وهي شابَّةٌ جميلةٌ وَلودٌ؟ قال: نعم، أحَلَّ الله له أربعاً. قال: فكَشَفَتْ عن وَجْهِ لم يُرَ مثلُهُ حُسْناً وقالت: أوَ عَلى مِثْلِي؟ قال: نعم، قالت: سبحانَ الله العظيم، بِعَيْشكَ يا أبا سَعيد لا تُفْتِ الرجالَ بهذا، ثم قامَت منصرفة، وأتْبَعَها الحسنُ بَصَرَهُ، قال: ما ضرَّ امرأً كانت هذه عنده ما فاتَهُ مِن دُنْياه..!

[دولة النساء للبرقوقي]

***

(نار الضرائر تشتعل في بيت الخليفة)

كان عند أبي العباس السَّفاح أُمُّ سَلَمَةَ بنتُ يعقوب بن عبدالله المخزومي وكان قد أحَبَّها حبّاً شديداً، ووقعتْ في قلبه موقعاً لطيفاً، فحلف لها ألاَّ يتخذ عليها سرية ولا يتزوج عليها امرأة، فوَفَّى لها بذلك، فخلا به خالد بن صفوان يوماً، فقال له: يا أمير المؤمنين، فكرتُ في أمرك وسعة ملكك، وأنك قد مَلَّكْتَ نفسَكَ امرأةً واقتصرتَ عليها، فإنْ مَرِضَتْ مَرِضْتَ، وإنْ حاضَتْ حِضْتَ وَحَرَمْتَ نَفسَكَ التَّلَذُّذَ بالسَّراري، واسْتظراف الجواري ومعرفة اختلاف حالاتهنَّ، وأجناس التمتع بما يُشتهى منهنّ، فمنهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء، والبيضة البيضاء، والعتيقة الأدماء، والذهبية السمراء، والبربرية العجزاء، والمولدات المدنيات اللواتي يفتن بمجاورتهن ويخلبن بحلاوتهن، ولو رأيتَ يا أمير المؤمنين السمراء واللعساء من مولدات البصرة والكوفة ذوات الألسن العذبة والقدود المهفهفة، والأوساط المختصرة، والثُّدِيِّ النواهد المحققة، وحُسْنِ زِيِّهنَّ وشكلِهنَّ لرأَيتَ فتناً ومنظراً حسناً، وأين أنت يا أميرَ المؤمنين من بنات الأحرار والنظر فيما عندهن من الحياء والتحضر والدلال والتعطر.

وأقبل خالد يجيد في الوصف ويكثر في الأطناب بحلاوة لفظه وجودة كلامه. فلما فرغ قال له أبو العباس: ويحك يا خالد، والله ما سلك

مسامعي قط كلامٌ أحسن مما سمعته منك، فأعِدْهُ عليَّ. فأعاده عليه وزاد فيه، ثمَّ انصرف خالد وبقي أبو العباس متفكراً مغموماً. فدخلت عليه أُمُّ سلمة وكانت تبره بِرّاً كثيراً، وتتقمن مسرته وموافقته في جميع ما أراده. فقالت له: ما لي أراك مغموماً يا أمير المؤمنين؟ فهلْ حدث أمرٌ تكرهه أو أتاك خبراً ارْتَعتَ له؟ قال: لم يكن شيءٌ من ذلك. قالت: فما قصتك؟ فجعل يكتم عنها فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد. قالت: فما قلت لابن الفاعلة؟ قال: سبحان الله أينصحني وتشتمينه، فخرجت من عنده وأرسلت إلى خالد عبيداً لها وأمرتهم بضربه والتنكيل به. قال خالد: وكنتُ انصرفتُ إلى منزلي مسروراً بما رأيتُ من إصْغاءِ أمير المؤمنين إلى كلامي وإعجابه بما ألقيتُ إليه، وأنا لا أشك في الصلة، فلم ألبثْ أنْ جاء أولئك العبيد، فلما رأيتهم أقبلوا نحوي أيقنتُ بالجائزة، فوقفوا عليَّ وسألوا عني، فعرَّفتهُم بنفسي، فأهوَى إلـيَّ أحدُهم بعمود كان في يده، فبادرتُ إلى الدار وأغلقتُ الباب ومَكثْتُ أياماً لا أخرجُ من منزلي، وطلبني أمير المؤمنين طلباً شديداً، فلم أشعر ذات يوم إلا بقوم قد هجموا عليّ فقالوا: أجب أمير المؤمنين، فأيقنتُ بالموت وقلتُ: لم أرَ دَمَ شيخ أضْيَعَ من دمي. وركبتُ فلم أصلْ إلى الدار حتى اسْتقبلني عدةَ رُسُل، فدخلتُ إلى أمير المؤمنين فوجْدتُهُ جالساً، فأَوْمَأَ إلـيَّ بالجلوس، فثابَ إلـيَّ عقلي، فجلستُ وفي المجلس باب عليه ستور قد أُرْخِيَتْ وخلفه حركةٌ فقال لي: يا خالد، لم أرَكَ منذُ ثلاث، قلتُ: كنتُ عليلاً يا أمير المؤمنين، قال: إنَّك وَصفتَ لي آخرَ دَخْلة من أمر النساء والجواري ما لم يخرقْ سمعي قط كلامٌ أحسن منه، فأعِدْهُ عليّ. قلتُ: نعم يا أمير المؤمنين. أعلمتُكَ أنَّ العربَ إنَّما اشتقَّتْ اسم الضَّرَّة من الضرر، وإنَّ أحداً لم يكن عنده امرأتان إلا كان في ضرر وتنغيص، قال: ويحك، لم يكن هذا في حديثك. قلتُ: نعم يا أمير المؤمنين، وأخبرتُكَ أنَّ الثلاث من النساء كأَثافِيِّ القدر تغلي عليها أبداً، وأنَّ الأربع شرٌّ مجموع لصاحبه يُهرِمْنَهُ ويُسْقِمْنَهُ ويُضعِفْنَهُ، وأنَّ أبْكار الإماءِ رجال ولكن لا خُصىَ لهُنَّ،

قال: بَرِئتُ من قرابتي من رسول الله ﷺ إنْ كنتُ سمعتُ منك من هذا شيئاً قط، قال خالد: بلى، والله يا أمير المؤمنين، وعرَّفتك أنَّ بني مخزوم ريحانة قريش، وأنَّ عندك ريحانة الرَّياحين وأنت تطمحُ بعينيك إلى الإماء والسراري، قال: ويحك أتكذبني وتكذبني، قلتُ: أفتقتلني يا أمير المؤمنين، قال: فسمعتُ ضحكاً مِن وراء الستر وقائلاً يقول: صدقت والله يا عمّاهُ، بهذا حَدَّثْتَهُ ولكنه بدَّل وغيَّر ونطق على لسانك بما لم تنطقْ به، قال خالد: فقمتُ عنهما وتركتهما يتراوضان في أمرهما فما شعرتُ إلا برُسل أُم سلمة ومعهم المال وتحف وثياب. فقالوا لي: تقول لك أُم سلمة إذا حدَّثتَ أمير المؤمنين فحدِّثه بمثل حديثك هذا.

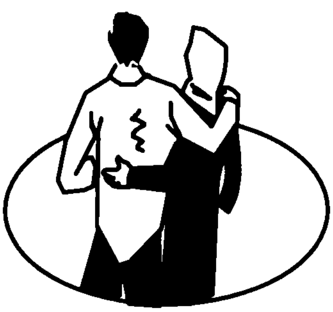
[دولة النساء للبرقوقي]

❁ قال بعضهم: إيَّاكَ أنْ تَتَزَوَّجَ على امرأتك أو تَتَسرَّى عليها، إلاَّ إنْ وطَّنْتَ نَفْسَكَ على نَكَدِ الدهر.

❁ وقال إسماعيل صبري باشا:

يـا مَـن تَـزَوَّجَ بـاثـنـتَـيْـنِ ألا اتَّـئِـدْ أَوْقَعْتَ نَفْسَكَ ظالماً في الهاوِيَةْ
ما العدْلُ بين الضَرّتَينِ بِمُمْكِنٍ لو كُنْتَ تَعْدِلُ ما أَخَذْتَ الثانِيَةْ

وفاء النساء



وفاء النساء

❁ قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

[سورة آل عمران/٧٦]

❁ وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا...﴾.

[سورة النحل/٩١]

❁ وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾.

[سورة الإسراء/٣٤]

❁ وقال سبحانه: ﴿... وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[سورة الفتح/١٠]

❁ عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ حُسْنَ العهد من الإيمان**».

[صحيح الجامع الصغير/٢٠٥٦]

❁ ❁ ❁

❁ (الوافيات لأزواجهنَّ اللواتي لم يتزوجن بعدهم)

❁ أم هانىء بنت أبي طالب: خطبها رسول الله ﷺ، وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي. فلما فتحت مكة هرب من رسول الله ﷺ،

فمات كافراً باليمن، فقالت للنبي ﷺ: والله لقد كنتُ أحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام! ولكني امرأة مُصْبية - أي: ذات صبيان - وأكرهُ أن يؤذوك، فقال ﷺ: «**خيرُ نساءٍ ركبنَ الإبل، صالح نساءِ قريش، أحناهُ على ولدٍ في صِغرهِ، وأرعاهُ على زوجٍ في ذات يده**».

[أخرجه البخاري ومسلم وأحمد]

- نائلة بنت الفرافصة الكلبية، امرأة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وخطبها معاوية بن أبي سفيان، فألحَّ عليها، فقَلَعَتْ ثَنِيَّتَيْها وبعثَتْ بهما إليه. فأمْسَكَ حينئذٍ عنها.

- الرباب بنت امرىء القيس بن عدي بن جابر بن كعب بن عُليم، وكانت تحت الحسين رضي الله عنه، فلما قُتِل، خُطِبَتْ، فقالت: والله لا اتخذتُ حمواً بعد رسول الله ﷺ.

- أُم الدرداء امرأة أبي الدرداء، خطبها معاوية، فقالت: ما كنتُ لأختار على أبي الدرداء. وقد قال رسول الله ﷺ: «**المرأة لآخر أزواجها**».

[صحيح الجامع الصغير/٦٦٩١]

- وامرأة هُدبة بن خشرم العذري، فإنّه لمّا قُدِّم ليقاد بزيادة رفع رأسه فقال:

لا تنكحي إن فرق الدهر بيننا   أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

فسألتْ القوم أنْ يمهلوا هُدْبة قليلاً، ثمَّ أتتْ جزاراً فأخذتْ منه مُدية فجدعتْ أنفها ثم أتَتْه قبل أنْ يقتل وهي مجدوعة، فقالت: (أذات زوج ترى؟).

[كتاب المحبر لحبيب]

* * *

(وفاء الرباب)

قيل: إنَّ رجلاً توفّاهُ الله، وبقيت امرأته شابّة جميلة، فما زال بها النساء حتى تزوّجتْ، فلمّا كات ليلة زفافها رأتْ في المنام زوجها آخذاً بعارِضَتَيْ الباب وقد فتح يديه وهو يقول:

حَيَّيْتُ ساكنَ هذا البيتِ كُلِّهمُ ... إلاَّ الرَّبابَ فإنِي لا أُحَيّيها
أمْسَتْ عَرُوساً وأمْسَى مَسْكني جَدَثٌ ... بَيْنَ القُبُورِ وإنّي لا أُلاقِيها(١)
اَسْتَبْدَلَتْ بدلاً غَيْري فَقَدْ عَلِمَتْ ... أنَّ القُبورَ تُواري مَنْ ثَوَى فيها(٢)
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُها لِلْعَهْدِ راغبةً ... حتّى تَمُوتَ وما جَفَّتْ مآقِيها(٣)

ففَزَعَتْ من نومها فزعاً شديداً، وأصْبَحَتْ مُبْغِضَةً للأزواج، وآلَتْ أنْ لا يَصِلَ إليها رجلٌ بعده أبداً.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

* * *

(العامرية ووفاؤها)

ومن حُسْن وفاء النساء ما رواه الهيثم بنُ عَديّ، فإنه كان في بني عامر بن صَعْصَعَة امرأةٌ توفّي عنها زوجُها، ولها ابنا عمّ، فصارا إلى بعض شيوخهم، فقالا له: فُلانة جاريةٌ شابّةٌ، والقالة إلى مِثلِها سريعةٌ، فوجّهْ إليها فلتحضرْ، وأَعْرِضْ عليها أيّنا أهوى إليها، حتى يتزوّجها. فوجّه الشيخُ إليها، فأتَتْه، فعرضَ عليها مقالتَهما. فأطْرَقتْ مليّاً تنكُتُ الأرضَ، حتى حفرت فيها حفيرةً، وملأتها من دموعها. وكان زوجُها دُفِنَ بمقبرةٍ تُدعى بحَوْضَى، فالتفتَتْ إلى ابني عمّها، وأنشأت تقول:

---

(١) جدث: قبر.
(٢) تواري: تخفي. ثوى فيها: دُفن فيها.
(٣) مآقيها: مجاري دموعها.

فإنْ تسألاني عن هَوايَ فإنّه رهينٌ بحَوضَى أيّها الفَتَيانِ
وإنْ تَسْألاني عن هَوايَ فإنّه رهينٌ له بالحُبِّ يا رجُلانِ
وإني لأستَخْيِيهِ والموتُ دوننا كما كنتُ أسْتَخْيِيهِ حينَ يَراني
أهابُك إجلالاً وإنْ كُنْتَ في الثّرى لوَجْهِكَ يوماً إن يَسُؤْكَ مَكاني

وقامتْ فانْصَرَفَتْ. فقال: قد رأيتُما وسمعتُما. فانصرَفا، وقد يَئِسا، ثم لقِياها يوماً في المقابِرِ وعليها مُصَبَّغات وحُليّ وحُلَلٌ، فقال أحدهما لصاحبه: ما ترى في أي زِيّ خَرَجَتْ، والله ما أراها إلا متعرّضةً للرجال، هلمّ فلننظرْ ما تصنعُ، فقربا منها، فأتَتْ القبرَ فالتَزَمَتْهُ، ثم أنشأتْ تقولُ:

يا صاحبَ القَبرِ يا من كان يُؤنِسُني وكان يُحْسِنُ في الدُّنْيا مُؤاتاتي
أزورُ قبرَكَ في حَلْيٍ وفي حُلَلٍ كأنّني لستُ من أهلِ المُصِيباتِ
أتيتُ ما كُنْتَ مِنْ قُربي تُحِبُّ وَمَا قَدْ كانَ يُلْهِيكَ في ألْوانِ لذّاتي
ومَنْ يراني يَرَى عَبْرَى مُفَجَّعَةً طَوِيلَةَ الحُزْنِ في زُوّارِ أمواتِ

ثُمَّ شَهَقَتْ فَماتتْ.

***

(وفاء زوجة عبدالله بن الزبير)

كانت خولة بنت منظور بن زياد الفزاري عند الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، وكانت أختها عند عبدالله بن الزبير، وهي من أحسن الناس ثغراً، وأتمّهم جمالاً، فلما رأى ذلك عبدالملك بن مروان، رغب في خطبتها بعد مقتل زوجها عبدالله بن الزبير، فكرهتْ أن تتزوجه وهو قاتل زوجها، فأخذت فهراً وكسرت به أسنانها. وجاءها رسول عبدالملك فخطبها، فأذنتْ له ليراها، فأدّى إليها رسالته ورأى ما بها، فقالت: ما لي عن أمير

المؤمنين رغبة، ولكني كما ترى، فإنْ أحبَّني فأنا بين يديه. فأتاه الرسولُ فأعلمه بذلك، فقال: أنا والله إنما أردتُها على حُسْن ثغرها الذي بلغني، وأمّا الآن فلا حاجة لي فيها.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

***

(زوجتا المختار الثقفي)

كان المختار الثقفي أول الثائرين على الدولة الأموية، فاستطاع أن يهزم الجيش الأموي، وبسط نفوذَهُ على جميع العراق.

ثم إنَّ عبدالله بن الزبير، قام من جهته هو أيضاً، وثار على الأمويين من الحجاز، ودحرهم في عدة معارك، واستطاع أن يمدَّ نفوذه إلى العراق، فهزم المختار أيضاً وتغلب عليه، فقتله وصلبه بقيادة أخيه مصعب بن الزبير. كان للمختار زوجتان قد أقامتا المناحات عليه، ولبستا السواد. فاستدعاهما مصعب وأمرهما بالتخلي عن ذلك، ثم بالتبرؤ من المختار، وهددهما بالويل والثبور إنْ لم تفعلا. فأمَّا الأولى منهما فقد خافتْ وفضلت أن تنجو بنفسها، وأما الثانية فقد رفضت التهديد، وظلَّتْ وفيَّة لزوجها بعد قتلِه، وفضلت الموت على أن تتبرَّأ من زوجها، وترميه بالكفر والزندقة، فرفع مصعب أمرها إلى أخيه عبدالله، الذي أمر بضرب عنقها، فقال عمر بن أبي ربيعة في هذه الحادثة:

إنَّ مِنْ أَعجبِ العجائبِ عندي ... قتلَ بيضاءَ حُرَّةٍ عُطْبُولِ
قُتِلَتْ حُرَّةً على غَيْرِ ذنبٍ ... إنَّ للَّهِ درَّها مِنْ قتيلِ
كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا ... وعلى الغانياتِ جَرُّ الذُيُولِ

***

(وفاء آمنة بنت عمر بن عبدالعزيز)

روى إبراهيم بن حسن بن يزيد، عن شيخ من ساكني العقيق قال: إني لواقف بالعقيق، وقد جاء الحاج، إذ طلعت امرأةٌ على راحلةٍ وحولها نسوة، فنظرنا إليها، فأعجبتنا حالها. فلما كانت حذاءَ قصر سفيان بن عاصم بن عبدالعزيز بن مروان، عدلت إلينا. ونحن ننظر. فنزلت قصراً من تلك القصور، فأقامتْ فيه ساعة ثم خرجتْ، فركبتْ ومضتْ، وإنَّ عينيها لتنقطان دموعاً. فقلتُ: لأنظر ما صنعتْ هذه المرأة؟ فدخلتُ القصر، فإذا كتاب يواجهني في الجدار، فقرأْتُهُ فإذا هو:

أليسَ كفى حزناً لذي الشوق أن يرى ... منازلَ مَنْ يهوى مُعَطَّلةً قَفْرا؟
بلى، إنَّ ذا الشوق الموكَّل بالهوى ... يزيدُ اشتياقاً كُلَّما حاولَ الصَّبْرا

وتحته مكتوب: وكتبته آمنة بنت عمر بن عبدالعزيز، وكان سفيان بن عاصم زوجها، فتُوفي عنها.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

* * *

(زوجة أخرسها الوفاء)

قال الأصمعي: رأيتُ بالبادية أعرابية لا تتكلم، فقلتُ: أخرساء هي؟ فقيل لي: لا، ولكنها كان زوجها مُعْجباً بنغمتها، فلمَّا تُوُفِّيَ: آلتْ أنْ لا تتكلم بعده أبداً.

[المرجع السابق]

* * *

(زوج حمائم)

وقال عامر بن حذافة: رأيتُ بِصُحَار جارية قد ألْصَقَتْ خدَّها بقبرٍ وهي تبكي وتقول:

خدّي يقيك خشونة اللّحد ... وأقلُّ ما لكَ سَيِّدي خَدِّي
يا ساكن الترب الذي بوفاته ... عَمِيَتْ عليَّ مسالِكُ الرُّشْدِ
اسمعْ فَدَيْتُك قِصّتي فلَعَلَّني ... أشفي بذلك غُلَّةَ الوَجْدِ

قال: فسألتها عن صاحب القبر فقالت: فتى رافقتُهُ في الصِّبَا، ثمَّ أنشأت تقول:

كُنّا كزوج حمائم في أيْكةٍ ... متنعمين بِصِحَّةٍ وشَبابِ
فغدا الزمان مُشَتِّتاً بِفراقه ... إنّ الزمانَ مفرّقُ الأحبابِ

قال: فبكيتُ لرقة شعرها، فأنشأت تقول:

تبكي عليهِ ولستَ تعرفُ أمْرَهُ ... فلأُعْلمنْكَ حالَهُ ببيانِ
ما كان للعافين غَيْرُ نوالِهِ ... فإذا اسْتجيرَ ففارسُ الفُرسانِ
لا يُتْبِعُ الجيرانَ رفةَ طَرْفِهِ ... ويُتابعُ الإحسانَ للجيرانِ
عفُّ السريرة والجهيرة مثلها ... فإذا اسْتُضِيمَ أراكَ فَتْقَ طِعَانِ

فقلتُ: أعلميني من هو؟ قالت: سنان بن وبرة الذي يقول فيه الشاعر:

يا رائداً غَيْثاً لِنَجْعَةِ قومِهِ ... يَكْفيكَ مِن غَيْثٍ نوالَ سنانِ

ثم قالت: يا هذا والله لولا أنك غريب ما متعتُكَ من حديثي. قُلْتُ: فكيف كان حُبُّهُ لكِ؟ قالت: ما كان يُوَسِّدني إذا نمتُ إلا يَدَهُ، فمكثتُ معه أربعة أحوالٍ ما تَوَسَّدْتُ غيرها إلا في حال يمنعه مانع.

[روضة المحبين لابن القيم]

* * *

(هاتف من القبر)

روى الأصمعي فقال: خرجتُ أريدُ بعضَ أحياء العرب، فجنَّني الليل، وبتُّ في جَبَّانٍ ـ أي: مقبرة ـ وتوسدتُ قبراً، فسمعتُ في الليل من القبر قائلاً يقول:

أنعَمَ اللَّهُ بالخيَالَين عيناً ... وبِمَسراكِ يا سُعادُ إلينا
وَحْشَةً ما لقيتُ من خَلَلِ القَبْـ ... ـرِ عَسَى أنْ أراكِ أوْ أنْ تَرَيْنا

فأرِقْتُ له ليلتي، فلمّا أصْبَحْتُ دَخَلْتُ الحَيَّ، فإذا بجنازةٍ قد أُقْبِلَ بها، فسألتُ عنها، فقيل: هذه سُعادُ كانت تحبّ ابنَ عَمٍّ لها، وإنَّهما تعاقَدا على الوفاء فَهَلَكَ قبلَها، فلمْ تزلْ تبكي عليهِ، فها هي قد لحِقَتْ به. فَتَبِعْتُهُم، حتى دُفنتْ إلى جانب القبر الذي بِتُّ عندَهُ، وإذا هو قبرُ ابنِ عمّها، فخبَّرتُهم بما سمعتُ وانصرفتُ.

قال أبو بكر الأنباري رحمه الله، قال: حدثنا أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا الرياشي عن العتبي عن أبيه قال: رأيتُ امرأة بِضَرِيَّة ـ قرية بنجد ـ جالسة عند قبر تبكي وتقول:

ألا مَنْ لي بأُنْسِكَ يا أُخَيَّا ... ومَنْ لي أنْ أبُثَّكَ ما لَدَيَّا
طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ ... كذاك خُطُوبُهُ نَشْراً وَطَيَّا
بكَيْتُكَ يا أُخيَّ بِدَمْعِ عَيْنِي ... فلم يُغْنِ البكاءُ عليكَ شيَّا
وكانتْ في حياتِكَ لي عِظاتٌ ... فأنتَ اليومَ أوْعَظُ منك حَيَّا

[ذيل الأمالي للقالي]

***

(وفاء حتى الموت)

عن محمد بن قيس الأسدي، قال: وجهني عامل المدينة إلى يزيد بن عبدالملك، وهو خليفة، فخرجت، فلما قربت المدينة بليلتين أو

ثلاث، وإذا أنا بامرأة قاعدة على طريق الطريق، وإذا رجل رأسه في حجرها، كلما سقط أسندته، فسلمتُ، فردت ولم يرد الشاب، ثم تأملتني فقالت: يا فتى، هل لك في أجر لا مرزئة فيه؟ قلت: سبحان الله، وما أحب الأجر إليّ، وإنْ رزئتُ فيه! فقالت: هذا ابني، وكان إلفاً لابنة عمٍّ له، تربّيا جميعاً، ثم حُجِبتْ عنه، فكان يأتي الموضع والخباء، ثم خطبها إلى أبيها، فأبىٰ عليه أن يزوجها ونحن نرى عيباً أن تزوّج المرأة من رجل كان بها مغرماً، وقد خطبها ابن عمٍّ لها، وتزوجها منذ ثلاث، فهو على ما ترى لا يأكل ولا يشرب، فلو نزلتَ إليه فوعظته، فنزلتُ عن ناقتي، ووعظتُهُ بأجمل المواعظ فأقبل عليّ وقال:

ألا ما للحبيبة لا تعودُ ... أبُخْلُ بالحبيبةِ أم صُدُودُ؟
مرضتُ فعادني قومي جميعاً ... فما لكِ لم تُريْ فيمن يعودُ
فلو كُنتِ السقيمة جئتُ أسعى ... إليكِ ولم يُنهْنهْني الوعيدُ

ثمَّ سكن عند آخر كلمته. فقالت العجوز: فاضتْ والله نفسه، ثلاثاً.

فدخلني أمر لا يعلمه إلا الله، فاغتممتُ وخفتُ موته لكلامي. فلما رأت العجوز ما بي قالت: هوِّن عليك! مات بأجله واستراح مما كان فيه، وقدم على ربّ كريم، فهل لك في استكمال الأجر؟ هذه أبياتي منك غير بعيدة تأتيهم فتنعاهُ إليهم، وتسألهم حضورهم. فركبتُ فأتيتُ أبياتاً منها على قدر ميل، فنعيتُهُ إليهم، وقد حفظتُ الشعر. فجعل الرجل يسترجع. فبينما أنا أدور، إذا امرأة قد خرجتْ من خبائها، تجرّ رداءَها، ناشرة شعرها، فقالت: أيها الناعي، بفيك التراب، بفيك الحجر، من تنعي؟ فقلتُ: فلان ابن فلان، فقالت: بالله عليك، هل مات؟ قلتُ: نعم، فما الذي قال قبل موته؟ فأنشدتها الشعر، فوالله تنهدتْ بحرقة وقالت:

عداني أن أزورك يا حبيبي ... معاشر كلهم واشٍ حسودُ
أشاعوا ما سمعتَ من الدواهي ... وعابونا وما فيهم رشيدُ

وأمـا إذ ثـويـتَ الـيـومَ لـحـداً فـدورُ الـنـاس كـلـهـم لـحـودُ
فـلا طـابـتْ لـي الـدنـيـا فـواقـاً ولا لـهـم ولا أثـرى الـعـبـيـدُ

ثم مضتْ معي ومع القوم تولول حتى انتهينا إليه، ولما دفناهُ أكبتْ على قبره تبكي وتنتحبُ، وخرجتُ لطيتي حتى أتيتُ يزيد بن عبدالملك وأوصلتُ إليه الكتاب، فسألني عن أمور الناس، وقال: هل رأيتَ في طريقك شيئاً؟ قلتُ: نعم. رأيتُ والله عجباً، ثم أخبرتُه القصة، فاستوى جالساً، ثم قال: لله أنتَ يا محمد بن قيس! اُمضِ الساعة قبل أن تعرفَ جواب ما قَدِمْتَ له، حتى تمر بأهل الفتى وبني عمه، وتمر بهم إلى عامل المدينة، وتأمره أن يثبتهم في شرف العطاء، وإنْ كان أصابها ما أصابها، فافعل ببني عمها ما فعلت ببني عمه. ثم اُرجع إليَّ حتى تخبرني بالخبر، وتأخذ جواب ما قَدِمْتَ له. قال: فمررتُ بموضع القبر فرأيتُ إلى جانبه قبراً آخر، فسألتُ عنه، فقيل لي: قبر المرأة، أكبتْ على قبره، ولم تذقْ طعاماً ولا شراباً، ولم ترفغ عنه إلى ثلاثة أيام إلا ميتة. فتعجبتُ من شدة وفائها وإخلاصها في الحب.

❋ ❋ ❋

(زوجة وفيّة)

عن رجل من بني أسد قال: أضللتُ إبلاً لي، فخرجتُ في طلبها فهبطت وادياً، وإذا أنا بفتاةٍ أعشى نورُ وجهها بصري، فقالت لي: يا فتى، ما لي أراك مُدَلّهاً؟ فقلتُ: أضللتُ إبلاً لي، قالت: أفأدلك على من هي عنده، وإنْ شاء أعطاكها؟ قلتُ: نعم، ولكِ أفضلها، قالت: الذي أعطاكهن أخذهنَّ، وإنْ شاء ردَّهنَّ. فَسَلْهُ من طريق اليقين، لا من طريق الاختيار. فأعجبني ما رأيتُ من جمالها وحُسْن كلامها، فقلتُ: ألكِ بعل؟ قالت: قد كان، ودُعي فأجاب، فأُعيد إلى ما خلق منه. قلت: فما قولك في بعل تؤمن بوائقهُ، ولا تذم خلائقهُ؟ فرفعت رأسها، وقالت:

كنا كغصنين في ساقٍ غذاؤهما ماء الجداول في روضات جنات
فاْجتثَّ خيرهما من جنب صاحبهِ دهرٌ يكرُّ بترحاتٍ وفرحاتِ
وكان عاهدني إنْ خانني زمنٌ ألاّ يضاجع أُنثى بعد مثواتي
وكنتُ عاهدتُهُ أيضاً فَعَاجَلَهُ رَيْبُ المَنُونِ قريباً مُذْ سَنِيَّاتِ
فاْصْرِفْ عتابكَ عمَّن ليسَ يَرْدَعُها عن الوَفَاءِ خلابٌ بالتَّحِيَّاتِ(١)

[بلاغات النساء/٢١]

❁ قال الأصمعي: خرجتُ إلى مقابر البصرة، فإذا أنا بامرأةٍ على قبر، من أجمل النساء، وهي تندبُ صاحبه وتقول:

هل أخبرَ القبرُ سائليهِ أم قَرَّ عيناً بزائريهِ
أمْ هَلْ تَراهُ أحاطَ عِلْماً بالجسدِ المُسْتَكِنُّ فيهِ
يا جبلاً كان ذا امتناع وطودَ عِزٍّ أُعِدَّ لآمِليهِ
يا نَخْلَةً طَلْعُها نَضِيدٌ يَقْرُبُ مِنْ كفِّ مُجْتنيهِ
يا موتُ ماذا أرَدْتَ مني حَقَّقْتَ ما كُنْتُ أتَّقيهِ
دَهْرٌ رماني بِفَقْدِ إلفي أذُمُّ دهري وأَشْتكيهِ
أمَّنَكَ اللَّهُ كُلَّ خَوْفٍ وكُلَّ ما كُنْتَ تَتَّقِيهِ
أسْكَنَكَ اللَّهُ في جِنانٍ تكونُ أمْناً لساكِنِيهِ

قال: فقلتُ لها: يا أمةَ الله، ما هذا منك؟ قالت: لو عَلِمْتُ مكانك ما أنشدتُ حرفاً، هذا زوجي وسروري وأُنسي، والله ما زلتُ هكذا أبداً أو ألحقَ به. قلتُ لها: أعيدي عليّ الشعر، فقالت: هذا من ذاك، فقلتُ: خذي إليك، وأنشدتُها الأبيات، فقالت: فإنْ يكن في الدنيا الأصمعي فأنت هو.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

(١) خلاب: غيم لا مطر فيه.

(أوفاهم وأقواهم)

قال الربيع بن زياد: رأيتُ جاريةً عند قبرٍ وهي تقول:

بنفسي فتًى أوْفَى البريَّةِ كُلِّها   وأقْواهُمُ في الموتِ صَبْراً على الحُبِّ

فقلتُ لها: بِمَ صار أوفاهم وأقواهم؟ قالت: هَوِيَني، فكان أهلي إنْ جاهَرَ بحبي لامُوهُ، وإنْ كَتَمهُ عَنَّفُوهُ، فلما أَخَذَهُ الأمر قال:

يقولون إنْ جاهرتُ قَدْ عَضَّكَ الهَوَى   وإنْ لم أبُحْ بالحُبِّ قالوا تَصَبَّرا
وليسَ لِمَنْ يَهْوى ويَكْتُمُ حُبَّهُ   مِنَ الأَمْرِ إلاّ أنْ يَموتَ فَيُعْذَرا

ولم يزلْ يردِّدُ هذينِ البيتينِ حَتَّى مات، فواللَّهِ يا هذا لا أبْرحُ أوْ يتَّصِلُ قبرانا. ثمَّ شهِقَتْ شهْقَةً فصاحَ النساءُ وقُلْنَ: قَضَتْ، والذي اختار لها الوفاة فما رأيتُ أسْرَع ولا أوْحَى مِنْ أمْرِها.

[روضة المحبين لابن القيّم]

* * *

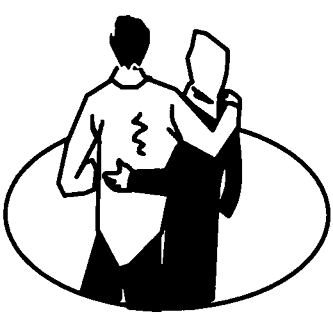
(وفاء نائلة بنت الفرافصة)

لمّا قُتل عثمان رضي الله عنه، وقفتْ يوماً على قبره نائلة بنت الفرافصة الكلبي، فتَرحَّمَتْ عليه ثم انصرفتْ إلى منزلها، ثمَّ قالت: إني رأيتُ الحزنَ يَبْلى كما يَبْلىَ الثوب، وقد خِفْتُ أن يَبْلى حزن عثمان في قلبي. فَدَعَتْ بِفِهرٍ فهَتَمَتْ فاها، وقالت: والله لا يقعدُ رجلٌ مني مقعد عثمان أبداً.

وخطبها معاوية فبعثتْ إليه أسنانها، وقالت: أذات عروس ترى؟ وقالوا: لم يكنْ في النساء أحسن منها مضحكاً.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

العفة



العفـة

❁ قـال تـعـالـى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ. . .﴾.

[سورة النور/٣٣]

❁ وقال سبحانه: ﴿. . .وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[سورة النور/٦٠]

❁ وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾.

[سورة النور/٤]

❁ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

[سورة النور/٢٣]

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة حقٌّ على الله عز وجل عونهم: المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله**».

[حديث حسن رواه النسائي في سننه/٣٢١٨]

❁ وقال مسكين الدارمي:

وإني امرؤٌ لا آلفُ البيت قاعداً إلى جنب عرسي لا أُفارقُها شِبْرا
ولا مُقْسِمٌ لا تَبْرح الدهرَ بيتَها لأجعله قبل المماتِ لها قبرا
إذا هيَ لمْ تُحْصَنْ أمام فنائها فليسَ يُنْجيها بنائي لها قصرا

❁ وقيل لبُثينة: هذا جميل لما به فهل عندك من حيلةٍ تُنَفِّسين بها وَجْده؟ فقالت: ما عندي أكثر من البكاء إلى أنْ ألقاهُ في الدار الآخرة، أو زيارته وهو ميت تحت الثرَى.

[روضة المحبين لابن القيم]

❁ وقيل لعُتبة بعد موت عاشقها: ما كان يضرك لو أمتعته بوجهك؟ قالت: منعني من ذلك خوف العار، وشماتة الجار، ومخافة الجبار، وإنّ بقلبي أضعاف ما بقلبه غير أني أجد ستره أبقى للمودة، وأحمدَ للعاقبة، وأطوع للربِّ، وأخفَّ للذنب.

[المرجع السابق]

❁ وقال سفيان بن محمد: دخلتْ يوماً عزَّةُ على أُمّ البنين أُخت عمر بن عبدالعزيز، فقالت: يا عزّة ما قول كُثَيِّر:

قَضَى كُلُّ ذي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ وَعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُها(١)

ما كان هذا الدين؟

فقالت: كنتُ وعدتُهُ بِقُبْلَةٍ فَتَحَرَّجْتُ منها، فقالت أُمُّ البنين: أنجزيها وعليَّ إثمها. قالتْ: فأَعْتقتْ أُم البنين بكلمتها هذه أربعين رقبة، وكانت إذا ذكرتْها بكتْ وقالت: ليتني خَرِسْتُ ولم أتكلم بها.

[المرجع السابق]

---

(١) المطل: التسويف بوعد الوفاء مرة بعد الأخرى. معنّى: معذب حزين ومكلف بما يشق عليه.

❋ روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يطوفُ ليلةً بالمدينة فسمع امرأةً تنشد:

ألا طال هذا الليل واسودَّ جانبُه وأرقني أنْ لا حبيبَ أُلاعبُه
فوالله لولا الله لا شيءَ غيره لزُعْزِعَ من هذا السرير جوانبُه
مخافةَ ربي والحياء يكفني وإكرام بعلي أنْ تُنالَ مراكبُه

فلما كان من الغد استدعَى عمر تلك المرأة وقال لها: أين زوجك؟ فقالت: بعثت به إلى العراق! فاستدعى نساءً فسألهنَّ عن المرأة كم مقدار ما تصبر عن زوجها؟ فقلن: شهرين، ويقل صبرها في ثلاثة أشهر، وينفد صبرها في أربعة أشهر، فجعل عمر مدة غزو الرجل أربعة أشهر، فإذا مضتْ أربعة أشهر اسْتردَّ الغازين ووَجَّهَ بقوم آخرين.

[تفسير القرطبي ١٠٨/٣]

❋ قال الإمام مالك بن دينار رحمه الله: كان بجوار بيتي رجلٌ حدّادٌ يُمسكُ جمر النار بيديه كما يُمْسك أحدنا الدراهم والدنانير دون أنْ تحترق يده، وكان يُمْسك بالحديد المحمي الملتهب فلا تتأثر يده، فسألته ما هذه الظاهرة العجيبة؟ كيف لا تحرق النار جسدكَ؟ فقال الحداد: كانت لي جارة جميلة وكنتُ أريد أنْ أعبث بعرضها، فحضرت إليَّ ذات يوم تطلب مني مالاً لِتَقْضي به حاجات أولادها، فقلتُ لها: لا أعطيك المال إلا إذا مكنتيني من نفسك، فقالت لي: يا عبدالله، اتَّق الله وفكَّ كربي، فصمّمْتُ على هذا. ولما لم تجدْ عند غيري ما يفكُّ كربَها سلّمتْ نفسَها إليَّ، فلما خلوتُ بها قالت: يا عبدالله، أغْلِق الأبوابَ كُلَّها، فقلتُ لها: لقد أغلقتُها، قالت: لقد بقي بابٌ واحدٌ لم تغلقه ولن تستطيع أنْ تغلقهُ. قلتُ لها: باب مَن؟ قالت: باب الله، قال الرجل: لقد شعرتُ ببرد السكينة في قلبي، فبكيتُ وقلتُ لها: يا أمَةَ الله، خذي من مالي ما شِئْتِ ابتغاءَ مرضاةِ الله، إلا أنني أسألك سؤالاً واحداً، أسألكِ دعوةً صالحة تتوجهين بها إلَى الله، فقالت المرأة: اللَّهم

حرّم عليه النار في الدنيا والآخرة، ولذلك فقد نفعني الله بدعوتها في الدنيا فأنا أمسك النار بيدي وأرجو أن تنفعني دعوتها في الآخرة.

❁ وقال أبو العلاء المعري:

إذا كـانـتْ لـكَ امْـرَأَةٌ حَـصَـانٌ   فـأنْـتَ مُـحَـسَّـدٌ بـيـن الـفـريـقِ
فإنْ جَمَعَتْ إلى الإحْصَانِ عَقلاً   فـبُـورِكَ مُـثْـمِـرُ الـغُـصْـنِ الـوريـقِ

❁ قال عبدالملك بن مروان لليلى الأَخْيَلِيَّة: بالله هل كان بينك وبين توبة سوء قط؟ قالت: والذي ذهب بنفسِه وهو قادر على ذهاب نفسي، ما كان بيني وبينه سوء قط، إلاّ أنّه قدِمَ مِنْ سفرٍ فصافحْتُهُ فغَمَزني في يدي، فظننتُ أنه يَخْنَع لبعض الأمر. قال: فما معنى:

وذي حاجةٍ قلنا له لا تَبُحْ بها   فليس إليها ما حَيِيتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونَه   وأنْتَ لأُخْرى صاحبٌ وخليلُ؟

فقالت: لا! والذي ذهب بنفسه، ما كلّمني بسوءٍ قط، حتى فرّق بيني وبينه الموت.

[روضة المحبين لابن القيم]

❁ قال شعيب بن صخر: كان في تميم خَصْلتان، قد غلبوا الناس عليهما: الحِلْم والعفاف.

❁ وقال عُمارة بن ثور: سمعتُ ذا الرُّمَّة لمّا حضَرتْهُ الوفاة يقول: لقد مكثتُ مُتَيَّماً بِمَيّ عشرين سنة، في غير رِيبةٍ ولا فساد.

❁ عن الضحاك بن عثمان الخزامي، قال: خرجتُ في آخر الحج، فنزلتُ بخيمةٍ بالأبواء على امرأةٍ، فأعجَبَني ما رأيتُ من حُسْنها وأطربني، فتمثّلتُ قول نُصَيْب:

بزينبَ ألْمِمْ قبلَ أنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ   وقُلْ إنْ تَمَلِّينا فما مَلَّكِ القَلْبُ
خَليلَيَّ مِنْ كعبٍ ألِمَّا هُدِيتما   بزينبَ لا تَفْقِدْكُما أبداً كَعْبُ

وقُولا لها ما في البُعاد لذي الهَوَى ... بُعادٌ وما فيه لصَدْع النَّوى شَعْبُ
فمَن شاءَ رامَ الصَّرْمَ أو قال ظالماً ... لصاحبه ذنبٌ وليس له ذنبُ

فلما سمعتني أتمثَّلُ الأبيات، قالت لي: يا فتى، أتعرف قائل هذا الشعر؟ قلتُ: نعم، ذاك نُصَيْب. قالت: نعم هو ذاك، أفتعرف زينب؟ قلتُ: لا، قالت: أنا والله زينب. قلتُ: فحيّاكِ الله، قالت: أما إنّ اليوم موعده من عند أمير المؤمنين، خرج إليه عامَ أول، ووعدني هذا اليوم، ولعلك لا تبرح حتّى تراه.

قال: فما برحت من مجلسي حتى إذا أنا براكب يَزُول مع السّراب، فقالت: ترى حيث ذاك الرّاكب؟ إني أحسبه إياه، قال: وأقبلَ الرّاكب يَؤُمُّنا حتى أناخ قريباً مِنَ الخيمة، فإذا هو نُصَيْب، ثم ثنى رِجْله عن راحلته فنزل، ثم أقبل فسلّمَ عليَّ وجلس منها ناحيةً وسلَّم عليها وساءَلها وساءَلَتْه، فأخفيا، ثم إنّها سألته أنْ ينشدها ما أحْدثَ من الشّعر بعدها، فجعل ينشدها.

فقلتُ في نفسي: عاشقان أطالا التنائي، لا بُدّ أنْ يكونَ لأحدهما إلى صاحبه حاجة، فقمتُ إلى راحلتي أشدّ عليها، فقال لي: على رِسْلك، أنا معك. فجلستُ حتى نهضَ ونهضتُ معه، فتسايرنا ساعةً ثم التفتَ فقال: قلتَ في نفسك مُحِبَّان التقيا بعد طول تناءٍ؛ لا بُدَّ من أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة؟ قلتُ: نعم قد كان ذلك، قال: فلا وربّ هذه البَنِيَّة التي نَعْمِد، ما جلستُ منها مجلساً قط أقرب من مَجلسي الذي رأيتَ، ولا كان بيننا مكروهٌ قط.

[الأغاني للأصفهاني]

❁ وقال سعيد بن عقبة لأعرابي: ممن أنت؟ قال: من قوم إذا عشقوا ماتوا، قال: عُذْرِيٌّ وربّ الكعبة، فقلتُ: وممّ ذاك؟ قال: في نسائنا صباحة وفي رجالنا عفة.

❁ وعن سفيان بن زياد، قال: قلتُ لامرأةٍ من بني عُذْرة ـ ورأيتُ بها

هوى غالباً حتّى خِفْتُ عليها الموت ـ ما بالُ العِشق يقتلُكم معاشر عُذْرة مِن بين أحياء العرب؟ قالت: إنّ فينا جمالاً وتعفّفاً، فالجمال يحملنا على العفاف، والعفاف يُورثنا رِقّةَ القلوب، والعِشق يفني آجالنا، وإنّا نَرَى مَحَاجِرَ لا ترونها.

[المحاجر: العيون].

[روضة المحبين لابن القيم]

❁ قال الخرائطي: حدثنا عمر بن شَبَّة قال: حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى، قال: سمعت بعض المدَنِيّين يقول: كان الرجل يُحبُّ الفتاةَ فيطيف بدارها حَوْلاً يفرح إنْ رأى من رآها، فإن ظفر منها بمجلسٍ تشاكيَا وتناشدا الأشعار.

واليوم يشير إليها وتشير إليه، فيَعِدُها وتَعِدُهُ، فإذا التقيا لم يشْكُ حُبّاً ولم ينشد شعراً، وقام إليها كأنه قد أشهد على نكاحها أبا هريرة.

[ذم الهوى لابن الجوزي]

❁ قيل لبعض الأعراب، وقد طال عِشْقُهُ بجارية: ما أنت صانع لو ظفِرْتَ، ولا يراكما غير الله عزَّ وجلَّ؟ قال: إذن والله لا أجعلُهُ أهونَ الناظرين، لكنّي أفعل بها ما أفعله بحضْرة أهلها: حديث طويل، ولحظ من بعيد، وتركُ ما يَكْرَهُ الربُّ ويقطع الحبَّ.

❁ وقال النُّمَيْري:

يُغَطِّينَ أطرافَ البَنانِ من التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ بِالأسْحارِ مُعْتَجِراتِ[1]
تضوَّعَ مسكاً بَطْنُ نُعْمانَ أنْ مَشَتْ ... بِـهِ زينـب فـي نِـسْـوَةٍ عَـطِـراتِ[2]
فلمّا رأتْ رَكْبَ النُّمَيْريّ أعْرَضَتْ ... وكُـنَّ مِـن أن يَـلْـقَـيْـنَـهُ حَـذِراتِ

(١) معتجرات: المعجر: ما تشدّه المرأة على رأسها.
(٢) تضوَّع مسكاً: أي انتشرت رائحته.

❋ وروى إبراهيم بن إسماعيل الكاتب: أنَّ عُلَيَّة بنت المهدي ـ أخت الرشيد ـ كانت تقولُ: لا غَفَرَ اللَّهُ فاحشةً ارْتَكبْتُها قط، وما أقول في شعري إلاّ عَبَثاً.

❋ وعن بكر بن عبدالله المُزني، قال: إنّ قصّاباً وَلَعَ بجاريةٍ لبعض جيرانه، فأرسلها أهلُها إلى حاجةٍ لهم في قريةٍ أُخرى، فتَبِعَها فراوَدَها عن نفسه، فقالت: لا تفعل، لأَنا أشدّ حباً لك منك لي، ولكنّي أخافُ الله. قال: فأنتِ تخافينه، وأنا لا أخافُه، فرجع تائباً.

[روضة المحبين لابن القيم]

❋ عن محمد بن سَلاَم الجُمَحِي قال: سمعتُ خارجة بن زياد ـ رجل من بني سليمة ـ يذكر، قال: هويتُ امرأةً من الحَيّ، فكنتُ أتْبَعُها إذا خرجَتْ من المسجد، فعرفَتْ ذلك مني، فقالت لي ذات ليلة: أَلكَ حاجة؟ قلتُ: نعم، قالت: وما هي؟ قلتُ: مودّتك، قالت: دعْ ذلك ليوم التَّغابُن؛ قال: فأبكَتْني واللَّهِ، فما عُدْتُ إلى ذلك.

❋ وعن أعرابي، قال: خرجتُ في بعض ليالي الظُّلْمَةِ، فإذا أنا بجارية كأنَّها عَلَم، فأرَدْتُها على نفسِها، فقالت: وَيْلَكَ! أما لكَ زاجرٌ من عَقْلٍ إذا لم يكن لكَ ناهٍ من دِين! فقلتُ: والله ما يَرانا إلاّ الكواكب. قالت: فأين مُكَوْكِبُها؟!

❋ عن محمد بن عبدالله بن يَزيد، قال: حدَّثتني أُمي، عن أبيها، قال: أحببتُ جاريةً من العرب، وكانت ذات عقلٍ وأدَب، فما زلتُ أحتالُ في أمرها حتى اجتمعتُ معها في ليلةٍ مظلمةٍ شديدةِ السواد في موضع خالٍ. فحادثْتُها ساعة، ثمّ دَعَتْني نفسي إليها، فقلتُ: يا هذه! قد طالَ شوقي إليكِ، قالت: وأنا كذلك، قلتُ: وقد عَسُر اللقاء، قالت: نحن كذلك! قلتُ: هذا الليل قد ذهب والصبح قد قَرُب، قالت: هكذا تفنى الشهوات وتنقطعُ اللذاتُ، قلت لها: لو أَدْنَيْتِني منك، قالت: هيهات هيهات! إنّي أخاف العقوبة من الله، قلتُ لها: فما الذي دعاكِ إلى الحضور معي في هذا المكان؟ قالت: شِقْوتي وبلائي، قلت: فمتى أراك؟ قالت: ما أراني أنساك، فأما الاجتماع معك فلا أراه يكون. ثمّ

تَوَلّت من بين يَدَيّ، فاسْتَحيَيْتُ مما سمعتُ منها، فرجَعْتُ وقد خرج من قلبي ما كنتُ أجد من حبّها. ثم أنشأتُ أقول:

تَـوَقَّـتْ عـذاباً لا يُـطـاقُ انـتـقـامُـهُ ... ولـمْ تـأتِ مـا تَـخْـشَـى بِـهِ أنْ تُـعَـذَّبـا
وقالت مقالاً كِدْتُ مِنْ شِدَّةِ الحيا ... أهِـيـمُ عـلـى وجـهـي حَـيـاً وتَـعَـجُّـبَـا
ألا أُفٍّ للحُبِّ الذي يُورِثُ العمَى ... ويُـورِدُ نـاراً لا تَـمَـلُّ الـتَّـوَثُّـبـا
فـأَقْـبَـلَ عَـوْدي فَـوْقَ بَـدْئِـي مُـفَـكِّـراً ... وَقَـدْ زالَ عـن قـلـبِـي الـعَـمَـى فَـتَـسَـرَّبـا

قال: فلم أرَ امرأةً كانتْ أصْونَ منها لدِينها ولا أعْقلُ.

[روضة المحبين لابن القيم]

❁ وعن شيخ من بني عبدالقيس، قال: سمعتهم يقولون: إنَّ رجلاً أراد امرأةً عن نفسها، فقالت: أنت قد سمعتَ الحديثَ وقرأتَ القرآنَ، فأنتَ أعلمُ، فقال لها: أغلقي أبوابَ القصر، فأغْلَقَتْها، فدَنا منها، فقالت: بقي بابٌ لم أُغْلِقْهُ، قال: أيُّ بابٍ؟ قالت: الباب الذي بينَكَ وبينَ الله تعالى، قال: فلم يَعْرِضْ لها.

[روضة المحبين لابن القيم]

❁ كان شيخ من أهل الكوفة يُكْنَى أبا الشَّعْثاء، يُمازِحُ دنانير، جارية ابن كُنَاسة، ويُظْهر لها أنه يَعْشقُها فقالت فيه:

لأبـي الـشَّـعْـثـاءِ حُـبٌّ دائـمٌ ... لـيْـسَ فـيـهِ تُـهْـمَـةٌ لـلـمُـتَّـهِـمْ
يـا فـؤادي فـٱزْدَجِـرْ عَـنْـهُ ويـا ... عَـبَـثَ الـحُـبِّ بِـهِ فـٱقْـعُـدْ وَقُـمْ
جـاءَنـي مِـنْـهُ كـلامٌ صـائِـدٌ ... ورِسـالاتُ الـمُـحِـبِّـيـنَ الـكَـلِـمْ
صـائِـدٌ تَـأْمَـنُـهُ غِـزْلانُـهُ ... مِـثْـلَ مـا تَـأْمَـنُ غِـزْلانُ الـحَـرَمْ
صَلِّ إنْ أحْبَبْتَ أنْ تُعْطَى المُنَى ... يـا أبـا الـشَّـعْـثـاءِ لِـلَّـهِ وَصُـمْ
ثُـمَّ مـيـعـادُكَ بَـعْـدَ الـمـوتِ فـي ... جـنَّـةِ الـخُـلْـدِ إنِ الـلَّـهُ رَحِـمْ
حَـيْـثُ أَلْـقـاكَ غُـلامـاً نـاشِـئـاً ... نـاعِـمـاً قَـدْ كَـمُـلَـتْ فـيـكَ الـنِّـعَـمْ

[المرجع السابق]

❁ وقد قيل: إنّ بعض المتعبِّدات البصريات وقعت في نفس رجل، وكانت جميلة، وكانت تُخطَب فتأبى، فعلم الرجلُ أنّها تُريد الحج، فاشترى ثلاثمائة بعير ونادى: مَنْ أراد الحج فليكتر من الرجل جملاً، فاكترتْ منه، فلمّا كان في بعض الطريق جاءَهَا ليلاً، فقال: إمّا أن تُزَوِّجِيني نفسك، وإمّا غير ذلك. فقالت: وَيْحك اّتقِ الله، فقال: ما هو إلا ما تسمعين، والله ما أنا بجَمّال، ولا خرجتُ في هذا إلا من أجلك. فلما خافت على نفسها قالت: ويْحك أُنظر أبقِيَ في الرجال أحدٌ لم ينمْ؟ قال: لا، قالت: عُدْ فانظر، فمضى وجاء، فقال: ما بقي أحدٌ إلا وقد نام، فقالت: وَيْحَكَ أنامَ ربُّ العالمين؟ ثمّ شَهِقَتْ شَهْقَةً وخرَّتْ مَيْتَةً.

وخَرَّ الرجلُ مغشياً عليه، ثم قال: وَيْحِي! قَتَلْتُ نفساً ولم أبلغ شهوتي فخرج هارباً.

[روضة المحبين لابن القيم]

❁ وكتب الشاعر الدَّيْلَمِيّ إلى امرأةٍ في صباه:

ما تقولين في فَتًى يهواكِ ومُنَاهُ في كلّ وقتٍ يراكِ
قد تخلّى بالهمّ فيكِ وما يفـ ـتُر منه اللسان عن ذِكْراكِ

فأجابته:

لستُ ممن يَبْغِي الوصال حراماً إنّ فِعْلَ الحرام كالإشراكِ
إنْ طَلَبْتَ الحلالَ مِنّا أطَعْنَا كَ وَإلاّ فَاْعْدِلْ إلى الإمْسَاكِ
إنَّ خَيْرَ الأَعْمالِ ما كان عُقْبا هُ نجاةً من الأذى والهلاكِ

❁ وذكر المبرد عن أبي كامل، عن إسحاق بن إبراهيم، عن رجاء بن عمرو النخعي، قال: كان بالكوفة فتى جميل الوجه، شديد التعبد والاجتهاد فنزل في جوار قوم من النّخع، فنظر إلى جارية منهنّ جميلة فهويها وهام بها عقله، ونزل بالجارية ما نزل به فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مُسَمَّاةٌ لابن عمٍّ لها، فلما اشتدّ عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى أرسلتْ إليه الجارية: قد بلغني شدّة محبتك لي

وقد اشتد بلائي بك، فإنْ شِئْتَ زرتُكَ، وإنْ شِئْتَ سَهَّلْتُ لك أن تأتيني إلى منزلي، فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الخلتين، ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الأنعام/ ١٥]، أخاف ناراً لا يخبو سعيرها، ولا يخمد لهيبُها، فلما أبلغها الرسول قوله قالت: وأراه مع هذا يخاف الله؟ والله ما أحدٌ أحق بهذا من أحد، وإنّ العباد فيه لمشتركون، ثمّ انخلعتْ من الدنيا وألقت علائقها[١] خلف ظهرها وجعلت تتعبد، وهي مع ذلك تذوب وتنحل حبّاً للفتى وشوقاً إليه حتى ماتت من ذلك، فكان الفتى يأتي قبرها فيبكي عنده ويدعو لها، فغلبته عينه ذات يوم على قبرها فرآها في منامه في أحسن منظر فقال: كيف أنتِ وما لقيتِ بعدي؟ فقالت:

نعم المحبة يا سؤلي محبتكم ... حبٌ يقود إلى خير وإحسان

فقال: على ذلك إلامَ صِرْتِ؟ فقالت:

إلى نعيمٍ وعيشٍ لا زوالَ له ... في جنةِ الخُلْدِ مُلْكٌ ليسَ بالفاني[٢]

❁ عن سفيان بن عُيَينَة، عن الزُهري، عن القاسم بن محمد، عن عبيد بن عمير: أنّ رجلاً أضافَ ناساً من هُذَيل، فذهبت جاريةٌ له تَحْتَطِب، فأرادها رجلٌ منهم عن نفسها، فرَمَتْهُ بفِهْر ـ أي: بحجر ـ فقتلَتْه. فرُفع ذلك إلى عُمر بن الخطاب، فقال: ذاك قتيل الله، والله لا يُوَدَّى أبداً ـ أي: لا دِيَةَ له ـ.

❁ ودخلتْ بُثَينة على عبدالملك بن مروان فقال لها: والله يا بُثَيْنَة ما أرى فيك شيئاً مما كان يقول جميل، قالت: يا أمير المؤمنين، إنه كان يَرْنُو إليَّ بعينين ليْسَتا في رأسك، قال: وكيف صادفتهِ في عِفَّتِهِ؟ قالت: كما وصف نفسه حَيْث يقول:

(١) جمع علاقة: وهي ما تعلق بها من مال ومتاع.
(٢) روضة المحبين لابن القيم.

لا والـذي تَـسْـجُـدُ الـجِـبـاهُ لَـهُ مـا لـي بـمـا دُونَ ثَـوْبِـهـا خَـبَـرُ
ولا بِـفـيـهـا ولا هَـمَـمْـتُ بِـهـا مـا كـانَ إلاّ الـحَـدِيـثُ والـنَّـظَـرُ

[المستطرف للأبشيهي]

❋ وقيل لأعرابي: هل زَنَيْتَ قَطّ؟ قال: مَعَاذَ الله! إنما هما اثنتان: إمَّا حُرَّة آنفُ لها من فسادها، وإمَّا أَمَة آنفُ لنفسي من فسادي إياها.

❋ وقيل لكثيِّر عَزّة: هل نِلْتَ مِن عَزَّة شيئاً طول مُدَّتك؟ فقال: لا والله، إلا أَنَّه رُبَّما كان يشتدّ بي الأمر، فآخذ يدها، فأضعُها على جبيني فأجدُ لذلك راحة.

❋ وروي عن ابن سهل بن سعد الساعدي قال: دخلتُ على جميل بن مَعْمَر العُذري، وهو عليل، وإني لأرى آثارَ الموت على وجهه، فقال: يا ابنَ سهل، أتقولُ إنّ رجلاً يلقى اللَّهَ لم يسفك دماً حراماً، ولم يشرب خمراً، ولم يأتِ بفاحشةٍ، أترجو له الجنة؟ قلت: إي والله! فمن هو؟ قال: إني لأرجو أن أكونَ أنا ذلك الرجل. قلت: بعد زيارتك بُثينة وما تُحُدِّثَ به عنكما؟ فقال: والله إني لفي آخر يوم من أيام الدنيا، وأولِ يوم من أيام الآخرة، ولا نالتني شفاعة محمد ﷺ، إنْ كنتُ حدّثْتُ نفسي فيها بريبةٍ قط. قال: فما انقضى يومُهُ حتى مات.

❋ قال أعرابي مِن فَزارة: عشقتُ جاريةً من الحي، فحادثْتُها سِنين كثيرة، والله ما حدَّثتُ نفسي بريبةٍ قط، سوى أن خلَوتُ بها، فرأيتُ بياضَ كفّها في سواد الليل، فوضعتُ كفي على كفّها، فقالت: مَهْ! لا تُفْسِدْ ما صَلحَ. فارفضّ جبيني عَرَقاً، ولم أعُدْ.

[الموشى للوشاء]

❋ ❋ ❋

❁ (إيَّاكِ أغني واسمَعِي يا جارة)

❁ أول من قال ذلك سَهْل بن مالك الفزاري، وذلك أنه خرج يريدُ النعمان، فمرَّ ببعض أحياء طيء، فسأل عند سيد الحي، فقيل له: حارثة بن لأم، فأمَّ رَحْلَهُ فلم يُصِبْه شاهداً فقالت له أخته: انْزل في الرَّحْب والسَّعَة، فنزل فأكرمته ولاطفته، ثمَّ خَرجت من خِبائها فرأى أجْمَلَ أهل دهرها وأكملهم، وكانت عَقيلَة قومِها وسيدة نسائها، فوقع في نفسه منها شيء، فجعل لا يَدْري كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك، فجلس بِفناء الخِباء يوماً وهي تسمع كلامه، فجعل ينشد ويقول:

يَا أخْتَ خَيْرِ البدْوِ والْحَضَارَهْ   كَيْفَ تَرَيْنَ في فَتَى فَزَارَهْ
أصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَهْ   إيَّاكِ أعْني وَاْسْمَعِي يَا جَارَهْ

فلما سمعت قوله عرفت أنَّهُ إيَّاها يعني، فقالت: ماذا بِقَوْلِ ذي عقلٍ أريب، ولا رأيٍ مُصيب، ولا أنفٍ نجيب، فَأَقِمْ ما أقَمْتَ مكرَّماً ثمَّ اْرْتَحِلْ متى شئتَ مسلماً، ويُقال أجابته نظماً فقالت:

إنِّي أَقُولُ يَا فَتَى فَزَارَهْ   لا أبْتَغِي الزَّوْجَ ولا الدَّعَارَهْ
ولا فِرَاقَ أهْلِ هٰذِي الْجَارَهْ   فَارْحَلْ إلى أهْلِكَ بِاسْتِخَارَهْ

فاْسْتَحْيا الفتى وقال: ما أردتُ منكراً واسَوْأَتاه، قالت: صدقْتَ، فكأنها اْسْتَحْيَتْ من تسرُّعها إلى تُهمته، فاْرتحل، فأتى النعمان فحَبَاهُ وأكرمه، فلما رجع نزل على أخيها، فبينا هو مقيم عندهم تطلَّعت إليه نفسُها، وكان جميلاً، فأرسلتْ إليه أنِ اْخْطُبْني إن كان لك إليَّ حاجة يوماً من الدهر فإني سريعة إلى ما تريد، فخطبها وتزوجها وسار بها إلى قومه.

[مجمع الأمثال للميداني]

❁ وأنشد الواسطي:

كم قَدْ ظَفِرْتُ بِمَنْ أهْوَى فَيَمْنَعُني   منهُ الحياءُ وخوفُ الله والحَذَرُ

وكم خَلَوْتُ بِمَنْ أهْوَى فيُقْنِعُني منهُ الفُكاهَةُ والتحديثُ والنظرُ
أهْوَى المِلاحَ وأهوَى أن أُجالِسَهُم وليسَ لي في حَرام مِنْهُمُ وَطَرُ(١)
كذلكَ الحُبُّ لا إتْيانُ مَعْصِيَةٍ لا خَيْرَ في لَذَّةٍ مِنْ بعدِها سَقَرُ(٢)

[الموشى للوشاء]

❁ وقال أيضاً:

لَيْسَ الظَّريفُ بِكامِلٍ في ظُرْفِهِ حتَّى يكونَ عن الْحَرَام عفيفا
فإذا تَعَفَّفَ عن محارم رَبِّهِ فَهُناكَ يُدْعَى في الأَنامِ ظريفا

❁ وقال أبو الفرج في الأغاني في ترجمة جميل: سعتْ أَمَةٌ لِبُثَيْنَةَ بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما: إنَّ جميلاً عندها الليلة، فأتياها مُشْتَمِلَيْنِ على سَيْفَيْن، فرأياه جالساً يُحَدِّثُها ويشكو إليها بَثَّهُ، ثم قال لها: يا بُثَيْنَة، أرأيتِ وُدِّي إياكِ وشغفي بكِ ألا تَجْزِينِيهِ؟ قالت: بماذا؟ قال: بما يكون بينَ المتحابِّينَ، فقالت له: يا جميل، أهذا تَبْغي واللَّهِ لقد كُنْتَ عِندي بعيداً منه، ولئِن عاودتَ تعريضاً بريبةٍ لا رأيتَ وَجْهي أبداً، فضحك وقال: ووالله ما قلتُ لكِ هذا إلاّ لأعلمَ ما عِندكِ فيه، ولو علمتُ أنَّكِ تجيبينني إليه لعلِمْتُ أنك تجيبين غيري، ولو رأيتُ منكِ مُساعَدَةً عليه لضربتُكِ بِسَيْفي هذا ما ٱسْتَمْسَكَ في يَدِي، ولو أطاعَتْني نَفْسي لهجَرْتُكِ هِجْرَةَ الأبَدِ، أوَ ما سَمِعْتِ قولي:

وإنِّي لأرْضَى مِن بُثَيْنَةَ بالذي لو أبْصَرَهُ الواشي لَقَرَّتْ بَلابِلُهْ
بلا وبأن لا أَسْتَطيعَ وبالمُنَى وبالأمَلِ المرْجُوِّ قد خابَ آمِلُهْ
وبالنَّظْرَةِ العَجْلَى وبالْحول تَنْقَضي أواخِرُهُ لا نلتَقِي وأوَائِلُهْ

---

(١) الوطر: الحاجة والبغية.
(٢) سقر: جهنم.

فقال أبوها لأخيها: قُمْ بنا، فما ينبغي لنا بعد اليوم أنْ نَمْنَعَ هذا الرجل من لقائِها، فانصرفا وتركاها.

[دولة النساء للبرقوقي]

❁ قال بعض الصالحين: دخلتُ على جميل في مَرَض موته فقال: يا فلان، رَجُلٌ يَلْقَى الله ولم يَسْفِكْ دماً حراماً ولم يَشْرَبْ خمراً، ولم يأتِ فاحِشةً، أترْجو له؟ قال: إيْ والله، فمن هو؟ قال: إني لأرجو أن أكون ذلك، فذكرت له بُثَيْنة، فقال: إنّي لفي آخِر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، لا نالتْني شفاعةُ محمد إن كنتُ حدَّثْتُ نفسي بريبَةٍ معها أو مع غيرها قطّ...

[دولة النساء للبرقوقي]

❁ وقال الأحوص:

قالت وقلتُ تَحَرَّجي وصِلِي ... حبلَ امْرِئٍ بوصالكم صَبِّ
صاحِبْ إذَنْ بَعْلي فقلْتُ لها ... الغَدْرُ شيءٌ لَيْسَ مِنْ ضَرْبي
شيئانِ لا أذن لِوَصْلِهما ... عِرْسُ الْخَليل وجارةُ الجَنْبِ
أمَّا الخليلُ فَلَسْتُ فاجِعَهُ ... والجارُ أوصاني بهِ رَبِّي

❁ كان الأحوص ـ وهو شاعر إسلامي أموي ـ قد أكثر القول في أُمِّ جعفر ـ وهي امرأة من الأنصار من بني خطمة ـ وشاع تشْبيبُهُ بها، فجاءَتْ يوماً مُنْتَقِبَةً، فوَقَفَتْ عليه في مجلس قومه، ولا يعرفها، وكانت امرأةً عفيفةً، فقالت له: اقْضِ ثَمَنَ الغنم التي ابْتَعْتَها مِنّي، فقال: ما ابْتَعْتُ مِنكِ شيئاً، فأظهرتْ كتاباً قد وَضَعتْهُ عَليه وبكتْ وشكتْ حاجةً وضُرّاً وفاقةً، وقالت: يا قوم، كلِّمُوهُ، فلامه قومُهُ، وقالوا: اقْضِ المرأَةَ حَقَّها، فجعل يحْلفُ أنَّهُ ما رآها قطُّ ولا يعرفها، فكشفتْ وجْهَها وقالت: وَيْحَكَ! أما تَعْرِفني! فجعلَ يحلفُ مُجْتهداً أنّه ما يعرفُها ولا رآها قطُّ، حتى إذا استفاضَ قولُها وقولُه واجتمع الناسُ وكثُرُوا وسمعوا ما دار وكثُرَ لغطُهم وأقوالهم، قامت ثمَّ قالت: أيُّها الناس اُسْكتوا، ثمَّ أقبلتْ عليه وقالتْ: يا عدُوَّ الله! صَدَقْتَ

والله ما لي عليك حقٌّ ولا تعرفني، وقد حَلَفْتَ على ذلك وأنت صادق، وأَنا أُمُّ جعفر، وأنت تقول: قلتُ لأُمِّ جعفر وقالت لِي أُمُّ جعفر في شعرك! فخَجِل الأحوص وانْكَسَر عن ذلك وبَرِئتْ عندهم.

[دولة النساء للبرقوقي]

❁ وقال الهيثم بن عدي: قدمتْ امرأةٌ من كَلْبٍ شريفةٌ مكةَ للحج - وكانت من أجمل النساء - فرآها عمر بن أبي ربيعة فجعلَ يُكلِّمها ويتبَعُها كل يوم: فتقول له: إليك عني فإنَّك في حَرَمِ الله وفي أيامِ عظيمةِ الحرمة، فألَحَّ عليها، فخافت الشهرة - الفضيحة - فقالت لزوجها ذات يوم: إني أُحِبُّ أنْ أَتَوَكَّأ عليك إذا رُحْتُ إلى المسجد، فراحت مُتَوَكِّئَةً على زوجها، فلمَّا أبْصَرَها عمرُ ولَّى، فقالت: على رسلك يا فتى!

تعدو الذِّئابُ على مَن لا كلابَ له ... وتَتَّقي مَرْبِضَ المُسْتَنْفِرِ الحامي

[دولة النساء للبرقوقي]

❁ ويخاطب الأديب مصطفى صادق الرافعي الفتاة المسلمة ويدعوها إلى العفة ونبذ التبرج في قصيدة له، فيقول:

كَمُلْتِ تَبَرُّجاً فَكَمُلْتِ حُسْناً ... ولكِنْ جاءَ نَقْصُكِ مِنْ كَمالِك
لِمَن تَّتَبَرَّجينَ وذِي سَبِيلٍ ... وما هِيَ أُفْقُ شَمْسِكِ أوْ هِلالِك
أمَا تَخْشِينَ أنَّكِ في طريقٍ ... يَرِفُّ بِهِ الحرامُ على حَلالِك
وأنَّ ذِئابَ هذا الحُسْنِ تَمْشِي ... مُسَعَّرَةَ اللِّحاظِ على غَزالِك

❁ وقال حسان بن ثابت يمدح عائشة رضي الله عنها:

حَصَانٌ(١) رَزَانٌ(٢) ما تُزَنُّ(٣) بريبَةٍ ... وتُصْبِحُ غَرْثَى(٤) مِن لُحُومِ الغَوَافِلِ(٥)

---

(١) حَصان: عفيفة.
(٢) رَزَان: ذات ثباتٍ ووقار وعفافٍ.
(٣) ما تُزَنّ: ما تُتَّهم.
(٤) غَرْثَى: جائعة.
(٥) الغوافل: جمع غافلة، يريد أنها لا ترتع في أعراض الناس.

❁ وقال عبدالله بنُ الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم:

أُنسٌ[1] حَرَائرُ ما هَمَمْنَ بِرِيبَةٍ كَظِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ
يُحْسَبْنَ مِن لِينِ الحديثِ زَوانِياً ويَصُدُّهُنَّ عن الخَنَا[2] الإسلامُ

❁ قال بعض الأشراف: مررتُ بمقبرة، فإذا جارية حسناء عليها ثياب سوداء فعلِقتُ بها، فكتبتُ إليها:

قَدْ كُنْتُ أحْسِبُ أنَّ الشَّمْسَ واحدةٌ والبدرَ في منظرٍ بالحُسْنِ موصوفُ
حَتَّى رَأيْتُكِ في أثْوابِ ثاكِلَةٍ سُودٍ وصُدْغُكِ فَوْقَ الخَدِّ مَعْطُوفُ
فَرُحْتُ والقلبُ منّي هائمٌ دَنِفٌ والكِبْدُ حرَّى وَدَمْعُ العَيْنِ مذْروفُ
رُدِّي الجوابَ ففيهِ الشكرُ وٱغْتَنِمِي وَصْلَ المُحِبِّ الذي بالحُبِّ موقوفُ

ورمى بالرقعة إليها؛ فلما قرأتها كَتَبَت الجواب:

إنْ كُنْتَ ذا حَسَبٍ باقٍ وذا نَسَبٍ إنَّ الشَّريفَ غَضيضُ الطَّرفِ معروفُ
إنَّ الزُّناةَ أُناسٌ لا خَلاقَ لهُم فٱعلمْ بأنَّكَ يَوْمَ الدِّينِ موقوفُ
وٱقْطَعْ رَجَاكَ لَحَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ فإنَّ قلبي عن الفَحْشاءِ مصروفُ

فلما قرأ الرُّقعة زَجَر نفسَهُ وقال: أليسَ امرأَةٌ تكون أشجع منك؟ ثم تاب ولبسَ مِدْرعةً من الصوف والتجأ إلى الحرم، فبينا هو في الطواف يوماً وإذا بتلك الجارية عليها دِرْعٌ من صوفٍ فقالت له: ما أليق هذا بالشريف، هل لكَ في المباح؟ فقال: قد كنتُ أرومُ هذا قبل أن أعرفَ الله وأحبّه، والآن قد شغلني حبُّهُ عن حبِّ غيره، فقالت له: أحسنتَ، ثم طافتْ وهي تنشد:

فطفنا فلاحَتْ في الطَّوَاف لوائحٌ غَنِينا بِها عَنْ كُلِّ مَرْأى ومَسْمَعِ

[روضة المحبين لابن القيم]

(١) أنس: آنسات.
(٢) الخنا: الفُحْش.

(من عروس إلى راهبة)

❁ ذكر أبو الفرج وغيره أنّ امرأةً جميلة كانت بمكة، وكان لها زوجٌ، فنظرتْ يوماً إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا يفتتن به؟ قال: نعمْ، قالت: مَنْ؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فائذنْ لي فيه فلأَفْتِنَنَّهُ، قال: قدْ أذنتُ لكِ، قال: فأَتَتْهُ كالمُسْتَفْتِيَة، فخلا معها في ناحيةٍ من المسجد الحرام، فأسفرتْ عن وجهٍ مثل فلقةِ القمر، فقال لها: يا أمة الله استتري، فقالت: إني قد فُتِنْتُ بكَ. قال: إني سائلك عن شيءٍ، فإنْ أنتِ صدقتني نظرتُ في أمرك. قالت: لا تسألني عن شيءٍ إلا صدقتك، قال: أخبريني لو أنَّ مَلَكَ الموتِ أتاكِ ليقبضَ روحك أكان يسرّك أن أقضي لك هذه الحاجة؟ قالت: اللَّهم لا. قال: صدقتِ. قال: فلو دخلتِ قبركِ وأجْلستِ للمساءَلة أكان يسرّك أني قضيتُها لكِ؟ قالت: اللَّهم لا، قال: صدقتِ. قال: فلو أنّ الناس أُعْطُوا كُتبهم ولا تدرين أتأخذين كتابكِ بيمينكِ أم بشمالكِ أكان يسرّك أني قضيتُها لكِ؟ قالت: اللَّهم لا، قال: صدقتِ. قال: فلو أردتِ الممرَّ على الصراط ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين أكان يسرّكِ أني قضيتُها لكِ؟ قالت: اللَّهم لا، قال: صدقتِ. قال: فلو جيءَ بالميزان وجيءَ بكِ فلا تدرين أيخفُّ ميزانكِ أم يثقل أكان يسرّكِ أني قضيتُها لكِ؟ قالت: اللَّهم لا. قال: فلو وقفتِ بين يدي الله للمساءَلة أكان يسرّكِ أني قضيتُها لكِ؟ قالت: اللَّهم لا، قال: صدقتِ. قال: اتّقي الله فقد أنعمَ الله عليكِ وأحْسَنَ إليكِ. قال: فرجعت إلى زوجها فقال: ما صنعتِ؟ قالت: أنتَ بطّال ونحن بطّالون. فأقبلتْ على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: ما لي ولعبيد بن عمير أفسد عليَّ امرأتي، كانت في كل ليلة عروساً فصَيَّرها راهبة.

[روضة المحبين لابن القيم]

❁ وقال العُتْبي: خرجتُ إلى المرْبَد فإذا بأعرابي غَزِلٍ، فَمِلْتُ إليه،

فذكرتُ النساء، فتنفَّسَ ثمَّ قال: يا ابنَ أخي إنَّ من كلامهنّ لما يقومُ مقام الماء فيشفي من الظمأ. فقلتُ: صفْ لي نساءكم، فقال: نساء الحي تريد؟ قلتُ: نعم، فأنشأ يقول:

رُجْحٌ[١] وليسَ من اللواتي بالضُّحَى لـذيـولـهـنَّ عـلـى الـطـريـق غـبـارُ
يـأنَـسْـنَ عِـنْـدَ بُـعُـولِـهِـنَّ إذا خَـلَـوْا وإذا هُـمُ خَـرَجُـوا فَـهُـنَّ خِـفَـارُ[٢]

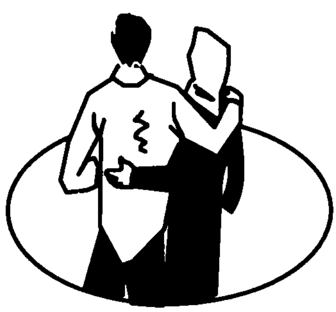
[روضة المحبين لابن القيم]

❁ وهويَ فتىً امْرأَةً وهويته وشاع خبرهما، فاجتمعا يوماً خاليين، فقال لها: هلمّي نحقق ما يقال فينا. فقالت: لا والله، لا كان هذا أبداً وأنا أقـرأ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [سـورة الزخرف: ٦٧].

[روضة المحبين لابن القيم]

(١) رجح: أي رزان.
(٢) خِفار: أي حَيِيَّات.

الحياء



الحياء

۞ قال تعالى: ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾.

[سورة مريم/٢٢، ٢٣]

۞ وقال سبحانه: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

[سورة القصص/٢٥]

۞ عن أنس وابن عباس، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ لكل دِين خُلُقاً، وإنَّ خُلُقَ الإسلام الحياء**».

[صحيح الجامع الصغير/٢١٤٩]

۞ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مما أدركَ الناسُ من كلامِ النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاَصنع ما شئت**».

[صحيح الجامع الصغير/٢٢٣٠]

۞ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياءُ من الإيمان**».

[صحيح الجامع الصغير/٣١٩٧]

۞ وعن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياءُ لا يأتي إلا بخير**».

[صحيح الجامع الصغير/٣٢٠٢]

❋ ❋ ❋

۞ (مكارم الأخلاق)

۞ يروي الخطيبُ البغدادي حكاية امرأة تَقدَّمَتْ إلى مجلس القاضي موسى بن إسحاق بمدينة الري سنة **٢٨٦** هجرية، فادَّعَى وكيلها بأنَّ لموكلتهِ على زوجها خمسمائة دينار (مهرها)، فأنكر الزوج. فقال القاضي لوكيل الزوجة: شهودك، قال: أحضرتهم. فطلب بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة: قومي. فقال الزوج: تفعلون ماذا؟ قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي مسفرة لتصحَّ عندهم معرفتها. فقال الزوج: وإني أُشهدُ القاضي أنَّ لها عليَّ هذا المهر الذي تدَّعيه ولا تسفرَ عن وجهها. فردَّتْ المرأة وقد أُخبرتْ بما كان من زوجها فقالت: فإني أشهدُ القاضي، أنّني وهبتُ له هذا المهر وأَبْرَأتُ ذِمَّتَهُ في الدنيا والآخرة.

فقال القاضي: يكتب هذا في مكارم الأخلاق.

[تاريخ بغداد للخطيب البغدادي]

۞ وقال الفرزدق يصف نساءً بالحياء:

يأْنَسْنَ عِنْدَ بعُولهنَّ إذا خَلَوْا ... وإذا هُمُ خَرَجُوا فَهُنَّ خِفَارُ(١)

۞ عن سعيد بن جبير قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذا أمسى أخذ دِرَّتَهُ ثم طاف بالمدينة، فإذا رأى شيئاً يُنكرُهُ أنكره، فبينما

(١) خفار: شديدات الحياء.

هو ذات ليلةٍ يعُسُّ إذ مرّ بامرأةٍ على سطحٍ وهي تقول:

تطاولَ هذا الليلُ واخْضَلَّ جانبُهْ   وأرَّقني أنْ لا خليلَ ألاعِبُهْ
فواللّهِ لولا الله لا ربَّ غيرُه   لحُرِّك مِنْ هذا السَّريرِ جوانِبُهْ
مَخافَةَ ربي والحياءُ يصُدُّني   وأُكْرِمُ بَعْلِي أَنْ تُنالَ مَراكِبُهْ

ثمَّ تَنَفَّسَتْ الصُعداء وقالت: لَهَانَ على عمر بن الخطاب ما لقيتُ الليلة، فضربَ بابَ الدار فقالت: من هذا الذي يأتي إلى امرأة مُغيبةٍ هذه الساعة؟ فقال: افتحي، فأبتْ، فلما أكثر عليها قالت: أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك، فلما رأى عفافها قال: افتحي فأنا أمير المؤمنين، قالت: كذبت ما أنت أمير المؤمنين، فرفع بها صوته وجهر لها فعرفت أنه هو، ففتحتْ له فقال: هِيهِ كيف قلتِ؟ فأعادتْ عليه ما قالتْ، فقال: أين زوجك؟ قالت: في بَعْثِ كذا وكذا، فبعث إلى عامل ذلك الجند أنْ سَرِّحْ فلان ابن فلان، فلما قدم عليه قال: اذهب إلى أهلك.

[روضة المحبين لابن القيم]

۞ ومن بديع ما قيل في خَفَرِ الشريفة وشدةِ حيائها قول أبي قيس بن الأسْلت:

وَيُكْرِمُها جاراتُها فَيَزُرْنَها   وتَعْتَلُّ عنْ إتْيانِهِنَّ فَتُعْذَرُ
وَلَيْسَ لها أَنْ تَسْتَهينَ بِجارَةٍ   وَلكِنَّها مِنْهُنَّ تحيا وتَخْفَرُ(١)

۞ وقال الأعشى:

لم تَمْشِ ميلاً ولم تَرْكَبْ على جَمَلٍ   ولا ترى الشَّمْسَ إلا دُونَها كِلَلُ(٢)

۞ مَرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض طرق المدينة فسمع امرأَةً تقول:

---

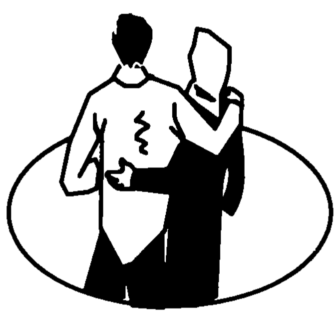
(١) تحيا وتخفر: تستحيي ويشتد حياؤها.
(٢) كِلَلُ: جمع كِلَّة والكلة ما يسمى الناموسية.

دَعَتْني النَّفْسُ بَعْدَ خُروجِ عَمْرٍو إلـى الـلـذاتِ فـأطَّـلِـعَ الـتـلاعـا
فَقُلْتُ لـهـا: عَـجِلْتِ فَلَنْ تُطَاعي ولـو طـالـتْ إقـامـتُـهُ رِبـاعـا
أُحَـاذِرُ إنْ أُطـيـعُـكِ سَـبَّ نـفـسِـي وَمَـخْـزاةً تُـجَـلِّـلُـنـي قِـنَـاعَـا

فقال عمر للمرأة: أي شيءٍ منعك؟ قالت: الحياء وإكرام عِرْضي. فقال عمر: إنَّ الحياءَ ليدلّ على هناتٍ ذات ألوان، مَن اسْتحيا اسْتَخْفَى ومن اسْتَخْفَى اتَّقَى ومَنِ اتَّقى وُفّي. وكتبَ عمر إلى صاحب زوجها فأقْفَلَهُ إليها.

[مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا]

غيرة النساء



غيرة النساء

❋ عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غِرْتُ على امرأةٍ ما غِرْتُ على خديجة، ولقد هلكتْ قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنتُ أَسمعُهُ يذكرها، ولقد أمره ربُّهُ عزَّ وجلَّ أنْ يبشِّرها بِبَيْتٍ من قَصَب في الجنة، وإنْ كان لَيَذْبحُ الشاةَ ثم يُهْديها إلى خلائلها.

[صحيح مسلم/٢٤٣٥]

❋ عن عائشة رضي الله عنها، قالت: استأْذنتْ هالة بنت خُويلد، أُخت خديجة، على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك. فقال: «**اللَّهم هالة بنت خويلد**»، فَغرْتُ فقلتُ: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشِّدْقين، هلكتْ في الدهر، فأبْدَلَكَ الله خيراً مِنْها!

[صحيح مسلم/٢٤٣٧]

❋ عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا خرج أقْرَعَ بين نسائه، فطارتِ القرعة على عائشة وحفصة، فخرجتا معه جميعاً، وكان رسول الله ﷺ، إذا كان بالليل، سار مع عائشة، يتحدّثُ معها، فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركبُ بعيركِ، فتنظرين وأنظر؟ قالت: بلى. فركبتْ عائشة على بعير حفصة، وركبتْ حفصة على بعير عائشة، فجاء رسول الله ﷺ إلى جمل عائشة، وعليه حفصة، فسلّم ثم سار معها، حتى نزلوا، فافْتقدتْهُ عائشة فغارتْ، فلما نزلوا

جعلتْ تجعلُ رِجْلها بين الإذْخِرِ وتقول: يا ربِّ سَلِّطْ علـيَّ عَقْرباً أو حَيَّةً تَلدغُني، رسُولُكَ ولا أسْتطيعُ أنْ أقولَ لهُ شيئاً.

[صحيح مسلم/٢٤٤٥]

❋ عن أنس رضي الله عنه، قالوا: يا رسول الله، ألا تتزوج من نساء الأنصار؟ قال: «**إنَّ فيهم لغَيْرَةً شَدِيدةً**».

[حديث صحيح أخرجه النسائي/٣٢٣٣]

❋ وكان رسول الله ﷺ قد أَذِنَ للنِّساءِ في حضور المسجد، بل اسْتُصْوِبَ ذلك في زمن الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها: لو عَلِمَ النبيُّ ﷺ ما أحْدَثَتْ النساء بعدَهُ لمنَعَهُنَّ من الخروج. وكذلك كان رسول الله ﷺ قد أذِنَ لهُنَّ في الأعياد خاصة أن يخرُجْنَ، ولكن بشرط رضا أزْواجِهِنَّ، والخروجُ الآن مُباحٌ للمرأة العفيفة بِرضا زوْجها، ولكنّ القُعُودَ أسْلَمُ.

❋ وقال قيسُ بنُ زهير ـ شاعر فارس جاهلي ـ لما تزوَّجَ في غير قومه، لامرأته: أنا غيورٌ هَجُورٌ آنف، ولكنّي لا آنف حتى أضامَ، ولا أَفْخُرُ حتَّى أُفاخَر، ولا أَغارُ حتّى أرى.

❋ وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: غَيْرةُ المرأة كُفْرٌ، وغَيْرةُ الرجل إيمان، (وإنما عَدَّ غيرةَ المرأة كُفراً لأنها تحرِّمُ على الرجل ما أحلَّ الله من زواج متعدِّدات، وأما غيرة الرجل فتحريمٌ لما حرَّمَهُ اللَّهُ، وهو الزنا).

❋ وقال سهل بن هارون: ثلاثة من المجانين وإن كانوا عُقلاء: الغَيْران، والغضبان، والسَّكران.

❋ ومن المغالاة في الغيرة: قال بعضهم: لأنْ يرى امرأتي ألفُ رجلٍ أحبُّ إلـيَّ مِنْ أنْ تَرَى امرأتي رجلاً واحداً.

❋ ومن المغالاة أيضاً: حجَّ بعضهم بامرأتِهِ، فنظر إلى الناس يوم التَّرْوِيَةِ، فهَالَهُ كَثْرتُهم، فقال: إنَّ رجلاً يُدْخِلُ امرأتَه وسْطَ هؤلاء لمجنون، وضربَ وَجْهَ راحِلتِهِ وعاد ولم يَحُجَّ.

❃ يقول الإمام الغزالي: ينبغي الاعتدال في الغيرة، وهو أن لا يتغافل عن مبادىء الأمور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في إساءَة الظن والتعنت وتجسس البواطن، فقد نهى رسول الله ﷺ أن نتبع عورات النساء. وفي رواية: أن نبغت النساء، ولما قدم رسول الله ﷺ من سفره قال قبل دخول المدينة: «**لا تطرقوا النساء ليلاً**»[(١)]، فخالفه رجلان فسبقا فرأى كل واحدٍ في منزله ما يكره.

وفي الحديث: إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة، لأن ذلك من سوءِ الظن الذي نهينا عنه، وأمّا الغيرة في محلها فلا بدَّ منها وهي محمودة وذلك في الريبة، وكان قد أذِن رسول الله ﷺ للنساء في حضور المسجد سِيَّما في العيدين.

فالخروج للمسجد مباح للمرأة العفيفة مباح برضاء زوجها ولكن القعود أسلم.

وينبغي أن لا تخرج إلا لمهم، فإنَّ الخروج للنظارات والأمور التي ليست مهمة تقدح في المروءَة وربما تفضي إلى الفساد، فإذا خرجت فينبغي أنْ تغضَّ بصرها عن الرجال. ولسنا نقول إنّ وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حقه، بل هو كوجه الصبي الأمْرَد في حق الرجل، فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط، فإن لم تكن فتنة فلا، إذْ لم يزلْ الرجال على ممرِّ الزمان مكشوفي الوجوه، والنساء يخرجن متنقبات، ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأُمِروا بالتنقيب أو مُنعن من الخروج إلا لضرورة[(٢)].

❃ وعن ابن أبي مليكة: أنّ ابن عمر سمع امرأته تكلم امرأة من وراء جدار، بينها وبينها قرابة لا يعلمها ابن عمر، قال: فجمع لها جرائد ثم أتى فضربها بها.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

---

(١) حديث صحيح حققه الألباني، صحيح الجامع الصغير (٧٣٦٢).
(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين.

❋ وعن علقمة، أن معاذ بن جبل كان يأكل تفاحة ومعه امرأته فدخل عليه غلام، فناولته امرأته تفاحة قد أكلتْ منها، فأوجعها ضرباً.

[المرجع السابق]

❋ وعن المغيرة بن شعبة، أنّ سعد بن عبادة قال: لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لضربتُ رأسه بالسيف. فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال: «**لا تعجبوا من غيرة سعد، فوالله إني لأغير من سعد، والله أغيَر مني، من أجل ذلك حرم الله الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن، فقال: يا أبا ثابت، أكنتَ ضاربَهُ بالسيف؟**» قال: نعم، والذي نزَّل عليك الكتاب، فقال رسول الله ﷺ: «**كفى بالسيف شا**» ولم يتمها. أراد شاهداً لئلا يبالغ فيه الغيران والسكران.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ قال إسحاق: رأيتُ رجلاً بطريق مكة، تعادله في المحمل جارية قد شدَّ عينيها والغطا مكشوف، ووجهها بادٍ، فقلتُ له في ذلك. فقال: إنما أخاف عليها من عينيها، لا من عيون الناس.

[المرجع السابق]

❋ ❋ ❋

(غيرة ابن أبي الحديد)

❋ من لطيف كلام ابن أبي الحديد:

فيا ربِّ بَغِّضْها إلى كل صاحبٍ ... سِوايَ وَقَبِّحْها إلى كل ناظِرِ
وَبَغِّضْ إليها الناس غيري كما أرى ... قبيحاً سِواها كلَّ بادٍ وحاضِرِ
فيا جنَّةً فيها العذابُ ولم أَخَفْ ... حُلولَ عذابٍ في الجِنانِ النواضِرِ

[تزيين الأسواق للأنطاكي]

❋ وقال مسكين الدارمي، وقيل: أبو يعقوب الخُزَيْمي:

ما أحْسَنَ الغَيْرَةَ في حينها ... وأقبَحَ الغَيْرَةَ في كُلِّ حِينْ

مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ مُـتَّـهِـمـاً عِـرْسَـهُ ... مُـتَّـبِـعـاً فـيـهـا لِـقَـوْلِ الـظَّـنُـونْ[1]
يُـوشِـكُ أنْ يُـغْـرِيَـهـا بِـالـذي ... يَـخَـافُ أنْ يُـبْـرِزَهـا لِـلْـعُـيُـونْ
حَـسْـبُـكَ مِـن تَـحـصِـيـنِـهـا ضَـمُّـهـا ... مِـنـك إلـى عِـرْضٍ صـحـيـحٍ ودِيـنْ
لا تَـطْـلَـعَـنْ مـنـك عـلـى رِيـبَـةٍ ... فَـيَـتْـبَـعَ الـمقـرونُ حَـبْـلَ الـقَـرِيـنْ[2]

* وحَدَّثَ أبو عبيدة قال: تَزَوَّجَ رَجُلٌ من بَني عامر بن صَعْصَعَةَ امرأةً من قومه، فخرجَ في بعض أسفارهِ ثمَّ قَدِمَ وقد ولدت امرأتُه ـ وكان خَلَّفَها حاملاً ـ فنَظر إلى ابنِهِ فإذا هو أحْمَرُ غَضْبٌ[3]، أزَبُّ الحاجبين[4]، فدَعَاها وانْتَضَّ السيفَ وأنشأ يقول:

لا تَـمْـشُـطِـي رأسِـي ولا تَـفْـلِـيـنـي ... وحـاذِرِي ذا الـرِّيـقِ فـي يَـمِـيـنـي[5]
واقْـتَـرِبـي دونَـكِ أخْـبِـرِيـنـي ... مـا شَـأْنُـهُ أحْـمَـرَ كـالـهَـجِـيـنِ

فقالت تُجِيبُه:

إنَّ لـه مِـنْ قَـبْـلـي أجـداداً ... بِـيـضَ الـوُجُـوهِ كَـرَمـاً أنْـجَـادَا
مـا ضَـرَّهُـمْ إنْ حَـضَـرُوا أمْـجـاداً ... أوْ كـافـحُـوا يَـوْمَ الـوَغَـى الأنْـدادا
ألاَّ يَـكُـونَ لـونُـهُـمْ سَـوَادَا

* ذكر الشعبي: أن عبدالله بن رواحة أصابَ جارية له، فسمعتْ به امرأته، فأخذتْ شفرةً فأتته حين قام وقالت له: أفعلتها يا ابن رواحة؟ فقال: ما فعلتُ شيئاً. فقالت: لتقرأ قرآناً وإلاّ بعجتك بها. قال: ففكرتُ في قراءَة القرآن وأنا جُنُب فهبتُ ذلك، وهي امْرأة غيراء، في يدها شفرة لا آمن أنْ تأتي بما قالت فقلتُ:

---

(١) عرسه: زوجته.
(٢) أي: إذا أردت تحصين امرأتك فَحَصِّنْ نفسك.
(٣) أحمر غَضْب: شديد الحمرة.
(٤) أزب الحاجبين: كثير الشَّعَر فيهما.
(٥) ذو الريق: السيف.

وفينا رسولُ اللَّهِ يتْلُو كتابَهُ ... إذا انْشَقَّ معروفٌ مِنَ الصُّبْحِ ساطِعُ
أرانا الهُدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلُوبُنا ... بِهِ موقناتٌ إنَّ ما قَالَ واقِعُ
ببيتٍ يُجافي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ ... إذا اسْتَثْقَلَتْ بِالكافِرِينِ المَضاجِعُ

قال: فألقتْ السِّكِّينَ من يدها، وقالت: آمَنْتُ بالله وكَذَّبْتُ البصر.

قال: فأتيتُ النبي ﷺ، فأَخْبَرتُهُ بذلك، فضحك وأعجبه ما صنعتُ.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ ويُروى أن جميل بن معمر قال لبثينة: ما رأيتُ مصعبَ بن الزبير يخطر بالبلاد إلا أخذتني عليكِ الغيرة.

[المرجع السابق]

❋ ❋ ❋

(عبدالملك يَنتقِصُ غَيرَةَ نُصَيب الشاعر)

❋ لمّا أنشَدَ نُصَيْبٌ الشاعر بحضرة عبدالملك بن مروان:

أهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيْتُ فإنْ أَمُتْ ... أُوَكِّلْ بِدَعْدٍ مَن يهيمُ بها بَعْدِي

فَكُلٌّ عابَهُ، فقال عبدُالملك: فلو كان إليكم كيف كُنْتُمْ قائِلين؟ فقال رجلٌ منهم: كنتُ أقول:

أهِيمُ بِدَعْد ما حَيِيْتُ فإنْ أمُتْ ... فواحَزَنا من ذا يهيمُ بها بَعْدِي

فقال عبدالملك: ما قُلْتَ والله أسْوَأُ مما قاله، فقيل له: فكيف كُنْتَ قائلاً في ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: كنتُ أقولُ:

أهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيْتُ فإن أمُتْ ... فلا صَلَحتْ دَعْدٌ لِذي خُلَّةٍ بَعْدِي

فقالوا: أنتَ والله أشْعَرُ الثلاثة يا أمير المؤمنين.

[دولة النساء للبرقوقي]

❃ وقال الشَّنْفَرى:

إذا ما جِئْتِ ما أَنْهاكِ عنه ولم أُنْكِرْ عليكِ فَطَلِّقِيني
فأنتِ البعلُ يومئِذٍ فقُومي بِسَوْطِكِ لا أبا لَكِ فاْضْرِبيني

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❃ وقال الفضيلُ بن الهاشمي: كُنْتُ مَعَ ابنة عمي نائماً على سريرٍ، إذْ ظهرتْ إلَيَّ بعضُ جواريَّ، فنزلتُ، فقضيتُ حاجتي، ثمّ انْصرفتُ. فبينما أنا راجع، إذْ لدغتني عقربٌ فصبرتُ حتى عدتُ إلى موضعي من السرير، فغلبني الوجع، فصحتُ، فقالت لي ابنة عمي: ما لك؟ قلتُ لها: لدغتني عقرب. قالت: وعلى السرير عقرب؟ قُلتُ: نزلتُ لأبول فأصابتْني، ففَطِنتْ، فلما أصبحتْ جمعتْ خدمها واسْتَحْلَفَتْهُنَّ ألا يقتلُنَّ عقرباً في دارها إلى سنة. ثم قالت:

إذا عُصِيَ اللَّهُ في دارِنا فإنَّ عَقارِبَنا تَغْضَبُ
ودارٍ إذا نامَ حُرَّاسُها أقامَ الحدودَ بِها العَقْرَبُ

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❃ وقال الإمام علي رضي الله عنه: لا تُكْثر الغيرة على أهلك، فتُرامى بالسُّوءِ من أجلك.

[فقه السنة لسيد سابق]

❃ وأنشد إسحاق بن إبراهيم:

وإني بها في كل حالٍ لواثقٌ ولكنَّ سوءَ الظن من شدَّة الحُبِّ

[أخبار النِّساءِ لابن الجوزي]

❃ ويُروى: أَنَّ سارة كانت تحب إبراهيم خليل الرحمٰن. فمكثتْ معه دهراً لا تُرْزق ولداً، فلما رأتْ ذلك وهبتْ له هاجر، وكانت أَمَةً لها قبطية، فولدتْ لإبراهيم إسماعيل عليهما السلام، فغارتْ من ذلك سارة ووجدتْ في نفسها، وعتبت على هاجر. فحلفتْ لتقطعنّ عضواً من أعضائها، فقال لها إبراهيم عليه السّلام: هل لكِ أنْ تبرِّي يمينكِ؟

قالت: كيف أصنع؟ قال: اثقبي أذنيها وخصِّفيها، والخصف هو الخياطة. ففعلت ذلك بها، فوضعتْ في أذني هاجر قرطين، فازدادتْ حُسْناً. فقالت سارة: إني إنما زدتُها جمالاً، فلم تتركه على كونها معه. ووجد بها إبراهيم وجداً شديداً، فنقلها إلى مكة وكان يزورها في كل وقتٍ من الشام لشغفه بها، وقلة صبره عنها.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ ❋ ❋

(غيرة ابن حزم)

❋ قال ابن حزم الأندلسي:

أغارُ عليكِ مِنْ إدْراكِ طَرْفي ... وأُشْفِقُ أنْ يُذِيبَكِ لَمْسُ كَفِّي

فأمْتَنِعَ اللِّقاءَ حِذَارَ هذا ... وأعْتَمِدُ التَّلاقي حينَ أُغْفي

فَرُوحي إنْ أَنَمْ بِكِ ذو انْفِرادٍ ... مِنَ الأعْضاءِ مُسْتَتِرٌ وَمَخْفِي

وَوَصْلُ الروحِ ألْطَفُ مِنْكِ وَقْعاً ... مِنَ الجِسْمِ المُواصِلِ ألْفَ ضِعْفِ

[طوق الحمامة لابن حزم]

❋ ❋ ❋

(غيرة أبي تمام)

❋ قال أبو تمّام (حبيب بن أوس الطائي):

بنفسي مَنْ أَغارُ عليهِ مِنّي ... وَتَحْسدُ مُقْلَتي نَظَري إِلَيْهِ

ولو أنّي قَدِرْتُ طَمَسْتُ عنه ... عُيونَ الناسِ مِنْ حَذَري عَلَيْهِ

حَبيبٌ بَثَّ في قلبي هَواهُ ... وأمْسَكَ مُهْجَتي رَهْناً لَدَيْهِ

فَرُوحي عِنْدَهُ والجِسْمُ خالٍ ... بِلا رُوحٍ وقلبي في يَدَيْهِ

[تزيين الأسواق للأنطاكي]

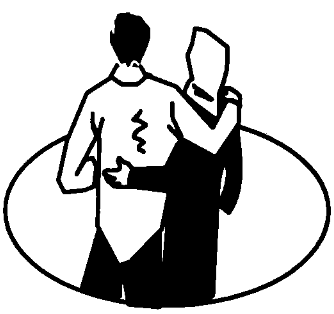
✵ كان عند روح بن زنباع، هند بنت النعمان بن بشير، وكان شديد الغيرة، فأشرفت يوماً تنظر إلى وفد جذام، إذ كانوا عنده، فزجرها، فقالت: والله إني لأبغض الحلال من جذام، فكيف تخافني على الحرام فيهم.

وقالت له يوماً: عجباً منك! كيف يُسَوِّدُك قومك، وفيك ثلاث خلال: أنت من جذام، وأنت جبان، وأنت غيور؟ فقال لها: أما جذام فإني في أرومتها، وحسبُ الرجل أن يكون في أرومة قومه. وأما الجبن، فإني ما لي إلا نفس واحدة، فأنا أحوطها، فلو كانت لي نفس أخرى جُدْتُ بها. وأمَّا الغيرة، فأمْرٌ لا أُريد أن أُشارك فيه، وحقيق بالغيرة من كانت عنده حمقاء مثلك، مخافة أن تأتيه بولد من غيره فتقذفه في حجره! فقالت:

وهَلْ هندُ إلا مهرةٌ عربيةٌ ... سليلةُ أفراسٍ تَحَلَّلَها بَغْلُ
فإنْ أنْجَبَتْ مُهْراً عريقاً فبالحرا ... وإنْ يَكُ أقْرافٌ فما أنْجَبَ الفحلُ

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

كيد النساء



كيد النساء

۞ قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

[سورة يوسف/٢٨]

۞ وقال سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

[سورة يوسف/٣٣]

۞ وقال سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾.

[سورة يوسف/٣٤]

۞ وقال سبحانه: ﴿. . . مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.

[سورة يوسف/٥٠]

۞ وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

[سورة يوسف/٥٢]

۞ عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الغادرَ يُنْصَبُ لهُ لواءٌ يوم القيامة، فيقال: ألا هذهِ غدرةُ فلان ابنِ فلانٍ**».

[صحيح الجامع الصغير/١٦٨٢]

❋ ❋ ❋

۞ (كيد النساء وكيد الشيطان)

۞ قال بعض العلماء: إني أخافُ من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان، لأنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء/٧٦]، وقال سبحانه في النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [سورة يوسف/٢٨].

[الكشكول للعاملي]

۞ وفي الحديث الشريف: «**رأيتُ النار فلم أرَ كاليوم منظراً قَطّ، ورأيتُ أكثرَ أهلها النساء**»، قالوا: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: «**بِكُفْرِهِنَّ**»، قيل: يكفرن بالله؟ قال: «**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لوْ أحْسَنْتَ إلى إحداهنَّ الدهر، ثم رأتْ منك شيئاً، قالت: ما رأيتُ منك خيراً قطّ**».

ومِصداق هذا الحديث ما يُرْوَى عن الرُّمَيْلِيَّة زوج المعتمد بن عباد ملك إشبيلية وأحد ملوك الطوائف بالأندلس، وذلك أنها رأت النساء يوماً يمشين في الطين، فاشْتَهَتِ المشيَ فيه، فأمر المعتمد فسُحِقَتِ الطُّيوبُ وذُرَّت في ساحة القصر حتى عَمَّته، ثم نُصِبَتْ الغرابيل وصُبَّ فيها ماءُ الورد على الطيُوب، وعُجِنت بالأيدي حتى صارت كالطين، وخاضَتْهُ مع جواريها، وكان يوماً مشهوداً، وغاضبها في بعض الأيام، فأقسَمَتْ أنَّها لم تَرَ منه خيراً قط، فقال لها: ولا يوم الطين! فاسْتَحْيتْ واْعتذرتْ.

[دولة النساء للبرقوقي]

❋ ❋ ❋

۞ (زوجة أبي دهبل)

۞ قيل: إنَّ أبا دهبلٍ كان يهوى امرأة من قومه يقال لها: عمرة، وكانت امرأة جزلةً[١] يجتمع إليها الرجال للمحادثة وإنشاد الشعر والأخبار،

(١) جزلة: تامة الخلق والأدب.

وكان أبو دهبل لا يفارق مجلسها مع كلِّ من يجتمع إليها، وكانت هي أيضاً محبَّةً له، وكان أبو دهبل رجلاً سيِّداً من أشراف بني جمح وكان يحمل الحمَّالات[(١)] ويعطي الفقراء ويقري الضيف، وزعمت بنو جمح أنَّه تزوَّج عمرة هذه بعد ذلك، وزعم غيرهم أنه لم يصل إليها، وكانت عمرة توصيه بحفظ ما بينهما وكتمانه، فضمن لها ذلك، واتصل ما بينهما، فوقفت عليه زوجته، فَدُسَّتْ إلى عمرة امرأةٌ داهية من عجائز أهلها قالت لها في عرض حديثها: إني لأعجب لكِ كيف لا تتزوجين أبا دهبل مع ما بينكما؟ قالت: وأيُّ شيء يكون بيني وبين أبي دهبل؟ قال: فتضاحكتْ وقالت: أتسترين عني شيئاً قد تحدَّثتْ به أشراف قريش في مجالسها، وسوقة أهل الحجاز في أسواقها والسُّقاة في مواردها فما يتدافع اثنان أنَّهُ يهواكِ وتهوينه فوثبتْ عن مجلسها، فاحتجبتْ ومنعتْ كلَّ من كان يجالسها من المصير إليها، وجاء أبو دُهبل على عادته، فحجبته وأرسلتْ إليه بما كره، ففي ذلك يقول:

تطاولَ هذا الليلُ ما يتبلَّجُ ... وأعيتْ غواشي عبرتي ما تفرَّجُ
وبِتُّ كئيباً ما أنامُ كأنَّما ... خلالَ ضلوعي جمرةٌ تتوهَّجُ
فَطَوْراً أُمَنِّي النفسَ من عمرة المنى ... وطوراً إذا ما لَجَّ بي الحزنُ أَنشجُ[(٢)]
لقدْ قَطَعَ الواشونَ ما كانَ بَيْنَنا ... ونحنُ إلى أن يوصلَ الحبلُ أحوجُ

۞ قال العُتْبِيُّ: سمعتُ أبي يُحَدِّثُ عن ناسٍ من أهل الشام: أنَّ أخَوين كان لأحدهما زوجة، وكان يغيبُ ويَخْلِفُهُ الآخرُ في أهْلِهِ، فَهَوِيَتْهُ امرأةُ الغائب، فأرادَتْهُ على نفسها، فَأمْتَنَعَ، فلما قدِم أخوهُ سألها عن حالها، فقالت: ما حالُ امرأةٍ تُراوَدُ في كُلِّ حين! فقال: أخي وابنُ أُمّي! وإني لا أفضحه! ولكن لله عليّ ألاّ أُكَلِّمَهُ أبداً، ثم حجَّ وحجَّ أخوه والمرأة، فلمَّا كانوا بوادي الدَّوم هلك الأخ ودفنوهُ وقضوا حَجَّهُم ورجعُوا، فَمَرُّوا بذلك الوادي ليلاً، فسَمِعُوا هاتفاً يقول:

---

(١) الحمالات: الدِّيَات.
(٢) أنشج: أبكي.

أجِدَّكَ تَمْضي الدَّوْمَ ليلاً ولا تَرَى ... عليكَ لأهْلِ الدَّوْم أنْ تَتَكلَّمَا
وبالدَّوم ثاوٍ لو ثَوَيْتَ مكانَهُ ... وَمَرَّ بِوادِي الدَّوم حَيّاً لسَلَّمَا

فظَنَّتْ المرأةُ أنَّ النِّداء من السماءِ، فقالت لزوجها: هذا مقام العائذ، كان من أخيك ومني كيت وكيت، فقال: والله! لو حَلَّ قَتْلُكِ لوَجَدْتِنِي سريعاً، ففارقها وضَرَبَ خيمةً على قبر أخيه، ولم يزلْ مقيماً حتى مات ودُفن بجنب أخيه، فالقبران معروفان.

[دولة النساء للبرقوقي]

***

(صخر وزوجته)

كان صخر بن الشريد أخو الخنساء خرج في غزوةٍ فقاتل فيها قتالاً شديداً، فأصابه جُرْحٌ رغيب ـ أي: واسع ـ فمرض فطال به مرضه وعاده قومه، فقال عائد من عُوَّادِهِ يوماً لامرأته سلمى: كيف أصبح صخر اليوم؟ قالت: لا حيّاً فيُرْجى ولا ميّتاً فينسَى، فسمع صخر كلامها فشقَّ عليه، وقال لها: أنتِ القائلة كذا وكذا؟ قالت: نعم غير مُعْتَذِرةَ إليك. ثم قال عائد آخر لأُمه: كيف أصبح صخرٌ اليوم؟ فقالت: أصبح بحمد الله صالحاً ولا يزال بحمد الله بخير ما رأينا سواده بيننا. فقال صخر:

أرَى أُمَّ صخرٍ ما تَمَلُّ عِيَادَتي ... وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي ومَكانِي
وما كُنْتُ أَخْشَى أنْ أكونَ جَنازةً ... عليكِ ومَنْ يَغْتَرّ بالحَدَثانِ
فأَيُّ امْرِىءٍ ساوَى بأُمٍّ حليلةً ... فلا عاشَ إلاّ في أذًى وهَوَانِ
أَهُمُّ بِأمْرِ الحَزْمِ لو أسْتطيعُهُ ... وقد حِيلَ بينَ العَيْرِ والنَّزوانِ
لَعَمْرِي لقد أنْبَهْتُ من كان نائماً ... وأسْمَعْتُ مَنْ كانتْ له أُذُنانِ

فلما أفاقَ عَمَدَ إلى سَلْمَى فعَلَّقها بِعَمُودِ الفُسْطاطِ حتَّى فاضَتْ نفسُها، ثم نُكِسَ من طَعْنَتِهِ فمات.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

(الحجاج واللص البريء)

عرضَ(١) الحجاج سجنه يوماً، فأُتي برجل فقال له: ما كان جرمُكَ؟ قال: أصلح الله الأمير، أخذني العسسُ(٢) وأنا مخبرك بخبري، فإنْ يكن الكذب ينجي فالصدق أولى بالنجاة. فقال: ما قصتك؟ قال: كنتُ أخاً لرجل فضرب الأمير عليه البعث(٣) إلى خراسان، فكانت امرأته تجد بي(٤) وأنا لا أشعر، فبعثتْ إليَّ يوماً رسولاً قد جاء كتابُ صاحبك فهلمّ فلتقرأه. فمضيتُ إليها، فجعلتْ تشغلني بالحديث حتى صلينا العشاء، ثم أظهرت لي ما في نفسها، ودعتني إلى السوء، فأبيتُ عليها. فقالت: والله لئن لم تفعلْ لأصيحنَّ ولأقولنَّ إنك لص. فلما أبيتُ عليها صرختْ فخرجتُ هارباً، وكان القتلُ أهونُ عليَّ مِن خيانةِ أخي. فلقيني عسسُ الأمير فأخذوني وأنا أقول:

رُبَّ بيضاءَ ذاتُ دَلٍّ وحُسْنٍ قد دعتني لِوَصْلِها فأَبَيْتُ
لم يكنْ شأني العفافُ ولكِنْ كُنْتُ نَدْمانَ زوجها فٱسْتَحَيْتُ

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❊ ❊ ❊

(شبيه يوسف)

قال حصين بن عبدالرحمٰن: بلغني أنَّ فتىً من أهل المدينة كان يشهد الصلوات كلّها مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر يتفقدُهُ إذا غاب، فعشقته امرأةٌ من أهل المدينة، فذكرتْ ذلك لبعض نسائها، فقالت: أنا أحتال لك في إدخاله عليك، فقعدتْ له في الطريق، فلما

(١) عرض: تفقد.
(٢) العسس: حراس الليل.
(٣) ضرب عليه البعث: أي طُلب للتجنيد.
(٤) تجد بي: أي تعشق وتهيم.

مرَّ بها قالت له: إني امرأة كبيرة السِّنِّ ولي شاةٌ لا أستطيع أنْ أحلبَها، فلو دخلتَ فحلبتها لي، وكانوا أرغبَ شيءٍ في الخير، فدخل فلم يرَ شاةً، فقالت: اجلسْ حتى آتيك بها، فإذا المرأة قد طلعت عليه، فلما رأى ذلك عمد إلى محرابٍ في البيت، فقعد فيه فأرادته عن نفسه فأبى وقال: اتقي الله أيتها المرأة، فجعلتْ لا تكفُّ عنه ولا تلتفت إلى قوله، فلما أبى عليها صاحتْ عليه فجاؤوا فقالت: إنَّ هذا دخلَ عليَّ يريدني عن نفسي، فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه، وأوْثقُوهُ، فلما صلّى عمر الغداة فقدَه، فبينا هو كذلك إذ جاؤوا به في وثاق، فلما رآه عمر قال: اللَّهم لا تخلفْ ظنّي به، قال: ما لكم؟ قالوا: استغاثتْ امرأةٌ بالليل فجئنا فوجدنا هذا الغلام عندها فضربناهُ وأوْثقناهُ، فقال عمر رضي الله عنه: اصدقني، فأخبره بالقصة على وجهها، فقال له عمر: أتعرف العجوز؟ فقال: نعم، إن رأيتُها عرفتُها، فأرسل عمر إلى نساء جيرانها وعجائزهنَّ، فجاء بهنّ فعرضهنّ، فلم يعرفها فيهنّ، حتى مرَّت به العجوز فقال: هذه يا أمير المؤمنين، فرفع عمر عليها الدِّرَّة، وقال: اصْدُقيني، فقصَّتْ عليه القصة كما قصَّها الفتى. فقال عمر: الحمد لله الذي جعل فينا شبيهَ يوسف.

[روضة المحبين لابن القيم]

***

(ابنة هرقل)

ولما قتلت بنو أسد بن خزيمة حجر بن الحرث أبا امرىء القيس دار في أحياء العرب فلم يرَ منهم ما يحب، فمضى حتى قدم على هرقل ملك الروم، فأقام عنده شهراً فأكرمه ونادمه، وأعجبه كماله وعقله. ثم بعثَ معه ستمائة من أبناء الملوك ومن تبعهم. ونظرتْ إليه ابنةُ الملك فعشقته وأرسلتْ إليه أن يلقاها قبل خروجه، فجعل يعتذر لها ويعللها ولا يرضى أن يخون أباها فيها مع ما فعله معه. وخرج منصرفاً إلى

بلده فقالت ابنة هرقل لأبيها: ما صنعتَ بنفسك وجّهتَ أبناء ملوك الروم مع ابن ملك العرب؟ لو قد استمكن مما أراد غزاك ونزع ملكك. فوجّه إليه الملك بحلّة منسوجةٍ بالذهب مسمومة، فلما لبسها تنفّط جلده ـ أي: تقرّح واحترق ـ وتساقط لحمه، فنظر إلى جبل فسأل عنه، فقيل له: اسمه عسيب، فقال:

أجارتنا إنَّ المزارَ قريبٌ ... وإنّي مقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ
أجارتنا إنّا غريبانِ هٰهنا ... وكُلُّ غريبٍ للغريبِ نَسِيبُ

وقيل: إنّه قال هذا لأنه رأى قبراً عند هذا الجبل، فسأل عنه فأُخبر أنّه قبرُ امرأةٍ من بنات الروم. فمات هناك.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❃ ❃ ❃

(ابنة ملك السَّواد)

ورد في سِيَرِ العجم: أنَّ أرْدَشير سار إلى الحَضْرِ، وكان مَلِكُ السَّواد متحصِّناً فيها، وكان من أعظم ملوك الطوائفَ، فحاصرهُ فيها زماناً لا يجدُ إليه سبيلاً، حتى رَقِيَتْ ابنة ملك السَّواد يوماً، فرأتْ أردشيرَ فعَشِقَتْه فنزلتْ وأخذتْ نُشَّابةً وكتبتْ عليها: إنْ أنت شَرَطتَ لي أن تتزوَّجني دَلَلْتُك على موضع تَفْتتِح منه هذه المدينة بأيْسَر حِيلةٍ وأخف مؤونةٍ، ثم رمتْ بالنُّشَّابةِ نحو أرْدَشير؛ فكتبَ الجوابَ في نُشَّابةٍ: لكِ الوفاءُ بما سألتِ، ثم ألقاها إليها؛ فكتبتْ إليهِ تَدُلُّ على الموضع؛ فأرسَلَ إليه أردشير فافتتحه ودخل هو وجنودُه، وأهلُ المدينة غافلون، فقتلوا مَلِكَها وأكثرَ مُقاتلتها وتزوّجها؛ فبينما هي ذاتَ ليلةٍ على فراشه أنكرتْ مكانها حتى سَهِرتْ لذلك عامَّةَ ليلتها، فنظروا في الفراش فوجدوا ورقةً من ورق الآسِ قد أثّرتْ في جلدها، فسألها أردشير عند ذلك عما كان أبوها يغذُوها به؛ فقالت: كان أكثر غذائي الشهد والزُّبْد

والمُخ؛ فقال أردشير: ما أحدٌ بِبالغ لكِ في الحِبَاءِ والإكرام مبلغَ أبيك، ولئن كان جزاؤه عندكِ على جُهْدِ إحسانه مع لُطْفِ قرابته وعِظَم حقِّه جُهْدَ إساءَتِك، ما أنا بآمِن لمثله منكِ؛ ثم أمَرَ بأن تُعْقَدَ قرونُها بذَنَبِ فرَسٍ شديد المِرَاح جَمُوحٍ، ثم يُجْرَى، ففُعِلَ ذلك حتَّى تساقطتْ عُضْواً عُضْواً.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❋ ❋ ❋

(بائع المكاتل)

ذكر أنَّ شاباً في بني إسرائيل لم يكنْ فيهم شابٌّ أحسن منه كان يبيع المكاتل، فبينا هو ذات يوم يطوف بمكاتله إذْ خرجتْ امرأة من دار ملك من ملوك بني إسرائيل، فلما رأتْهُ رجعتْ مبادرة فقالت لابنة الملك: إني رأيتُ شاباً بالباب يبيع المكاتلَ لم أر شاباً قط أحسن منه، قالت: أدخليه، فخرجتْ فقالت: ادخلْ، فدخل، فأغلقتْ الباب دونه، ثم قالت: ادخلْ، فدخلَ، فأغلقتْ باباً آخر دونه، ثمَّ اسْتقبلته بنتُ الملك كاشفة عن وجهها ونحرها، فقال لها: استتري عافاك الله، فقالت: إنا لم ندعُك لهذا، إنما دعوناكَ لكذا، وراودتْهُ عن نفسه، فقال لها: اتقي الله، قالت: إنكَ إنْ لم تطاوعني على ما أُريد أخبرتُ الملكَ أنكَ إنما دخلتَ تراودني على نفسي، قال لها: فضعي لي وضوءاً، فقالت: أعليَّ تتعلّل؟ يا جارية ضعي له وضوءاً فوق الجَوْسَق - أي: القصر - مكان لا يستطيع أن يفرَّ منه، فلما صار في الجوسق قال: اللّهم إني دُعيتُ إلى معصيتك وإني أختار أن أُلقي نفسي من هذا الجوسق ولا أركب معصيتك، ثم قال: بسم الله، وألقى نفسه من أعلاه، فأهبط الله ملكاً أخذ بمنكبيه فوقع قائماً على رجليه، فلما صار في الأرض قال: اللّهم إنْ شئت رزقتني رزقاً يغنيني عن بيع هذه المكاتل، فأرسل الله عليه رِجْلاً من جراد من ذهب فأخذ منه حتى ملأ

ثوبه، فلما صار في ثوبه قال: اللَّهم إن كان هذا رزقاً رزقتنيه من الدنيا فبارك لي فيه، وإن كان ينقصني مما لي عندك في الآخرة فلا حاجة لي فيه، فنودي إنّ هذا الذي أعطيناك جزء من خمسة وعشرين جزءاً لصبرك على إلقائك نفسك، فقال: اللَّهم فلا حاجة لي فيما ينقصني مما لي عندك في الآخرة، فرُجِعَ الجراد.

[روضة المحبين لابن القيم]

***

(مكيدة ناجحة)

عن الشرقي بن القطامي قال: تزوج رجلٌ من همدان ابنة عمٍّ له وكان لها محبّاً، فلم يلبث أنْ ضُرِبَ عليه البعثُ إلى أذربيجان، فأصاب بها خيراً واستفاد جاريةً وفرساً، فسَمَّى الفرس الورد والجارية حبابة، ثمَّ قفل البعثُ ولم يقفل هو، فأتاهُ ابنُ عمٍّ له، فقال: ما يمنعك من القفول؟ قال: أخشى ابنة عمّي أنْ تحول بيني وبين الجارية وقد هويتُها، فأنشأ يقول وكتب به إليها:

ألا لا أُبالي اليوم ما صَنَعَتْ هندٌ ... إذا بقيتْ عندي حبابةٌ والوردُ
شديد نياط المنكبين إذا جرى ... وبيضاء مثل الرِّيم زيَّنَها العقدُ
فهذا لأيام الهياج وهذه ... لموضع حاجاتي إذا انْصرفَ الجندُ

فكتبت إليه امرأَتُهُ:

لعمري لئن شطَّتْ بعثمان دارُهُ ... وأضْحَى غنيّاً بالحبابة والوردِ
ألا فأَقْرِهِ منّي السلامَ وقُلْ لهُ ... غنينا بفتيانٍ غطارفةٍ مُرْدِ
بحمد أمير المؤمنين أقرَّهم ... شباباً وأغزاكم خوالفَ في الجُنْدِ
فأَرسلْ إِلينا بالسَّراحِ فإنّهُ ... مُناناً ولا ندعو لكَ اللّهَ بالرُّشْدِ
إذا رَجَعَ الجندُ الذي أنتَ مِنْهُمُ ... فزادكَ ربُّ الناسِ بُعْداً على بُعْدِ

فلمَّا وصلتْ أبياتُها إليه، باع الجارية وأقبل مسرعاً، فوجدها مُعْتَكِفَةً على مسجدها وصلاتها، فقال: يا هند، فعلتِ ما قلتِ! قالت: اللَّهُ أجلُّ في عيني وأعظم من أن أركبَ له مأثماً، ولكن كيف وجدتَ طعم الغيرة؟ فإنك غظتني فغظتُك.

[المستطرف للأبشيهي]

❋ ❋ ❋

(امرأة غادرة)

عن يحيى بن طفيل الجُشَميّ قال: كان عند رجل من قريش امرأة يحبُّها، فسافر عنها، فقالت له: أُشَيِّعُك، فشَيَّعَتْهُ ثلاث مراحل، فلما مضى قالت لخادمها: ناولني بَعْرَةً ورَوْثَةً وحَصَاةً، فناولها، فألقَتْ الرَّوْثَةَ وقالت: راث خبرُك[1]، وألقَتْ البَعْرَةَ وقالت: وعِرَ[2] سفرُك، وألقتِ الحصاة وقالت: حُصَّ أثرُك[3].

فسَمِعَها رجل على الماء، فلحِقَهُ، فقال له: ما هذه منك؟ قال: امرأَتي وأعزُّ الناس إليّ، فأخبره بالخبر، فقام على الماء، فلمّا أمْسى أقْبلَ نحو منزله فوجد ما يكره مِنَ السُّوء.

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

❋ ❋ ❋

(كيد عظيم)

قال أحمد بن يحيى: كان مرثد عم عمرو بن قمية الشاعر، عنده امرأة

(١) راث: أبطأ.
(٢) وعر: عكس سَهُلَ.
(٣) حُصَّ أثرك: أي قُطِعَ.

جميلة، وكان قد كبر، وكان يجمع بني أخيه وبني عمه في منزله للغداء كل يوم. وكان عمرو بن قمية شابّاً جميلاً، فخرج مرثد يرمي بالقداح، فأرسلتْ امرأته إلى عمرو بن قمية: ابن عمك يدعوك.

فجاءَتْ به من دبر البيوت، فلما دخل عليها لم يجد عمه فأنكر أمرها، فراودته عن نفسها، فقال لها: لقد جئتِ بأمرٍ عظيم، وما كان مثلي يُدعى لمثل هذا! قالت: لتفعلنَّ ما أقول لك أوْ لأسوأنكَ. قال: إلى المساءَة دعوتني! ثمّ قام فخرج. وأمرتْ بجفنة فكبَّتْ على أثر رجله. فلما رجع مرثد وجدها متغضبة فقال لها: ما لكِ؟ قالت: إنّ رجلاً من قومك قريب القرابة جاء يراودني ويريد فراشك منذ خرجت. قال: ومن هو؟ قالت: أما أنا فلا أسميه، ولكن قمْ فاقتفِ أثره تحتَ الجفنة. فلما رأى الأثر عرفه فأعرض عنه وجفاه، ولم يزده على ذلك، وكان أعجب الخلق إليه. وعرف ابن قمية ذلك وكره أن يخبره فقال:

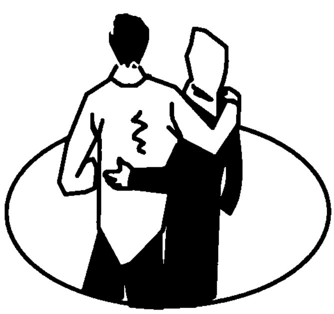
لعمرك ما نفسي بجدٍّ رشيدةٍ ... تؤامرني شرّاً لأصْرُمَ مرثدا[١]
عظيمُ رمادِ القدرِ لا مُتَعَبِّسٌ ... ولا مُؤَيِّسٌ منها إذا هو أخمدا[٢]
لقد ظَهرتْ مِنْهُ بوائقُ جَمَّةٌ ... وأفرعَ في لومي مراراً وأصعدا[٣]
على غيرِ ذنبٍ أنْ أكونَ جنيتُهُ ... سوى قولِ باغٍ جاهدٍ فتهجَّدا[٤]

وبلغتْ الأبياتُ مرثداً فكشف عن الأمر حتى تبين له، فطلَّقَ امرأته وعاد على ما كان عليه لابن أخيه.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

(١) تؤامرني: تشير عليّ. الصَّرْم: القطيعة.
(٢) عظيم رماد القدر: كناية عن كرمه. أخمد النار: أطفأها.
(٣) البوائق: المصائب. أفرع: أعلو وأزيد. أصعد: أشتدّ.
(٤) تَهَجَّدَ: سهر على بغيه.

طرائف ولطائف



طرائف ولطائف

(الزوجة والكتاب)

* بعض النساء يكرهن الكتب إلى درجة بعيدة، حتى لتحس أن هذه الكتب هي ضرائر لهنَّ، وذلك إذا كان الزوج مشغولاً بكتبه وفي مكتبته معظم أوقاته.

وقد صوَّر الشاعر محمود عمار حالته مع زوجته من هذه القصيدة:

تَغارُ من الكتابِ إذا رَأَتْني ... أُطالِعُهُ وأتْركُ وَجْنَتَيْها
تَضِنُّ بفكرتي فيما عداها ... وتنكر نظرتي إلاَّ إلَيْها
وَتَنْفِرُ من مقالٍ ليس فيها ... ولو شملَ الحياةَ وملحقيها
وتَحْسَبُ هيكلي ومحيطَ نفسي ... بقيةَ إرْثها من والدَيْها
وقد ظفر الكتابُ ببعض هذا ... لذلك كان إحدى ضُرَّتَيْها
فنظمُ أبي العلاءِ أحبُّ منه ... حديثٌ عن نظام ذؤابَتَيْها
ونثر ابن المقفع لا يوازي ... نثار الورد من إحدى يَدَيْها
وعلم الكون إنْ لم يُرْوَ عنها ... فذا لا ينطلي أبداً عَلَيْها
ولكن من كتابي لي اعتذارٌ ... فهلْ هو رائجٌ في مَسْمَعَيْها
أُطالعُهُ فَأَفْهَمُ ما لَدَيْهِ ... ولمْ أفْهَمْ بجهدي مَا لَدَيْها

* * *

(ظننتُكَ ساهراً)

* دخلتْ امرأةٌ عجوز على السلطان سليمان القانوني تشكو إليه جنوده الذين سرقوا لها ماشيتها بينما كانت نائمة. فقال لها السلطان: كان عليكِ أنْ تسهري على مواشيكِ لا تنامي. فأجابت العجوز: ظننتُكَ ساهراً علينا يا مولاي فنمتُ مطمئنةَ البال.

* * *

(مواد التجميل)

* سُئلت عجوزٌ يفيضُ وجهُها بشراً وجمالاً: أيّ مواد التجميل تستعملين؟ فقالت: أستخدم لشفتيَّ الحقَّ، ولصوتي الذكر، ولعينيّ غض البصر، وليديَّ الإحسان، ولقوامي الاستقامة، ولقلبي حب الله، ولعقلي الحكمة، ولنفسي الطاعة، ولهواي الإيمان.

* * *

(دهاء امرأة)

* حُكي أنَّ امرأَةً أُتّهِمَ زوجها وابنها وشقيقها، بتدبير مؤامرة لاغتيال الخليفة المستنصر بالله، فأُلقي القبض على الثلاثة، وحكم عليهم بالإعدام.

ولما علمت المرأة بذلك، ذهبت فوقفت على باب المستنصر بالله، حتى رأته قادماً، راحت تبكي وتتضرع إليه أنْ يعفو عنهم، إذ لا أربَ لها في الحياة بعدهم، ولا معيل غيرهم، فرقَّ لها قلب المستنصر، وأطرق قليلاً يفكر، وقال: قد قبلتُ شفاعتك في واحد منهم، وتركتُ لك الخيار فيه. فوقعت المرأة في حيرة من أمرها، وفكرت قليلاً، ثم قالت للخليفة: إنَّ الزوج موجود، والابن مولود، أمَّا الأخ فمفقود، لا يعود، أختار الأخ.

فأُعجب المستنصر بحُسْن اختيارها، ثم قال: اذهبي يا بنية، فقد وهبتك حياتهم جميعاً، ثم أمر لها بشيءٍ من المال.

❋ ❋ ❋

(الذهب شفيعك)

❋ قال علي بن الجهم لامرأةٍ يحبها:

هل تعلمين وراءَ الحبِّ منزلةً تُدْني إليك فإنَّ الحبَّ أَقصاني

فقالت: تأتي من باب الذهب، وأنشدت:

اجعلْ شفيعكَ مَنقوشاً تُقَدِّمُهُ فلمْ يزلْ مَدْنيّاً مَنْ لَيْسَ بالدَّاني

❋ ❋ ❋

(خيمة بنجد هي المنَى)

❋ تزوج أحد خلفاء بني العباس بأعرابية، وسكنت المدينة معه، ولكنها أخذتْ تتشوقُ إلى البادية، وإلى عيشتها السابقة فيها، حينما كانت ترعى الأغنام وترد المياه. فأمر ببناء قصر لها بالقرب من البادية على شاطىء دجلة، وأمر بالأغنام والرعاة أن يسرحوا هناك حتى تراهم، فلم يطفىء ذلك شيئاً من حنينها إلى وطنها، ومرَّ الخليفة بها يوماً وهي لا تراهُ، فسمعها تبكي وتنتحب، وتقول:

وما ذنبُ أعرابيةٍ قذفتْ بها صُروفُ النَّوَى من حيثُ لمْ تكُ ظَنَّتِ
تمنَّتْ أحاليبَ الرعاةِ وخيمةً بنجدٍ فلمْ يُقْضَ لها ما تَمَنَّتِ
إذا ذكرتْ ماءَ الغريبِ وطيبَهُ وَبَرْدَ حصاهُ آخرَ الليلِ أَنَّتِ
لها أنَّةٌ عِندَ العِشَاءِ وأَنَّةٌ سُحَيْراً ولولا أنَّتاها لجُنَّتِ

❋ ❋ ❋

(علية وطلّ)

* خرج الرشيد في بعض أسفاره، فأخرج معه أخته علية، وكان قد بلغه أنها تعجب بغلام له اسمه (رشا) فأبعده، وقيل: قتله. ثم إنها علقت من بعده غلاماً آخر اسمه (طل) فكانت تكثر من ذكرها له. فقال لها الرشيد: والله لئن ذكرته لأقتلنك، فدخل عليها يوماً على حين غفلة وهي تقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾، فلما شعرت به قرأت أول الآية: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾ ثم أمسكت حتى لا تذكر اسم (طل) وأكملت قائلة: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ...﴾ فالذي نهى عنه أمير المؤمنين، فابتسم الرشيد وقال لها: (ولا هذا أيضاً يا أُخَيَّة).

* * *

(زواج امرىء القيس)

* آلى امرؤ القيس بن حجر ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن (ثمانية وأربعة واثنين) فجعل يخطب النساء، فإذا سألهنَّ عن هذا قلن: أربعة عشر. فبينا هو في جوف الليل، إذا هو برجل معه ابنة صغيرة له كأنها البدر لتمه، فأعجبته فقال لها: يا جارية، ما ثمانية وأربعة واثنان؟ قالت: أما ثمانية فأطباء الكلبة، وأما أربعة فأخلاف الناقة، وأما اثنان فثديا المرأة. فخطبها من أبيها، فزوّجه إياها، وشرطت هي عليه أن تسأله ليلةَ بنائها عن ثلاث خصال، فأجابها موافقاً، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر وصائف، وثلاثة أفراس. ثم إنه أرسل عبده إلى المرأة فأهدى إليها نحيا من سمن، ونحيا من عسل، وحلة من قصب، فنزل العبد في بعض المياه، فنشر الحلة فلبسها، ثم أتاها وهي خلوف، فسألها عن أبيها وأمها وأخيها، ودفع إليها هديتها. فقالت له: أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً وأن أُمي ذهبت تشق النفس نفسين وأن أخي يراعي الشمس، وأن سماءَكم انشقت، وأن وعاءكم نضب. فقدم الغلام على

مولاه فأخبره، فقال: أما قولها: ذهب يبعد قريباً ويقرب بعيداً فإنَّ أباها ذهب يحالف على قومه، وأما قولها: ذهبت تشق النفس نفسين فإنَّ أمها ذهبت تقابل نفساء. وأما قولها: أخي يراعي الشمس فإن أخاها في سرحٍ له يرعاه، وأما قولها: إنَّ سماءَكم انشقت فإنّ البرد الذي بعثت به انشق، وقولها: إنّ وعاءكم نضب فإنّ النحيين اللذين بعثت بهما نقصا.

ثم أقبل امرؤ القيس إلى امرأته، فقيل لها: قد جاء زوجك، فقالت: والله لا أدري أزوجي أم لا؟ ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها. ففعلوا. فلما أتوه بذلك قال: فأين الكبد والسنام واللحى؟ وأبى أن يأكل. فقالت: اسقوه لبناً خاثراً. فأُتي به، فأبى أنْ يشربه، وقال: أين الصَّريف والرَّثيئة[1]؟! فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم، فأبى أن ينام. وقال: افرشوا لي على القلعة الحمراء، واضربوا عليها خباءً ثم أرسلتْ إليه: هلمَّ شرطتي عليك في المسائل الثلاث، فأرسل إليها: أن سلي عما شئتِ، فأرسلت إليه: ممَّ تختلج شفتاك؟ قال: لشرب المشَعْشَعات[2]، قالت: فمِمَّ يختلج كشحاك؟ قال: للبسي الحبرات[3]، قالت: فمِمَّ يختلج فخذاك؟ قال: لركوبي المطهمات[4]، قالت: هذا زوجي لعمري، فعليكم به.

ودخل امرؤ القيس بالجارية التي أحبها حين رآها، فأُعجب بجمالها، وسألها فكان جوابها شافياً.

[من كتاب الأغاني]

❋ ❋ ❋

(١) الصريف: الحليب الطازج. الرثيئة: اللبن.
(٢) المشعشعات: الخمر وغيره.
(٣) الحبرات: البرود اليمنية.
(٤) المطهمات: الخيل الجميلة.

(هند ابنة النعمان)

* لما كان المغيرة بن شعبة الثقفي والياً بالكوفة من قبل معاوية، أرسل إلى هند يبغي زواجها، وكانت قد عجزت، فأبت وقالت له: ما فيَّ رغبة لجمال، ولا لكثرة مال، وأي رغبة لشيخ أعور في عجوز عمياء، ولكن أردتَ أنْ تفخر بنكاحي فتقول: تزوجت بنت النعمان بن المنذر. فقال: صدقت والله. وأنشأ يقول:

أدركتِ ما منَّيْتُ نفسي خالياً ... للَّهِ دَرُّكِ يا ابنة النُّعمانِ
فلقد رددتِ على المغيرة ذِهْنَهُ ... إنَّ الملوكَ ذكيَّةُ الأذْهانِ
إني لحِلْفِكِ بالصَّليبِ مُصَدِّقٌ ... والصَّلبُ أصْدقُ حِلْفَةِ الرُّهبانِ

وكانت بعد ذلك تدخلُ عليه، فيكرمها ويبرها. وسأَلها يوماً عن حالها فأَنشدت:

فَبَيْنا نسُوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا ... إذا نحنُ فيهم سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ

روي أن المغيرة تزوج ثلاثين بكراً.

[أمالي ابن الشجري]

* * *

(من حفر البحر؟)

* قال رجل لامرأته: الحمد لله الذي رزقنا ولداً طيِّباً. قالت: ما رُزق أحدٌ مثلمَا رُزقنا، فدعياهُ فجاء، فقال له الأبُ: يا بني، مَنْ حَفَرَ البحر؟ قال: موسى بن عمران. قال: مَنْ بَلَّطهُ؟ قال: محمد بن الحجاج. فشقَّت المرأة جيبها ونشرت شَعْرها وأقبلت تبكي. فقال أبوه: ما لكِ؟ فقالت: ما يعيش ابني مع هذا الذكاء.

* * *

(فُتن الشعبي)

* دخل رجل على الشعبي في مجلس القضاء ومعه امرأة، وهي من أجمل النساء، فاختصما إليه، فأدلتْ المرأةُ بحجتها وقرَّبَتْ بَيِّنَتَها. فقال للزوج: هل عندك من بيِّنة؟ فأنشأ يقول:

فتن الشعبي لما رفع الطرف إليها فتنته ببَنانٍ كيف لو رأى مِعْصميها
ومَشتْ مشياً وئيداً ثم هزَّتْ مِنْكَبيها فقضى جوراً على الخصم ولم يقضِ عليها

قال الشعبي: فدخلتُ على عبدالملك بن مروان، فلما نظر إليَّ تبسَّم وقال:

(فُتِنَ الشعبي لما رفع الطرف إليها)

ثمَّ قال: ما فعلتَ بقائل هذه الأبيات؟ قُلتُ: أوجعتُهُ ضرباً يا أمير المؤمنين، بما أنتهك من حرمتي في مجلس الحكومة وبما أفترى بهِ عليَّ! قال: أحْسنتَ.

* * *

(إنَّ بنات الملوك لا يُبَعن)

* قيل: إنّ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُتي ببنات الملك يزدجرد وأراد بيعهن مُسْبَيَات، فأعطاهن للدلال ينادي عليهنّ في السوق، وكن ثلاثاً، فكشف عن وجه إحداهن، فلطمته لطمة شديدة على وجهه، فصاح: واعمراه، وشكا إليه. فدعاهن عمر، وأراد أن يضربهن بالدرة، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أكرموا عزيز قوم ذل، وغني قوم أفتقر**». إنَّ بناتِ الملوك لا يبعن. ولكن قومهنَّ. فقومهنَّ وأعطاهُ أثمانهنَّ، وقسَّمَهُنَّ بين الحسين بن علي، ومحمد بن أبي بكر وعبدالله بن عمر، فولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم: علي بن الحسين (زيَن العابدين)، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبدالله.

(شوق وحنين)

* أراد أعرابي السفر، فقال لزوجته:

عدِّي السنين لغيبتي وتصبَّري   وذري الشهور فإنَّهنَّ قِصارُ

فأجابته:

فاْذكر صبابتنا إليكَ وشوقنا   وٱرحمْ بناتِكَ إنَّهنَّ صغارُ

فأقام وترك السفر.

* * *

(الحُبُّ القاتل)

* قال الأصمعي: ضلَّتْ إبلٌ لي، فخرجتُ في طلبها، أجوبُ في البادية فأدركني التعب، فلجأتُ في بعض الأماكن إلى جنب صخرة أسْتظل بظلها، وأرتاح. وتأملتُ الصخرة فإذا بيت شِعر مكتوب عليها يقول:

أيا معشر العشاق بالله خبّروا   إذا حَلَّ عِشْقٌ بالفتَى كيف يصنعُ؟

فكتبتُ تحتهُ:

يُداري هواه ثمَّ يكتُمُ سِرَّهُ   ويخشعُ في كلِّ الأمورِ ويخضعُ

وجئتُ في اليوم التالي، فوجدت تحت هذا السطر:

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى   وفي كل يومِ قلبه يتقطعُ؟

فكتبتُ تحته:

يلوذ بصبر ما ٱستطاع مؤملاً   بأنَّ الذي قد غاب عنه سيرجعُ

ثم في اليوم التالي، وجدت تحت هذا السطر:

فإنْ لم يجدْ باباً لتفريج همه؟

فأتْمَمْتُ هذا الشطر قائلاً:

فــلــيــسَ لــه شــيءٌ ســوى الــمــوت يــنــفــعُ

وجئتُ في اليوم الذي بعده، فوجدتُ شخصاً ميتاً قرب الصخرة وهو يشير بإصبعه إلى بيت مكتوب عليها يقول:

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا سلامي إلى من كان للوصل يمنعُ

قال الأصمعي: فرثيتُ لحاله، ولمتُ نفسي على هذا الكلام الذي أجبتُ به على أسئلتهِ، وتعجبتُ من شدة غرامه وصدق عاطفته وإخلاصه ثمَّ صليتُ عليه، ودفنتُهُ إلى جانب الصخرة، رحمه الله.

❋ ❋ ❋

(امرأة لها ١٢ خليفة كلهم محارم)

* قيل: إنَّ عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان والدة يزيد بن عبدالملك بن مروان، حرمت على اثني عشر خليفة من بني أمية وهم: معاوية جدها، ويزيد أبوها، ومروان أبو زوجها، والوليد وسليمان وهشام ـ أبناء عبدالملك ـ أولاد زوجها، والوليد بن يزيد: ابن ابنها، ويزيد بن الوليد: ابن زوجها، وإبراهيم بن مروان بن الوليد: ابن زوجها، ويزيد بن عبدالملك: ابنها. ومعاوية بن يزيد بن معاوية: أخوها. وعبدالملك بن مروان: زوجها. ولم يتفق ذلك لامرأة غيرها.

❋ ❋ ❋

(ليلى الأخيلية وتوبة)

* من أغرب ما روي أن ليلى الأخيلية مَرَّتْ مع زوجها في بعض نجعهم بالموضع الذي فيه قبر توبة، وكانت متزوجة في بني الألكح بن عبادة بن عقيل. فقال لها زوجها: لا بدّ أنْ أعرج بك إلى قبر توبة كي تسلمي

عليه حتى أرى هل يجيب صداه كما زعم حيث يقول:

ولو أنّ ليلى الأخيلية سَلَّمَتْ علَيَّ وَدُوني جَنْدلٌ وصَفَائِحُ
لسَلَّمْتُ تسْليمَ البشاشة أو زقا إليها صَدًى من جانبِ القبرِ صائحُ

فقالتْ له: وما تريدُ من رمة وأحجار؟ فقال: لا بُدَّ من ذلك. فعدل بها عن الطريق إلى القبر، وذلك في يوم قائظ، فلما دنتْ راحلتها من القبر ورفعت صوتها بالسَّلام عليه، إذا بطائر قد اسْتظلَّ بحجارة القبر من فيح الهاجرة، فطار، فنفرت راحلتها ووقعت، فماتت.

***

(الخمار الأسود والدارمي)

* قدم تاجر من أهل الكوفة إلى المدينة، يحمل معه أنواعاً كثيرة من الخُمُر، منها الخمار الأسود، والأحمر، والأصفر، والأبيض وغيرها. والخمار هو النقاب الذي تستر به المرأة والفتاة وجهها، وأكثر ما يكون ذلك للتجمل والإغراء.

فنفقتْ كل الألوان من التاجر ما عدا الأسود. فذهب إلى مسكين الدارمي، المتعبد الناسك يشكو له الأمر، فطيَّبَ الدارمي خاطرهُ، وتعهد له بالعمل على إنفادها كلها. ثم نظم أبياتاً من الشعر وهي:

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلتِ بزاهدٍ متعبدِ
قد كان شمَّرَ للصلاة إزارَهُ حتّى خطرتِ له بباب المسجدِ
رُدّي عليهِ صلاتهُ وصيامَهُ لا تقتليهِ بحقِّ دينِ محمدِ

فلم تبق في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نَفِدَ ما كان مع العراقي منها. فلما علم بذلك الدارمي رجع إلى نسكه ولزم المسجد.

[الأغاني للأصفهاني]

(ما تكره المرأة في الرجل)

* خطب خالد بن صفوان امرأة فقال: أنا خالد بن صفوان، والحسن على ما قد علمتِهِ، وكثرة المال على ما قد بلغكِ، وفيَّ خصال سأبينُها لكِ، فتقدمين عليَّ أو تدعين. قالت: وما هي؟ قال: إنَّ الحُرَّة إذا دنتْ مني أَمَلَّتْني، وإذا تباعدتْ عني أَعَلّتني، ولا سبيل إلى درهمي وديناري، ويأتي عليَّ ساعة من الملال لو أنَّ رأسي في يديَّ نبذتُهُ. فقالت: قد فهمنا مقالتك، ووعينا ما ذكرتَ، وفيك بحمد الله خصال لا نرضاها لبنات إبليس، فانصرف عنا، يرحمك الله.

❋ ❋ ❋

(الحكم الثقفي وجاريتان)

* قال الحكم بن صخر الثقفي: خرجتُ حاجّاً مختفياً، فلما كنتُ في بعض الطريق أتتني جاريتان من بني عُقيل، لم أرَ أحسنَ منهما وجوهاً، ولا أطرف ألسنةً، ولا أكثر علماً وأدباً، فقصرتُ بهما يومي، لما مَتَّعَتاني به من عذوبة كلامهما، ولطف حديثهما. ثم حججتُ من قابل ومعي أهلي، وقد أصابتني علة، فنصل لها خضابي، فلما صرتُ إلى ذلك الموضع، فإذا أنا بإحداهما، فدخلتْ عليّ، فسألتُها مُستنكراً لها: فقلتُ: فلانة! قالت: نعم، تعرفني وأنا أنكرك، فقلتُ: أنا الحكم بن صخر، قالت: إني رأيتك عامَ أول شابّاً سوقة، وأراكَ العام ملكاً شيخاً. وفي دون هذا ينكر المرءُ صاحبه. قلتُ: ما فعلت أختك؟ قالت: تزوَّجها ابن عمٍّ لها، وخرج بها إلى نجد، فذلك حيث يقول:

إذا ما قفلنا نحو نجد وأهله فحسبي من الدنيا قفولٌ إلى نجد

قلتُ: لو أدركتُها لتزوجتُها. فقالت: ما يمنعك من شقيقتها في حسبها، ونظيرتها في جمالها؟ ـ تعني: نفسها ـ فقلتُ: إنَّ رأيكِ لمصيب، ولقاؤنا عجيب غريب.

❋ ❋ ❋

(زوج يتعلَّل بزوجته)

* روي أن والياً تركياً من الذين حكموا بلادنا، كان عنده موظف، وكان هذا الموظف يتأخر أحياناً عن الوظيفة، وإذا سأله الوالي عن سبب تأخره، يقول: زوجتي كلفتني بمهمة. واْستاءَ أحد الوجهاء من هذا الموظف، وقال للوالي: اُصرفه يا سيدي من الخدمة، وأنا آتيك بموظف خير منه، وليس عنده زوجة لتؤخره عن الوظيفة. فأجاب الوالي: لا، إنّ الحاجب الموجود عندي خير موظف، وأفضل من ذاك الذي تعرضه عليّ، لأنَّ من لا يصلح لخدمة زوجته، لا يصلحُ لخدمة دولته.

* * *

(رماح بني نمير)

* عن الأصمعي قال: قالت امرأةٌ من بني نمير عند الموت: مَنْ الذي يقول:

لعمرُكَ ما رماح بني نمير بطائشةِ الصدور ولا قصار

قالوا: زياد الأَعجم، قالت: فاْشهدوا أَنَّ ثُلُثَ مالي له، قال: فحُمِلَ ثُلُثُ مالها بعد موتها إلى زياد.

* * *

(ما أهزَلَكِ!)

* قال المدائني: قال رجلٌ من كلب لامرأتهِ لما دخل بها: ما أهزَلكِ! قالت: هزالي أولجني بيتك.

* * *

(رسائل محبة)

* كان رجل يبيع الزهور في محله. وكان له زوجة جميلة وفية، مخلصة له، لا يترك مناسبة إلا ويتذكر زوجته فيهديها ما يجعله في نظرها، مثال الرجل المحب لزوجته، من حلي وجواهر وعطور وهدايا جميلة تسرّ القلب وتبهج النفس.

وحدث أن مرَّت ذكرى عيد زواجهما، فجلس في محله وكتب إليها رسالة، قال فيها: يا وردة أيامي، وبنفسجة غرامي، يا سوسنة روحي، ويا أقحوانة عمري، يا زنبقة قلبي، ويا ريحانة حبي، يا بيلسان آلامي وآس أحلامي، يا أعطر العطور، على مر الدهور، اسلمي لزوجك بائع الزهور. وأرسل هذه الرسالة بالبريد. ولما وصلت الرسالة إلى الزوجة، وقرأتها، فرحتْ بها، ورقصتْ طرباً، وانطلقتْ إلى جارتها، لتخبرها عن الرسالة، وعن مدى حب زوجها لها.

وكان زوج هذه الجارة يشتغل نجاراً، فدَبَّتْ فيها الغيرة، وأكل الحسد قلبها وعندما حضر زوجها مساءً، أخبرته عن الجارة وزوجها بائع الزهور. وقالت له: يجب أن ترسل لي أنت أيضاً رسالة غداً حتى أريها لجيراني، وأعرِّفهم أنك لا تنساني في المناسبات السعيدة.

وجلس الزوج النجار في محله، وأخذ ورقة وقلماً، وكتب إلى زوجته مستوحياً ما في محله من أدوات، فقال: يا فارة حبيبتي، وساروقة هيبتي، يا كماشة عيوني، وبنسة جفوني، يا مسمار قلبي ومورينة صلبي، يا منشار حياتي وقدوم مماتي، يا رابوخ صدري، وشاكوش ظهري، يا ملزمة أيامي، ومطرقة أحلامي، وأحيراً يا لزقة غراء طول عمري. اسلمي لزوجك: نجار عربي.

[طرائف ونوادر من الماضي والحاضر]

❋ ❋ ❋

(الغلام المسلم والجارية الرومية)

* قال الجاحظ: أخبرني فتى من أصحاب الحديث قال: دخلتُ ديراً في بعض المنازل لمّا ذكر لي أنَّ به راهباً حسن المعرفة بأخبار الناس وأيَّامهم، فسرتُ إليه لأسمع كلامه فوجدتُهُ في حجرةٍ معتزلة بالدَّيرِ وهو على أحسن هيئة في زيِّ المسلمين، فكلمتُه فوجدتُ عنده من المعرفة أكثر ممّا وصفوا، فسألتُ عن سبب إسلامه، فحدَّثني أنَّ جارية من بنات الروم كانت في هذا الدير نصرانيّة، كثيرة المال، بارعة الجمال، عديمة الشَكل والمثال. فأحبَّتْ غلاماً مسلماً خيَّاطاً، وكانت تبذل له مالها ونفسها، والغلام يُعرض عن ذلك ولا يلتفتُ إليها، وامتنع عن المرور بالدَّير. فلمَّا أعيتها الحيلة فيه طلبت رجلاً ماهراً في التصوير. وأعطته مائة دينار على أن يصوِّر لها صورة الغلام في دائرة على شكله وهيئتهِ، ففعل المصور. فلم تخطىء الصورة شيئاً منه غير النطق، وأتى بها إلى الجارية. فلما أبْصَرَتْها أُغمي عليها، فلمَّا أفاقت أعطتْ المصور مائة دينار أخرى. وأخرج الراهب لي الصورة فرأيتها. فكاد أن يزلَّ عقلي. فلمّا خَلَت الجارية بالصورة رَفَعَتْها إلى حائط حجرتها، وما زالت كلَّ يوم تأتي الصورة وتقبِّلها وتلثم ما تحب منها، ثمَّ تجلس بين يديها تبكي، فما زالتْ على تلك الحال شهراً، فمرض الغلام ومات. فعملت الجارية مأتماً وعزاءً سار ذكره في الآفاق، وصارت مثلاً بين الناس. ثم رجعت إلى الصورة وصارت تلثمها وتقبِّلها إلى أن أمست، فماتت إلى جانبها. فلما أصبحنا، دخلنا عليها لنأخذ من خاطرها فوجدناها ميتة، ويدها ممدودة إلى الحائط نحو الصورة، وقد كتب عليه هذه الأبيات:

يا مَوْتُ حَسْبُكَ نفسي بعدَ سيِّدِها ... خُذْها إليكَ فَقَدْ أوْدَتْ بما فيها
أسْلَمْتُ وَجْهي إلى الرحمٰنِ مُسْلِمَةً ... وَمِتُّ موتَ حبيبٍ كانَ يَعْصِيها
لعلَّها في جنانِ الخلدِ يجمعُها ... بمَنْ تُحِبُّ غداً في البعثَ باريها
ماتَ الحبيبُ وماتتْ بَعْدَهُ كَمَداً ... مُحِبَّةٌ لم تَزَلْ تُشقِي مُحبِّيها

قال الراهب: فشاع الخبر، وحملها المسلمون ودُفِنَتْ إلى جانب قبر الغلام. فلمَّا أصْبَحْنا دخلنا حجرتها فرأينا تحت شعرها مكتوباً:

أصْبَحْتُ في راحةٍ ممَّا جَنَتْهُ يدي ... وَصِرْتُ جارةَ ربٍّ واحدٍ صَمَدِ
مَحَا الإلٰهُ ذُنوبي كُلَّها وغدا ... قَلْبِي خلِّياً من الأحزانِ والكمدِ
لمَّا قَدِمْتُ إلى الرحمٰن مُسْلِمَةً ... وقلتُ إنَّكَ لم تُولدْ ولم تَلِدِ
أثابَني رحمةً منهُ ومغفِرةً ... وأَنْعُماً باقياتٍ آخرَ الأَبَدِ

❋ ❋ ❋

(واحدة بواحدة والبادي أظلم)

* قدّمت امرأَةٌ زوجها إلى زياد[1] تنازعُهُ، وقد كان سنُّهُ أعلى من سنِّها، فجعلتْ تعيبُ زوجها وتقع فيه. فقال زوجها: أيها الأمير، إنَّ شرَّ شطري المرأة آخرها، وخير شطري الرجل آخره.

المرأة إذا كَبِرتْ عَقَمَتْ رحمها[2]، وحدَّ لسانُها، وساءَ خُلُقُها، وإنَّ الرجلَ إذا كبرت سنُّهُ ٱستحكَمَ رأيُهُ[3]، وكَثُرَ حِلْمُهُ، وقلَّ جهلُهُ.

❋ ❋ ❋

(أم أوفى)

* روي أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سمع أعرابيّاً يقول: اللّٰهم اغفر لأُم أوْفى، قال: وَمَنْ أُمُّ أوفى؟ قال: امرأتي، وإنها لحمقاء

(١) زياد: هو زياد بن أبيه استلحقه معاوية بنسبِهِ وأصبح من ولاة الأمويين.
(٢) عقمت رحمها: انقطعت عن الحمل والولادة.
(٣) استحكم رأيه: صار حكيماً.

مرغامة[١]، أكولٌ قامَّة[٢]، لا تبقي لها حامَّة[٣]، غير أنها حسنان فلا تُفرك[٤]، وأُم غلمان فلا تُترك.

❋ ❋ ❋

(مزاح ابن رواحة مع زوجته)

* اشترى عبدالله بن رواحة رضي الله عنه جاريةً وكتمَ ذلك امرأَته، فلمَّا جاءَها قالت له: بلغني أنك ابتعتَ جاريةً وأنك الساعة خرجتَ من عندها، وما أحسبك إلا جُنُباً؟ قال: ما فعلتُ، قالت: فاْقرأ آياتٍ من القرآن، فقال:

شهدتُ بأنَّ وَعْدَ اللَّهِ حقٌّ ... وأنَّ النَّارَ مَثْوَى الكافرينا
وأنّ العرش فوق الماء طافٍ ... وفوقَ العرشِ ربُّ العالمينا
وتَحْمِلُه ملائكةٌ شِدادٌ ... ملائكةُ الإلٰهِ مقربينا

فقالت: أما إذْ قد قرأتَ القرآن فقد علمتُ أنك مكذوبٌ عليكَ. واْفْتَقَدَتْه ليلةً أخرى فلم تجده على فراشها، فلم تزل تطلبُهُ حتى قدرت عليه في ناحية الدار، فقالت: الآن صدّقتُ ما بلغني فجحدها. فقالت: اْقرأ آياتٍ من القرآن، فقال:

وفينا رسولُ اللَّهِ يَتْلُو كتابَهُ ... كما انشقَّ معروفٌ من الفجر ساطعُ
أرانا الهُدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقناتٌ أنَّ ما قالَ واقعُ
يبيتُ يُجافي جَنْبَهُ عن فراشِهِ ... إذ أثقلتْ بالمِشركين المضاجعُ
وأَعلم علماً ليس بالظنِّ أنني ... إلى الله محشورٌ هُناكَ فراجِعُ

(١) مرغامة: كارهة لزوجها.
(٢) قامّة: لا تبقي شيئاً من الأكل.
(٣) حامَّة: خاصة الإنسان من أهله وولده.
(٤) تفرك: تكره.

فقالت: آمنتُ باللَّهِ وكذَّبْتُ ظنّي. فأخبر النبي ﷺ بذلك، فضحك وقال: «**هذا لعمري من معاريض الكلام، يغفر الله لك يا ابنَ رواحة**».

[جمع الجواهر في المَلح والنوادر/٥٤]

❋ ❋ ❋

(تضرع في الطواف)

* قال أحدهم: إني بالطواف أمام الحجر، إذْ سمعتُ حنيناً يخرج من بين الأستار، وإذا بقائلٍ يقول:

عفا اللَّهُ عمَّنْ يحفظُ الوُدَّ جَهْدَهُ ... ولا كان عفوُ الله للناقضِ العهدِ
وضعتُ على الأستارِ خدِّي ذليلةً ... ليجمعني مَعَ مَنْ وَضَعْتُ له خَدِّي

قال: فرفعتُ الأستار، فإذا جاريةٌ منفردةٌ كأنَّها شمسٌ تجلَّتْ عنها غمامة، فقلتُ: يا هذه، لو سألتِ الله الجنة مع هذا التضرُّع والبكاء ما حرمكِ إياها! فقالت: سبحان من خلق فسَوَّى ولم يهتك العلانية والنجوى، أمَّا والله إني لفقيرة إلى رحمة ربي، وقد سألتُهُ أكبرَ الأمرين عندي، رجاء فضله واتكالاً على عفوه، ثمَّ ولَّتْ عني، فاستعذتُ بالله من الشيطان الرجيم.

❋ ❋ ❋

(هوى الدِّين)

* لقي عبدالله بن حسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنهم امرأةً جميلة في الطواف، فلما نَظَرَتْ إليه وإلى جماله مالتْ نحوه وطمعتْ فيه، فأقبل عليها وقال:

أهوى هوى الدِّين واللَّذَّاتُ تُعْجبني فكيف لي بهوى اللذاتِ والدِّين
نفسٌ تُزَيِّنُ لي الدنيا وزينتَها وزَاجِري مِنْ حَذارِ الموتِ يُثنيني

فتَرَكَتْهُ ومَضَتْ.

❊ ❊ ❊

(عفراء وعروة)

❊ عن معاذ بن يحيى الصنعاني، قال: خرجتُ من مكة إلى صنعاء، فلما كان بيننا وبين صنعاء خمسٌ، رأيتُ الناس ينزلون عن محامِلِهِم ويَرْكبون دوابهم. فقلتُ: أين تُريدون؟ قالوا: نُريد ننظر إلى قبر عفراء وعروة. فنزلتُ عن محملي وركبتُ حماري واتصلتُ بهم، فانتهيتُ إلى قبرين مُتلاصِقَين، قد خرج من هذا القبر ساقُ شجرة، ومن هذا ساقُ شجرة، حتّى إذا صارا على قامَةٍ التقيا. فكان الناس يقولون: تآلفَا في الحَياةِ وفي المَوْت!

قال الأصمعي عن ابن أبي الزناد: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو أدركتُ عفراء وعُرْوة لجمعتُ بينهما.

❊ ❊ ❊

(بُثينة وجميل)

❊ لما عَلِقَ جميلٌ بُثينةَ وجعل يُشَبِّبُ بها، ٱستَعْدى عليه أهلُها رِبْعِيَّ بن دجاجة، وهو يومئذٍ أمير تيماء. فخرج جميل هارباً حتى انتهى إلى رَجُلٍ من عُذْرة بأقصى بلادهم، وكان سيِّداً، فاسْتَجَار به. وكان للرجل سبعُ بنات، فلما رأى جميلاً رَغِبَ فيه، فأراد أنْ يُزَوِّجَهُ ليَسْلُوَ عن بُثَيْنة، فقال لبناتِهِ: البَسْنَ ثيابَكُنَّ وتَحَلَّيْنَ بأحسن حُلِيّكنَّ، وتعرَّضْنَ له،

فلعلّ عينَهُ أن تقعَ على إحداكنّ فأزوّجه إياها. قال: وكان جميل إذا أراد الحاجة أبْعَدَ في المَذْهب، فإذا أقبل رَفَعْنَ جانب الخِباء، فإذا رآهن صرف وجهه. قال: ففعلن ذلك مراراً، فعرف جميل ما أراد به الشيخ، فقال:

حَلَفْتُ لِكَيْما تَعْلَمِيني صادقاً ... ولـلصِّدقُ خيرٌ في الأمورِ وأَنْجَحُ
لَتكْليمُ يومٍ واحدٍ من بُثينةٍ ... ورُؤْيتُها عِنْدي أَلَذُّ وأَمْلَحُ

فقال الشيخ: أرْخين عليكن الخِباء، فوالله لا يُفلح هذا أبداً!

❋ ❋ ❋

(بُثينة وجميل)

❋ لما حَضَرَت جميلَ الوفاةُ، قال: مَن يأخذُ ناقتي وما عليها، ويأتي ماءَ بني فلان. ويُنْشِد هذيْن البيتَيْن:

بَكَرَ النَّعيُّ وما كَنى بجميلِ ... وثوَى بمِصر ثَواءَ غيرِ قَفُولِ
غَدَرَ الزّمانُ بِفارسٍ ذي هِمَّةٍ ... ثَبْتٍ إذا حَمَلَ اللواءَ نَزُولِ

فلما قَضَى حياته أَتى الرّجلُ الماءَ، فأنْشَدَ البيتَيْن، فخَرَجَتْ بُثينة ناشرَةَ شعرها، شاقَّةَ جَيْبَها، لاطمةً خدَّها، وهي تقول: يا أيها النّاعي بفِيك الحَجَر، أما والله لئن كنتَ كَذَبْتني لقد فَضَحْتَني، وإنْ كنتَ صَدَقْتَني لقد قَتَلْتَني. ثم أنشأتْ تقول:

وإنّ سُلُوّي عن جميلٍ لساعةٌ ... مِنَ الدَّهر ما جاءَت ولا جاءَ حينُها
سَوَاءٌ علينا يا جميلَ بن مَعْمَرٍ ... إذا مِتَّ بأساءُ الحياةِ ولينُها

ويقال: إنّها لم تَقُلْ شِعْراً غَيْرَهُ.

❋ ❋ ❋

(كُثَيِّر عزَّة والعجوز)

* خرج كُثَيِّر يلتمس عزّة ومعه شُنَيْنَة(١) فيها ماء، فأخذه العطشُ فتناول الشُّنينة فإذا هي عَظْمٌ ما فيها شيء من الماء، ورُفِعَت له نار، فأمَّها فإذا بقُرْبها مِظلّةٌ بفنائها عجوز، فقالت له: مَن أنت؟ قال: أنا كُثَيِّر، قالت: قد كنتُ أتمنّى ملاقاتك، فالحمدُ لله الذي أرانيك. قال: وما الذي تلتَمِسِينه عندي؟ قالت: ألسْتَ القائل:

إذا ما أَتَتْنا خُلَّةٌ كي نُزِيلَها ... أبَيْنا وقُلْنا الحاجِبيَّةُ أوَّلُ

قال: بلى. قالت: أفلا قلتَ كما قال سيِّدُك جميل:

يا رُبَّ عارضةٍ عَلَيْنا وَصْلَهَا ... بالجِدِّ تَخْلُطُهُ بِقَوْلِ الهازِلِ
فأجبتُها في القَوْلِ بَعْدَ تأمّلٍ ... حُبّي بُثَيْنَةَ عَنْ وِصالِكِ شاغِلي
لو كان في قَلْبِي كَقَدْرِ قُلامةٍ ... فَضْلٌ لغَيْرِكِ ما أَتَتْكِ رَسَائِلي

قال: دعي هذا واسقيني ماءً. قالت: والله لا سَقَيتُكَ شيئاً. قال: وَيْحَكِ إنّ العَطَش قد أضرَّ بي. قالت: ثكِلْتُ بُثَيَنة إنْ طعِمْتَ عندي قطرة. فكان جهده أنْ ركَّضَ راحلته، ومَضَى يطلبُ الماءَ، فما بلغَهُ حتى ضُحى النهار وقد كرَبَ(٢) أن يقتله العطش.

* * *

(توبة أبي العتاهية)

* قال أبو سَلَمَة الغَنَوي، قلت لأبي العتاهية: ما الذي صَرَفَكَ عن قول الغزَل إلى قولِ الزهد؟ قال: إذَن والله أُخْبِرُك، إني لمّا قُلتُ:

---

(١) شُنينة: مصغر: شَنّ، وهي القربة البالية.

(٢) كَرَبَ: قارب.

اللَّهُ بَيْني وبَيْنَ مولاتي أهْدَتْ لي الصُّدودَ والملالاتِ
مَنَحْتُها مُهْجَتِي وخالِصَتي فكان هِجْرانُها مُكافَاتِي
هَيَّمَني حُبُّها وَصَيَّرَني أُحْدُوثَة في جَميع جاراتي

رأيْتُ في المنام تلك الليلة كأَنَّ آتياً أتاني، فقال: ما أصَبْتَ أحَداً تُدْخِلُهُ بينَكَ وبين عُتْبَة يحكمُ لكَ عَلَيْها بالمَعْصِيَةِ إلا الله تعالى.

فانتبهتُ مذعوراً، وتُبْتُ إلى الله تعالى مِنْ ساعتي مِنْ قولِ الغَزَل.

❋ ❋ ❋

(بُثينة وجميل)

❋ قال جميلٌ لِبُثَيْنَة: هل لكِ يا بُثَيْنة أنْ نُحَقِّقَ قولَ الناسِ فينا؟ فقالت له: مَهْ! دَعْ حُبَّنا مَكانَهُ، إنَّ الحُبَّ إذا نُكِحَ فَسَدَ.

❋ ❋ ❋

(عروة بن أذينة)

❋ رَكِبَتْ سكينة ابنة الحُسين بن علي ذات ليلة في جواريها، فمرَّت بعُرْوة بن أُذَيْنَة اللّيثي، وهو في فناء قصر ابنِ عُيَيْنة، فقالت لجواريها: من الشيخُ؟ فقالوا: عُروة. فعَدَلتْ إليه فقالت: يا أبا عامر، أنت تزعمُ أنك لم تَعشق قط، وأنت تقول:

قالت وأبْثَثْتُها وَجْدي فَبُحْتُ به قَدْ كُنْتَ عِنْدي تُحِبُّ السَّتْرَ فَٱسْتَتِرِ
أَلَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَولي فَقُلْتُ لها غَطِّي هَوَاكِ وما أَلقَى على بَصَرِي

كُلُّ مَنْ تَرَى حَوْلي من جوارٍ، أحرارٌ إنْ كانَ خَرَجَ هذا الكلامُ من قلبٍ سليم قطّ.

❋ ❋ ❋

(العباس بن الأحنف والجارية)

* رُوي أن العباس بن الأحنف قال: بينا أنا بالطواف إذا بثلاث جوارٍ أترابٍ، فلما أبصَرنني قُلن: هذا العباسُ؛ ودنت إليّ إحداهنّ، فقالت: يا عباسُ! أنت القائل:

ماذا لقيتُ من الهوى وعَذابِهِ ... طَلَعَتْ عَلَيَّ بَلِيَّةٌ مِنْ بابِهِ

قلتُ: نعم! قالت: كَذَبْتَ، يا ابن الفاعلة، لو كُنْتَ كذاكَ كُنْتَ كأنا، ثمّ كَشَفَتْ عن أشاجِعَ مُعَرّاةٍ من اللحم، وقالتْ:

ولمَّا شَكَوْتُ الحُبَّ قالتْ كَذَبْتَني ... فما لي أرَى الأعْضاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
فلا حُبَّ حتّى يَلْصَقَ الجِلْدُ بالحَشَا ... وتَخْرَسَ حَتَّى لا تُجِيبَ المُنادِيَا

* * *

(مجنون بني عامر وليلاه)

* قيل لأبي قيس: لو أخرجتَ قيساً أيام الموسم، وأمرتَهُ بأن يتعلّقَ بأستار الكعبة، ويقول: اللّهمّ أَرِحْمْني من حُبّ ليلى لعلّ الله كان يُريحُهُ من ذلك. ففعل. فلما طاف بالبيت أمره فتعلّقَ بأستارِ الكعبة، وقال: قل اللّهمَّ أرِحْني من حُبِّ ليلى. فقال: اللهمّ زدني لليلى حُبّاً إلى حُبِّها، وأرني وجْهَها في خير وعافية! فضربه أبوه، فأنشأ يقول:

ذكَرْتُكِ والحَجِيجُ لهُ ضَجِيجٌ ... بِمَكَّةَ والقلوبُ لها وَجِيبُ
فقُلْتُ ونحنُ في بَلَدٍ حَرَام ... بِهِ لِلَّهِ أُخْلِصَتِ القُلُوبُ
أتُوبُ إليكَ يا رَحْمنُ مِمَّا ... عَمِلْتُ فَقَدْ تَظاهَرتِ الذُّنُوبُ
وأمَّا مِنْ هَوَى لَيْلى وتَرْكي ... زيارتَها فإنِّي لا أتُوبُ
وكيفَ وعندَها قلبي رَهِينٌ ... أتوبُ إليكَ مِنها أوْ أُنِيبُ

* * *

(بنو عُذْرة)

* رُوي عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: كنّا عند عُروة بن الزُّبير وعنده رجل من بني عُذرة فقال له عُروة: يا عُذري، بلغني أنّ فيكم رِقّةً وغزلاً، فأخبرني ببعض ذلك! قال: لقد خلّفتُ في الحَيّ ثمانينَ مريضاً دَنِفاً عَشِقاً ما بهم غيرُ الحُبّ قد خامر قلوبهم.

❊ ❊ ❊

(الأصمعي وما سمع في الطواف)

* قال الأصمعي: رأيتُ جاريةً وهي تقول: اللهمّ مالِكَ يوم القضاء وخالِقَ الأرضِ والسماء، ٱرْحَمْ أهلَ الهَوى، وٱستنقذهم من عظيم البلاء، وٱعطفْ عليهم قلوبَ أودَّائِهم بالصفاء، فإنّك سميعُ النجوى، قريبٌ لمن دعا؛ ثمّ أنشأتْ تقول:

يـا ربّ إنّـك ذو مَـنٍّ ومَـغْـفِـرَةٍ ... بَـيِّـتْ بِـعَـافِـيَـةٍ مِـنْـكَ الـمُـحِـبِّـيـنـا
الذّاكرينَ الهَوى من بَعْدِ ما سَهِرُوا ... حتّى يَظَلُّوا على الأيدي مُكِبّينا

فقلتُ: يا هذه، أتُغَنِّينَ وأنتِ في الطَّواف؟ فقالت: إليكَ عنّي، لا يُرهِقْكَ الحب! فقلتُ لها: وما الحبّ؟ وأنا به أعرفُ منها. فقالت: جَلّ أن يخفى ودقّ عن أن يُرى، له كُمونٌ ككمون النار في الحجر، إن قدحتَهُ أوراك، وإن تركته توارى. قال: فتبعتُها حتى عرفتُ منزلَها، فلما كان من الغد جاء مطرٌ شديدٌ، فمررتُ ببابِها، وهي قاعدةٌ مع أتراب لها زُهْرٍ، يَقُلن لها: لقد أضرّ بنا المطرُ، ولولا ذلك لخَرَجنا إلى الطواف؛ فأنشأت تقول:

قـالـوا أضَـرّ بـنـا الـسَّـحـابُ بـقـطـرِهِ ... لـمَّـا رَأَوْهُ لِـعَـبْـرتـي يَـحْـكِـي
لا تَـعْـجَـبُـوا مـمَّـا تَـرَوْنَ فـإنَّـمـا ... هـذا الـسَّـحـابُ لِـرَحْـمـتـي يَـبْـكـي

❊ ❊ ❊

(جارية بالطواف)

* قال الأصمعي: رأيتُ جاريةً بالطواف وهي تقول:

لَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ مِنْ مَعْشُوقةٍ عَمَلاً ... يَوْماً وعاشِقُها حَيْرانُ مَهْجُورُ
وليسَ يأجُرُها في قَتْلِ عاشِقِها ... لكنَّ عاشِقَها لا شَكَّ مأجُورُ

فقلتُ: يا جارية، أَفي هذا المَقامِ، أمَا حَياءٌ فيردَعُكِ؟ فأنشأتْ تقول:

بِيضٌ أوَانِسُ ما هَمَمْنَ بِرِيبةٍ ... كَظِباءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ
يُحْسَبْنَ مِنْ لِينِ الكَلامِ أوَانِساً ... وَيَصُدُّهُنَّ عن الخَنَى[1] الإسْلامُ

❋ ❋ ❋

(غلام المغيرة)

* قال المغيرة بن شُعبة: ما غلبني أحدٌ قطّ إلاّ غلام من بني الحارث بن كعب، وذلك أني خطبتُ امرأةً من بني الحارث، وعندي شابٌّ منهم، فأصغى إليَّ، فقال: أيّها الأميرُ، لا خيرَ لكَ فيها. قلتُ: يا بن أخي! وما لها؟ قال: رأيتُ رجلاً يقبّلها. قال: فبرِئتُ منها. فبلغني أن الفتى تزوّجها. فأرسلتُ إليه فقلتُ: ألم تخبرني أنّك رأيتَ رجلاً يقبّلها؟ قال: نعم، رأيتُ أباها يقبّلها!

❋ ❋ ❋

(كل مَنْ عايَبَ ابتلي)

* قال جعفري ـ رجل من نسل جعفر بن أبي طالب ـ يتغزّل وهو محبوس في السجن:

(١) الخَنَى: الفُحْش في الكلام.

ولـمّـا بـدا لـي أنّـهـا لا تُـحـبُّـنـي وأنّ هَـواهـا لـيس عـنّـي بِـمُـنْـجـلـي
تـمـنَّـيـتُ أنْ تَـهْـوَى سِـوَايَ لـعـلّـهـا تـذوقُ صـبـابـاتِ الـهـوى فَـتَـرِقَّ لِـي
فـمـا كـان إلاَّ عـن قـلـيـلٍ وأُشْـغِـفَـتْ بِـحُـبِّ غـزالٍ أدْعَـجَ الـطَّـرْفِ أكْـحَـلِ
وعـذَّبَـهـا حـتَّـى أذابَ فـؤادَهـا وذَوَّقَـهـا طَـعْـمَ الـهَـوَى والـتَّـذَلُّـلِ
فـقـلـتُ لـهـا: هـذا هـذا فـأطْـرَقَـتْ حياءً وقالت: (كلُّ مَن عايَبَ ٱبْتلي)

❊ ❊ ❊

(بنت أنقذت أباها)

❊ كتب عبدالملك بن مروان إلى الحجاج يأمره أن يبعث إليه برأس عباد بن أسْلم البكري، فقال له عبّاد: أيها الأمير، أنشُدُك الله لا تقتلني، فوالله إني لأعولُ أربعاً وعشرين امرأةً ما لهُنَّ كاسِبٌ غيري. فرقَّ لهنَّ واسْتحضرهنَّ، وإذا واحدةٌ منهنَّ كالبدر. فقال لها الحجاج: ما أنتِ منه؟ قالت: أنا بنتُهُ، فاسمع يا حجّاج منّي ما أقول:

أحَـجّـاجُ إمّـا أنْ تَـمُـنَّ بـتـركـهِ عـلـيـنـا وإمَّـا أنْ تَـقْـتـلَـنـا مَـعَـا
أحَـجّـاجُ لا تَـفْـجَـعْ بـهِ إنْ قَـتَـلْـتَـهُ ثـمـانٍ وَعَـشْـراً واثْـنَـتَـيْـنِ وأرْبَـعَـا
أحَـجّـاجُ لا تَـتْـرُكْ عـلـيـهِ بـنـاتِـهِ وخـالاتِـهِ يَـنْـدُبْـنَـهُ الـدَّهْـرَ أجْـمَـعَـا

فبكى الحجّاجُ ورقَّ له، واسْتوْهبه من أمير المؤمنين عبدالملك وأمر له بصلةٍ.

❊ ❊ ❊

(امرأة عرجاء)

❊ جاء رجلٌ إلى الشعبي وقال: إنّي تزوَّجْتُ امرأةً وجدتُها عرجاء، فهل لي أنْ أردَّها؟ فقال له: إنْ كنتَ تُريد أنْ تُسابِقَ بها فَرُدَّها!

[الكشكول للعاملي]

(إنك خير من تفاريق العصا)

* هذا من قول غُنَيَّة الأعرابية لابنها وكان عارماً كثيرَ التلفت إلى الناس مع ضعف أسْرٍ ودقّةِ عظم، فواثب يوماً فتى فقطعَ الفتى أنفَهُ، فأخذت غُنية دِيةَ أنفه، فحَسُنَتْ حالُها بعد فقرٍ مُدْقِعٍ، ثمَّ واثبَ آخر فقطعَ أذنه، فأخذتْ دِيَتَها، فزادت حُسْنَ حال، ثم واثَبَ آخر فقطعَ شَفَتَهُ، فأخذتْ الدِيَةَ، فلما رأتْ ما صار عندها من الإبل والغنم والمتاع، وذلك من كسْبِ جوارح ابنها حَسُنَ رأيُها فيه وذكرته في أرجوزتها، فقالت:

أحْلِفُ بالْمَرْوَةِ حَقّاً والصَّفَا   أنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفارِيقِ العَصَا

[مجمع الأمثال للميداني]

❋ ❋ ❋

(أيّكما الشعبي؟)

* لقي رجلٌ الشعبي، وهو واقفٌ مع امرأةٍ يُكَلِّمُها، فقال الرجل: أيّكما الشعبي؟ فأوْمَأ الشعبي إلى المرأةِ وقال: هذه!

[أخبار الظراف لابن الجوزي]

❋ ❋ ❋

(نكران الجميل)

* قيل: إنَّ المعتمد بن عبّاد ملك إشبيلية تزوّج امرأةً يقال لها: الرُميكيَّة، وقطعا حيناً من الدهر في سرورٍ متوالٍ وغبطةٍ يُحسدان عليها. وحدث أنْ رأتْ النساءَ يوماً يَمْشينَ في الطّين، فاشتهتْ المشي فيه. فأمر المعتمد، فسُحِقتْ الطُيوبُ[1] وذُرَّت في ساحة القصر حتّى عمّته، ثم

---

(١) الطّيوب: جمع الطيب وهو كل ذي رائحة طيبة.

نُصبت الغرابيل[١]، وصُبّ فيها ماء الورد على الطيوب، وعُجنت بالأيدي حتّى صارت كالطِّين، وخاضته[٢] مع جواريها، وكان يوماً مشهوداً. وغاضبها المعتمد في بعض الأيام، فأقسمت أنها لم ترَ منه خيراً قطّ، فقال لها: ولا يوم الطين! فاسْتَحْيتْ واعتذرتْ.

[دولة النساء للبرقوقي]

❋ ❋ ❋

(النساء عند الخوف)

❋ يُحكى من فطنة إياس أنَّه كان في موضع فحدث فيه ما أَوْجَبَ الخوف، وهناك ثلاث نسوةٍ لا يعرفهنّ، فقال: هذه ينبغي أن تكون حاملاً، وهذه مُرْضعاً، وهذه عذراء. فكُشف عن ذلك فكان كما تَفَرَّسَ. فقيل له: ومن أين لكَ هذا؟ فقال: عند الخوف لا يضع الإنسانُ يده إلاّ على أعزّ ما لَهُ ويخافُ عليه، ورأيتُ الحاملَ قد وَضَعَتْ يدَها على جَوْفها، واستدللتُ بذلك على حملها، ورأيتُ المُرْضعَ قد وضعتْ يدَها على ثَدْيها، فعلمتُ أنّها مُرْضِعٌ، والعذراء وضعتْ يدَها على فَرْجها، فقلتُ إِنّها بِكْر.

[وفيات الأعيان لابن خلكان]

❋ ❋ ❋

(الردُّ الحاسم)

❋ مرَّتْ امرأة بقومٍ من بني نَمير فأحدُّوا[٣] النظر إليها، فقال قائل منهم:

---

(١) الغربال: آلة لغربلة الحبوب.

(٢) خاضته: مشت فيه.

(٣) أحدّوا النظر إليها: بالغوا في النظر إليها.

واللّهِ! إنَّها لرَسْحاء[1]، فقالت: يا بني نمير، والله ما امْتَثَلْتُمْ فـيَّ واحدةً من اثنتين، لا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [سورة النور/٣٠]، ولا قول الشاعر[2]:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كعباً بَلَغْتَ ولا كِلابا

[ربيع الأبرار للزمخشري]

❃ خرج أبو حازم سلمة بن دينار يرمي الجمار ومعه قومٌ ناسكون وهو يحدّثهم، فبَيْنا هم كذلك إذ نظروا إلى امرأةٍ من أجمل الناس تتَلَفّتُ يَمْنةً ويَسْرَةً، وقد شغلت الناس وبُهتوا ينظرون إليها. وخاضَ بعضهم في بعض، فقال لها أبو حازم: يا هذِهِ، اتّقي الله فإنّكِ في مَشْعَر من مشاعر الله، وقد فتنتِ الناس، فاْضربي على جَيْبِك بخِمَارِكِ، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فأقبلتْ تضحكُ من كلامه وقالت: يا هذا، إني مِمَّن قال فيهم الشاعر العَرْجي:

مِنَ اللاَّءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ولكنْ لِيَقْتُلْنَ البَرِيءَ المُغَفَّلا

فأقبل أبو حازم على أصحابه وقال: يا هؤلاء، تَعَالَوْا نَدْعُ اللَّهَ أنْ لا يعذّبَ هذه الصورة الحسنة بالنار. فجعل يدعو وأصحابُهُ يُؤمّنون. وبلغ ذلك سعيد بن المسيَّب ـ سيّد التابعين وأحد الفقهاء السبعة رضي الله عنهم ـ فقال: أمَا واللّهِ، لو كان بعض بُغَضاء العراق لقال لها: اُغْرُبي قبَّحكِ الله! ولكنّهُ ظُرْفُ عُبّاد أهلِ الحجاز.

[دولة النساء للبرقوقي]

❃ ❃ ❃

(١) رسحاء: جميلة.

(٢) البيت للشاعر جرير هجا به الشاعر الراعي النميري.

(امرأة واعية وقاضٍ لئيم)

* تقدّمتْ امرأةٌ إلى قاضٍ، فقال لها: جَامَعَكِ شُهودكِ، فسكتتْ. فقال كاتبه: إنَّ القاضي يقول لكِ: جاءَ شهودكِ معكِ؟ قالت: نعم. هلاّ قلتَ مثل ما قال كاتبك، كبُر سنُّكَ، وقلَّ عقلكَ، وعَظُمتْ لحيتك حتّى غطّتْ على لُبِّكَ، ما رأيتُ مَيْتاً يقضي بين الأحياء غيرك!

[المستطرف للأبشيهي]

***

(عبيدة والجمال)

* كان لأحد الشعراء امرأة رَعْناء، دميمة الخلقة، سيئة الأخلاق، طلبتْ منه يوماً أنْ يُشَبِّبَ بها، كما يُشَبِّبَ ببقية النساء، فقال:

تـمَّـتْ عُـبَـيْـدةُ إلاَّ مـن مَـلاحـتـهـا والحُسْنُ منها بحيثُ الشمسُ والقمرُ
ما خالفَ الظبيُ منها حينَ تبصرُها إلا سـوالِـفُـهـا والـجِـيـدُ والـنـظـرُ

فَرضيَتْ بهذهِ الألفاظِ الجميلة، وحَسِبَتْ أنّه مدحها.

[جمع الجواهر للقيرواني]

***

(الأم الحقيقية)

* قيل: إنَّه خرجتْ امرأتان في بعض الأسفار، ومعهما صبيان. فعدا الذئب على صبي إحداهما فأكله. فاختصمتا في الصبي الباقي، وادَّعتْ كل واحدة منهما أنه ابنها. ورفعتا أمرهما إلى القاضي، الذي كان على جانب كبير من الحكمة والتعقل. فقال: ائتوني بالصبي. فلما مثل بين يديهِ اسْتَلَّ سيفاً وقال: أُريد أنْ أشقَّ الصبيَّ نصفين، فيكون لكل واحدة

منكما نصف. فأما المرأة المدعية فرضيت بذلك، وأما الأم الحقيقية فقد ارتعبت، وقالت للقاضي: أرجوك يا سيدي ألاّ تفعل، فإنني قد تنازلتُ لها عن حصتي، فعرف القاضي أنها الأم الحقيقية، وقال لها: خذي الصبي فإنَّهُ ابنك. وحكم على الأُخرى بالجلد.

❋ ❋ ❋

(امرأة تدّعي النبوّة)

❋ ادّعتْ امرأةٌ النبوّة على عهد المأمون، فأُحْضِرتْ إليه، فقال لها: مَنْ أنتِ؟ قالت: أنا فاطمة النبيَّة. فقال لها المأمون: أتؤمنين بما جاء به محمد ﷺ؟ قالت: نعم، كل ما جاء فيه فهو حقّ. فقال المأمون: فقد قال ﷺ: «**لا نبيَّ بعدي**»، قالت: صدق عليه الصلاة والسلام، فهل قال لا نبيَّة بعدي؟ فقال المأمون لمن حضره: أمَّا أنا فقد انْقطعْتُ، فمن كانت عنده حجّة فليأتِ بها، وضحك حتّى غطّى على وجهه.

[نهاية الأرب للنويري]

❋ ❋ ❋

(عيون المها)

❋ خرج رجلٌ على سبيل الفُرْجة فقعدَ على جسر دِجلة. فأَقبلت امرأةً من جانب الرُّصافة متوجّهةً إلى الجانب الغربي. فاستقبلها شابٌّ فقال لها: رحمَ اللّهُ عليّ بن الجَهْم. فقالتْ المرأةُ في الحال: رحمَ اللّهُ أبا العَلاء المعري، وما وقفا، ومرَّت مُشَرِّقةً ومرَّ مُغَرِّباً. فتبعَ الرجلُ المرأةَ وقال لها: إنْ لم تقولي ما قلتما وإلا فضحتكِ وتعلّقتُ بكِ. فقالت: قال الشاب: رحم الله عليّ بن الجهم، أراد به قوله:

عُيونُ المها بين الرُّصافة والجِسْرِ جَلَبْنَ الهَوَى من حيثُ أدرِي ولا أدْري

وأردتُ أنا بِتَرحُمي على المعري قوله:

فيا دارَها بالحَزْنِ إنَّ مزارَها قريبٌ ولكنْ دُونَ ذلكَ أهوالُ(١)

[الأذكياء لابن الجوزي]

❋ ❋ ❋

(تطاول هذا الليل)

❋ قيل: إنّ عبدالملك بن مروان بعث بَعْثاً إلى اليمن فأقاموا سنين حتّى إذا كان ليلة وهو بدمشق قال: والله لأعسُّ الليلة مدينة دمشق ولأسمعنّ الناس ما يقولون في المبعَث الذي أغزيتُ فيه رجالهم وأغرقتُ فيه أموالهم. فبينا هو في بعض أزقّتها إذ هو بصرَ امرأة قائمة تصلي، فسمع إليها. فلمّا انصرفتْ إلى مضجعها قالت: اللهمّ يا غليظ الحُجُب، ويا مُنزّل الكتب، ويا معطي الرُّغب، ويا مُؤْوي الغُرُب، ويا مُسَيِّر البُخْت ـ الإبل ـ أسألك أن تحكم بيني وبين عبدالملك بن مروان الذي فعل بنا هذا، فقد صَيَّرَ الرجل نازحاً والمرأة متقلّبة على فراشها، ثمّ أنشأت تقول:

تَطَاوَلَ هذا الليلُ فالعينُ تدمعُ وأرَّقَني حُزني فقلبي مُوجَعُ
فَبِتُّ أُقاسي الليلَ أرْعَى نجومَهُ وباتَ فؤادي عانياً يتقرَّعُ
إذا غابَ منها كوكبٌ في مَغِيبِهِ لَمَحْتُ بعيني آخراً حين يطلعُ
إذا ما تذكَّرْتُ الذي كان بيننا وجدتُ فؤادي للهوى يتقطَّعُ
وكلُّ حبيبٍ ذاكرٌ لحبيبهِ يُرَجّي لِقاهُ كلَّ يومٍ ويطمعُ
فَذَا العَرْشِ فَرِّجْ ما ترى من صبابتي فأنتَ الذي تَرْعَى أُموري وتَسْمَعُ

[أعلام النساء لعمر كحّالة]

❋ ❋ ❋

(١) الحَزْن: اسم مكان.

(أَسَدَة من بني أَسَد)

* قال مَعبد بن خالد الجَدلي: خطبتُ امرأةً من بني أسد في زمن زياد بن أبي سفيان، وكان النساء يجلسن لخطّابهنَّ، فجئتُ لأنظر إليها، وكان بيني وبينها رُواق، فدَعَتْ بجفنةٍ[١] عظيمة من الثريد[٢] مكلّلةٍ باللحم، فأتت على آخرها وألقتْ العظام نقيّة، ثم دعتْ بِشَنٍّ[٣] عظيم مملوءٍ لبناً، فَشَرِبَتْهُ حتى أكفأَتْهُ على وجهها، وقالت: يا جارية، ارفعيَ السّجْفَ[٤]، فإذا هي جالسةٌ على جلد أسد، وإذا هي امرأة شابة جميلة، فقالت: يا عبدالله، أنا أَسَدَة من بني أسد، وعليّ جلد أسد، وهذا طعامي وشرابي، فعلامَ ترى؟ فإنْ أحببتَ أنْ تتقدّمَ فتقدّمْ، وإنْ أحببتَ أن تتأخّر فتأخّر. فقلتُ: أستخيرُ الله في أمري وأنْظُر. قال: فخرجتُ ولم أَعُدْ.

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

* * *

(وصيّة عجيبة)

* ومما قيل في وصايا الزواج، أنّ رجلاً قال لابنه يُوصيه: يا بُنَيَّ، إيَّاكَ والرَّقوبُ[٥]، الغَضُوبُ[٦]، القَطُوبُ[٧]، الغَلْباءُ الرَّقْبَاءُ[٨]، اللَّفُوتُ[٩]،

(١) جفنة: القصعة التي يوضع فيها الطعام.
(٢) الثريد: الخبز يفتُّ بالمرق.
(٣) الشن: القربة الصغيرة.
(٤) السجف: الستر.
(٥) الرقوب: التي تراقبه أن يموت فترثه.
(٦) الغضوب: التي تغضب لأتفه الأشياء.
(٧) القطوب: الدائمة العبوس.
(٨) الغلباء الرقباء: الغليظة الرقبة.
(٩) اللفوت: التي عينها لا تثبت في موضعٍ واحدٍ.

الشَّوْسَاءُ(١)، المنَّانةُ(٢)، الأنَّانةُ(٣)، الحنّانةُ(٤).

واعلمْ أنَّ مِنَ النِّساء جماعاً يجمع، وربيعاً تَرْبَع، وخروجاً تَطْلُع، تُوهي الخَرْقَ(٥) ولا تَرْقَعُ.

[مجالس ثعلب]

❋ ❋ ❋

(أظنُّها مظلومة)

❋ خاصَمَتْ امرأةٌ زوجها إلى الشعبي القاضي فبكتْ، فقال الشعبي: أَظنُّها مظلومة. فقال زوجُها: إنَّ إخوة يوسف جاؤوا أباهم عِشاءً يبكون، وكانوا ظالمين.

[ربيع الأبرار للزمخشري]

❋ ❋ ❋

(أعمار النساء)

❋ اجتمع خالد بن صفوان وأناسٌ من تميم في جامع البصرة وتذاكروا النساء، فجلس إليهم أعرابي من بني العَنْبَر، فقال العنبري: قد قلتُ شعراً فاسمعوا:

إنِّي لَمُهْدٍ للنِّساء هَدِيَّةً ... سَيَرضَى بها غُيَّابُها وشُهُودُها
إذا ما لَقِيتُمْ بِنْتَ عَشْرٍ فإنّها ... قليلٌ إذا تَلْقَى الحَزَوَّرَ جُودُهَا(٦)

(١) الشوساء: المتكبرة.
(٢) المنّانة: التي تمنّ على زوجها بمالها.
(٣) الأنّانة: الكثيرة الأنين.
(٤) الحنّانة: التي تحنُّ إلى زوجها السابق.
(٥) توهي الخرق: تزيد الخرق اتساعاً.
(٦) الحزوّر: الغلام إذا اشتدَّ وقوي.

يَمُدُّ إليها بالنَّوالِ فَتَأْتَلِي ... وَتَلْطِمُ خَدَّيْها إذا يَسْتَزِيدُها[١]
ولكن بنفسي ذاتُ عشرينَ حِجَّةً ... فتلكَ التي أَلْهُو بها وأُريدُها
وذاتُ الثلاثينَ التي ليس فوقَها ... هي النَّعْتُ لم تَكْبَرْ ولم يَعْسُ عُودُها[٢]
وصاحبُ ذاتِ الأربعينَ بِغِبْطَةٍ ... وخَيْرُ النِّساءِ سَرْوها وخُرودُها[٣]
وَصاحبةُ الخَمْسِينَ فيها منافعُ ... ونِعْمَ المَتَاعُ لِلْمُفيدِ يُفيدُها
وَصَاحبةُ السِّتينَ تَغْدو قَويَّةً ... على المالِ والإسلامِ صُلْبٌ عَمُودُها
وإمَّا لَقيتُمْ ذاتَ سبعينَ حِجَّةً ... هَدِيّاً فَقُلْ ها خَيْبَةً يَسْتَفيدُها
وذاتُ الثمانينَ التي قد تَسَعْسَعَتْ ... من الكِبَرِ العاسِي وناسَ وَرِيدُها[٤]
وصاحبةُ التسعينَ فيها أذىً لهم ... فَتَحْسَبُ أنَّ الناسَ طُرّاً عَبِيدُها[٥]
وإنْ مِائةً أوْفَتْ لأُخْرَى فَجِئْتَها ... تجدْ بَيتَها رَثاً قصيراً عَمُودُها[٦]

فقال خالد: لله دَرّك! لقد أتيتَ على ما في نفوسنا.

[ذيل الأمالي للقالي]

❋ ❋ ❋

(أبو الغُصْن وجارية)

❋ قال أبو الغُصن الأعرابي: خرجتُ حاجّاً، فلمّا مررتُ بقُباء تداعَى[٧] أهله وقالوا: الصقيل الصقيل[٨]. فنظرتُ فإذا جارية ـ فتاة ـ كأنّ وجهها

(١) تأتلي: تقصّر.
(٢) هي النعت: هي الوصف المطلوب.
(٣) السرو: المروءة والفضل. الخرود: الحياء.
(٤) تسعسعت: ظهرت علامات الكبر عليها. ناس وريدها: جفّ وريدها.
(٥) طُرّاً: جميعاً.
(٦) الرثّ: السقط من متاع البيت.
(٧) تداعى أهله: أي دعا بعضهم بعضاً كي يجتمعوا.
(٨) الصقيل: المجلو والمراد السيف وهم يشبهون الجميل بالسيف المجلو.

سيفٌ صقيل، فلمّا رميناها بالحِدَقِ[١] ألقتْ البُرْقُع على وجهِها فكأنّما غمامةٌ غطَّت شَمساً. فقلنا: إنّا سَفْرٌ وفينا[٢] أجر، فأمتعينا بوجهكِ، فانْصَاعَتْ[٣] وأنا أعرفُ الضحكَ في وجهها وهي تقول:

وكُنْتَ مَتَى أرْسَلْتَ طَرْفَكَ رائِداً ... لِقلبكَ يوماً أتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ
رأيْتَ الذي لا كُلُّهُ أنتَ قادِرٌ ... عليه ولا عن بعضِهِ أنتَ صَابِرُ[٤]

[دولة النساء للبرقوقي]

❋ ❋ ❋

(عتاب)

❋ كان ابن الدُّمَيْنة قد هوِيَ امرأةً من قومه يُقال لها: أُمَيْمة، فهام بها مدَّةً. فلمّا وَصَلَتْهُ[٥] تجنّى عليها، وجعل ينقطع عنها. ثمّ زارها ذات يومٍ فتعاتبا طويلاً. فقال لها:

وأنتِ التي كَلَّفتِنِي دَلَجَ السُّرَى ... وجُونُ القَطا بالجَهْلَتَيْنِ جُثُومُ[٦]
وأنتِ التي أوْرَثْتِ قلبي حرارةً ... ومَزَّقْتِ قَرْحَ القلبِ وهو كَليمُ[٧]
وأنتِ التي أسْخَطْتِ قَوْمي فَكُلُّهم ... بعيدُ الرِّضا دَاني الصُّدودِ كظيمُ[٨]

فقالت أُمَيْمة:

---

(١) رميناها بالحدق: أي نظرنا إليها بإمعان.
(٢) سَفْر: مسافرون.
(٣) انصاعت: رضخت ورضيت.
(٤) البيتان من أبيات حماسة أبي تمّام.
(٥) وصلته: حققت له ما أراد.
(٦) السرى: السفر ليلاً. الجون: مفردها جَوْن وهو الأسود. القطا: طائر يضرب به المثل بالاهتداء. الجهلتين: ناحية الوادي. جثوم: جاثمة في أوكارها.
(٧) القرح: الجرح القديم. كليم: مجروح.
(٨) الكظيم: من امتلأ قلبه غيظاً.

وأنتَ الذي أخْلَفْتَني ما وَعَدْتَني وأَشْمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يلُومُ
وأبْرَزْتني للنّاس ثمّ تركتني لهم غَرضاً أُدْمَى وأنتَ سليمُ
فلو أنَّ قَوْلاً يَكْلِمُ الجِسْمَ قَدْ بَدا بِجِلْدي من قَوْلِ الوُشاةِ كُلومُ

ثم تزوّجها بَعْدَ ذلك وقتل وهي عنده.

[كتاب الحيوان للجاحظ]

❋ ❋ ❋

(ليلى والمجنون)

* قال الأصمعي: إنَّ رَهْطَ قيس قالوا لأبيه: لو خَرجتَ به إلى الحجّ فتدعو الله لعلّهُ ينساها. فخرج به، فبينما هو يرمي الجِمار(١) نادى منادٍ من بعض تلك الخيام: يا لَيْلى. فخرَّ قيس مَغْشِيّاً عليه(٢)، ثمّ أفاق وأنشأ يقول:

وَداعٍ دَعا إذْ نَحنُ بالخَيْفِ مِنْ مِنًى فَهَيَّجَ أحْزانَ الفُؤادِ وما يَدْري(٣)
دَعاً باسمِ لَيْلى غيْرَها فَكَأنَّما أَطارَ بقلبي طائراً كان في صَدْري
إذا ذُكِرَتْ يَرْتاحُ قَلْبي لِذِكْرِها كَما انْتَفَضَ العُصْفُورُ من بَلَلِ القَطْرِ

[عقلاء المجانين لابن حبيب]

❋ ❋ ❋

(الهوى القاتل)

* حكى الأصمعي قال: بينما أنا أسير بالبادية إذ مررتُ بحجرٍ مكتوبٍ

(١) الجمار: الحصيّات التي يُرْمى بها في منى وهو من مناسك الحج.
(٢) أي فاقداً وَعْيَهُ.
(٣) الخيف: موضع في مِنى.

عليه:

أيا مَعْشَرَ العُشّاقِ باللهِ خَبِّروا إذا حَلَّ عِشْقٌ بالفتى كيف يَصْنَعُ؟

فكتبتُ تحته:

يُداري هَواهُ ثُمَّ يَكْتُمُ أَمْرَهُ ويَخْشَعُ في كُلِّ الأُمورِ ويَخْضَعُ

ثمّ عدتُ في اليوم التالي فوجدتُ مكتوباً تحته:

فكيفَ يُداري والهوى قاتِلُ الفتى وفي كلّ يومٍ رُوحُهُ تَتَقَطَّعُ

فكتبتُ تحته:

إذا لم يجدْ صَبْراً بكتمانِ سِرِّهِ فليسَ لهُ شيءٌ سِوَى الموتِ أَنْفَعُ

فعدتُ في اليوم الثالث فوجدتُ شابّاً مُلقًى تحتَ ذلك الحجر مَيْتاً رحمه الله، فقلتُ: لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم وقد كتب قبل موته:

سمعنا أطعنا ثمّ مِتْنا فبلغوا سلامي على مَنْ كانَ للوصلِ يَمْنَعُ

[المستطرف للأبشيهي]

❋ ❋ ❋

(خطوط العاشقين)

❋ قال الناشىء:

كتبتُ إليكم أشْتَكِي حُرْقَةَ الهَوَى بخطٍّ ضعيفٍ والخُطُوطُ فُنونُ
فقالَ خليلي ما لخَطّكَ هكذا دقيقاً ضئيلاً ما يكادُ يبينُ
فقلتُ حَكاني في نحولٍ ودِقّةٍ كَذاكَ خُطُوطُ العاشقين تكونُ

[محاضرات الأدباء للأصبهاني]

❋ ❋ ❋

(صفة الهوى)

* سُئلتْ أعرابية عن صفة الهوى فقالت:

الحُبُّ أوّلهُ مَيْلٌ تَهِيمُ بِهِ ... نَفْسُ المُحِبِّ فَيَلْقَى المَوْتَ كاللَّعِبِ
يَكُونُ مَبْدؤهُ مِنْ نَظْرَةٍ عَرَضَتْ ... أوْ مَزْحةٍ أَشْعَلَتْ في القلبِ كاللَّهبِ
كالنار مَبْدَؤها مِن قَدْحةٍ فإذا ... تَضَرَّمتْ أحْرَقَتْ مُسْتَجْمَعَ الحَطَبِ[1]

[أخبار النساء لابن الجوزي]

* * *

(عزَّة وبثينة عند عبدالملك)

* دخلت بُثينة وعزَّة على عبدالملك بن مروان، فانحرف إلى عزَّة وقال: أنتِ عَزَّة كُثَيِّر؟ قالت: لستُ لكُثَيِّر بعزّة، لكنني أُم بكر الضَّمْرية. قال: أتروين قول كُثَيِّر:

وقد زَعَمَتْ أنِّي تغيّرتُ بعدها ... ومَن ذا الذي يا عَزُّ لا يتغيّرُ
تَغيّرَ جسمي والخليقةُ كالتي ... عَهِدْتِ ولم يُخْبِرْ بِسِرِّكِ مُخْبِرُ

قالت: لستُ أروي هذا! ولكني أروي قوله:

كأنّي أُنادي الصُّمَّ أو أُكَلِّمُ صَخرةً ... مِنَ الصُّمِّ لو تمشي بها العُصْمُ زَلَّتِ[2]
صَفوحاً فما تلقاكَ إلا بخيلةً ... فمَنْ مَلَّ منها ذلك الوَصْلُ مَلَّتِ

ثمَّ انحرفَ إلى بُثينة فقال: أنتِ بُثينة جميلٍ؟ فقالت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: ما الذي رأى فيكِ جميل حتّى لهَجَ بذكرك من بين

---

(١) تضرَّمت: اشتعلتْ.

(٢) الصمّ: الصخور الصمّاء الصلبة. العصم: جمع أعصم، وهو الغزال في يده بياض وسواد.

نساء العالمين؟ قالت: الذي رأى الناس فيك فجعلوكَ خليفتهم. قال: فضحك عبدالملك، وسَرَّهُ جوابُها وفضّلها على عزَّة في الجائزة. ثمّ أمرهما أنْ يدخلا على عاتكة ـ زوجة عبدالملك ـ فدخلتا عليها، فقالت لعزّة: أخبريني عن قول كُثَيِّر:

قَضى كلُّ ذي دَيْنٍ فَوَفّى غريمَهُ وعزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غريمُها[1]

ما كان دَيْنُهُ؟ وما كنتِ وعدتِهِ؟ قالت: كنتُ وعدتُهُ قُبْلَةً ثمَّ تأَثَّمْتُ منها.

قالت عاتكة: وَدِدْتُ أنّكِ فعلتِ، وأنا كنتُ تحمَّلْتُ إثمها عنكِ.

ثمَّ ندمتْ عاتكة واستغفرتِ الله تعالى، وأعتقتْ عن هذه الكلمة أربعين رقبة.

[ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي]

❊ ❊ ❊

(الله هو الحكم)

* تحدَّثَ ابن الجوزي عن رجلٍ اسمه يزيد كان قبيح الصورة. فلمّا حَمَلَتْ امرأتُهُ قالت له: الويلُ لَكَ إنْ كان ولدي يُشبِهُكَ. فأجابها: بل الويلُ لكِ أنتِ إنْ جاءَ يُشْبِهُ أحداً غيري!

❊ ❊ ❊

(حُكم سليمان عليه السلام)

* اخْتصمتْ امرأتان في طفلٍ وليد، وذهبتا إلى سليمان الحكيم، فقال

(١) وفّى غريمه: أدّى ما عليه لدائنه. ممطول: من المطل، وهو الخداع وعدم الوصل. مُعَنّى: مُتعب.

لهما: ما دامت كل منكم تدّعيه لنفسها فإنّي سآمر بِشَطْرِهِ شَطْرَيْن، فتأخذ كلٌّ منكما نصفه، وأمر بالسيفَ. فصَاحَتْ إحداهما فزعاً: كلاّ، دعْه حيّاً ولتأخُذْهُ هي، وسَكَتَتْ الأخرى. فقال سليمان: لا، بل تأخذيهِ أنتِ لجزعكِ عليه وسكوتها.

[من كلّ وادٍ حجر للعمري]

❋ ❋ ❋

(بكل تداوينا)

❋ قالت أعرابية: مسكينٌ العاشق، كل شيءٍ عدوّه: هبوبُ الرياح يُقْلقه، ولمعانُ البرق يُؤَرّقه، ورسوم الدار تحرقه[(١)]، والعذل يؤلمه[(٢)]، والتذكر يُسْقمه، والبْعد ينحله[(٣)]، والقرب يهيجه، والليل يضاعف بلاه، والرُّقادُ يهرب منه، ولقد تداويتُ بالقرب والبعد فلم ينجح فيه دواء، ولا عزّى فيه عزاء، ولقد أحسن الذي يقول:

وقد زعموا أنَّ المحبَّ إذا دَنا يَمَلُّ وأنَّ النأْيَ يَشْفي من الوَجْدِ[(٤)]
بكلٍّ تداوينا فلم يَشْفِ ما بنا على أنَّ قربَ الدار خيرٌ من البُعْدِ

[ذم الهوى لابن الجوزي]

❋ ❋ ❋

(الحمو هو الموت)

❋ قالوا: كان أخوان من ثقيف من بني كِنَّة يتحابّان، لم يُرَ قطّ أحسن أُلفةً منهما. فخرج الأكبر إلى سفر فأوصى الأصغر بامرأته، فوقعت عينه

(١) أي بقايا دار الحبيب تبعث الحرقة في نفسه.
(٢) العذل: اللوم.
(٣) ينحله: يضعفه.
(٤) النأي: البعد. الوجد: الشوق الشديد.

عليها يوماً غير معتمد لذلك، فهَوِيَها وضَنِيَ[١]. وقدم أخوه فجاءَهُ بالأطباء، فلم يعرفوا ما به، إلى أن جاءه بالحرث بن كلدة فقال: أرى عينين مُحتجبتين وما أدري ما هذا الوجع وسأجرّب، فاسقوه نبيذاً. فلمّا عمل النبيذ به[٢] قال:

ألا رِفْقاً ألا رِفْقاً ... قليلاً ما أكونَنَّهْ
ألِمَّا بي إلى الأبيا ... تِ بالخيفِ أَزُرْهُنَّهْ[٣]
غزالاً ما رأيتُ اليو ... مَ في دُورِ بَني كِنَّهْ
أسيلُ الخدّ مَرْبوبٌ ... وفي مَنْطِقِهِ غُنَّهْ[٤]

فقالوا له: أنت أطبُّ العرب.

ثم قال: ردّدوا النبيذ عليه. فلمّا عمل فيه قال:

أيّها الجِيرةُ أسْلموا ... وقِفُوا كي تكلّموا
وتُقَضُّوا لُبانةً ... وتُحبّوا وتَنْعَموا[٥]
خَرَجَتْ مُزْنَةٌ من الـ ... بَحْرِ ريّا تُحَمْحِمُ[٦]
هي ما كنّتي وتَزْ ... عُمُ أنّي لها حَمُ[٧]

قيل: فطلّقها أخوه، ثم قال: تزوّج بها يا أخي. فقال: والله، لا تزوّجتها. فمات وما تزوّجها.

[طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة]

❊ ❊ ❊

(١) ضني: هزل وضعف.
(٢) عمل النبيذ به: أثر في عقله ووعيه.
(٣) ألمَّ: أتى. الخيف: اسم مكان.
(٤) أسيل الخد: أملس. مربوب: مملوك. الغنّة: الصوت الرخيم.
(٥) لُبانة: حاجة.
(٦) مزنة: سحابة. ريّا: مشبعة بالماء. تحمحم: تردد الصوت.
(٧) الكنة: امرأة الابن. الحمو: أبو زوج المرأة.

(سكينة بنت الحسين ناقدة)

* حُكي أنه اجتمع رواةُ جرير وكُثَيِّر وجميل ونُصيب والأحوص، فافتخر كلٌ منهم بصاحبه، وقال: صاحبي أشعر! ثم تراهنوا بسُكَيْنةَ بنت الحسين لما يعرفون من عقلها ونفاذتها في الشعر. فخرجوا حتى اسْتأذنوا عليها وذكروا لها ما كان من أمرهم. فقالت لراوية جرير: أليس صاحبك الذي يقول:

طَرَقَتْكَ صائِدةُ القلوبِ وليس ذا وقتَ الزيارةِ فأرجعي بسلامِ

وأيّ ساعةٍ أحلى للزيارة من الطروق؟ قبّح الله صاحبك وقبّح شعره. أفلا أخذ بيدها ورحّب بها وقال: فأدخلي بسلام، فهو رجل عفيف.

ثمّ قالت لصاحب كُثيّر: أليس صاحبك الذي يقول:

يقرُّ بعيني ما يقرُّ بعينها وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

وليس شيءٌ أقرَّ لعينها من النكاح، أفيحبُّ أنْ يُنْكَحَ؟ قَبَّحَهُ الله وقبّح شعره!

ثمّ قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فَلَوْ تَرَكَتْ عقلي معي ما طَلَبْتُها ولكن طِلابِيها لِما فاتَ مِنْ عَقْلي

فما أرى صاحبك هَوِي وإنّما طلب عقله، قَبَّحَهُ الله وقبّحَ شعره!

ثم قالت لراوية نصيب: أليس صاحبك الذي يقول:

أهيمُ بِدَعْدٍ ما حَيَيْتُ وإنْ أمُتْ فَوَا حَزَني مَنْ ذا يَهيمُ بها بَعْدِي

فما له هِمَّة إلاّ مَنْ يَتَعَشَّقُها بعده! قبّحَهُ الله وقَبّحَ شعره! ألا قال:

أهيمُ بِدَعْدٍ ما حَيَيْتُ وإنْ أمُتْ فلا صَلَحَتْ دَعْدُ لِذي خَلّةٍ بَعْدِي

ثمّ قالت لراوية الأحوص: أليس صاحبك الذي يقول:

مِن عاشِقَيْنِ تَوَاعَدَا وتَرَاسَلا لَيلاً إذا نَجْمُ الثُريَّا حَلَّقا
باتا بأَنْعَمِ لَيْلَةٍ وَأَلَذِّها حتى إذا وَضَحَ الصباحُ تَفرّقا

قَبَّحَهُ اللَّهُ وقَبَّحَ شعره! ألا قال: تعانقا؟

فلم تُثنِ على واحدٍ منهم ولم تقدّمهم.

[أعلام النساء لعمر كحّالة]

❋ ❋ ❋

(غائبتي كشاهدتي)

❋ قال أحدُ العاشقين:

اللَّهُ يعلمُ أنني كَمِدُ لا أستطيعُ أَبُثُّ ما أَجِدُ
رُوحان لي: روحٌ تَضَمَّنها بلدٌ وأخرى حازها بَلَدُ
وأرى المُقيمةَ ليسَ ينفعُها صبرٌ ولا يقوى بها جَلَدُ
وأَظنُّ غائبتي كشاهدتي بمكانها تَجِدُ الذي أجِدُ

قال المبرد: إنّ هذا لطريفٌ والله!

[مصارع العشّاق للسرّاج]

بلاغة النساء



بلاغة النساء

۞ قال تعالى: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا...﴾.

[سورة القصص/٣٤]

۞ وقال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾.

[سورة الرحمن/٣، ٤]

۞ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من البيان سِحراً، وإنَّ من الشِّعر حِكَماً**».

[صحيح الجامع الصغير/٢٢١٥]

۞ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من البيان لَسِحْراً**».

[صحيح الجامع الصغير/٢٢١٦]

* * *

۞ (أعرابية)

۞ قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: وقفتْ علينا أعرابية فقالت: يا قوم، تعثر بنا الدهر، إذ قلَّ منا الشكر، وفارقنا الغنَى، وحالفنا الفقر، فرحمَ الله امرءاً فَهِمَ بعقل، وأعطَى من فضل، وواسَى من كفاف، وأعانَ على عفاف.

(فاطمة بنت عبدالملك)

فاطمة بنت عبدالملك زوج الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز تعاتبُهُ بهذه الأبيات الجميلة لما اشتغل عنها بالعبادة:

ألا أيـهـا الـمـلـك الـذي قـد سَـبَـى عـقـلـي وهـامَ بـه فـؤادي
أراكَ وسِـعْـتَ كـلَّ الـنـاس عَـدْلاً وجُـرْتَ عـلـيَّ مـن بـيـن الـعـبـاد
وأعْـطَـيْـتَ الـرعـيَّـةَ كـلَّ فـضـلٍ ومـا أعـطـيـتـنـي غـيـرَ الـسُّـهـاد

❊ ❊ ❊

(وصف أم معبد لرسول الله ﷺ)

وَصَفَتْ أُمُّ معبد لزوجها رسولَ الله ﷺ، فقالت: رأيتُ رجلاً ظاهر الوضَاءَة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبْهُ ثجلةٌ، ولم تزر بهِ صقلة، وسيماً قسيماً[1]، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف[2]، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة[3]، أحور أكحل أزج أقرن[4]، إن صمت فعليه الوقار، وإنْ تكلم سما وعلاه البهاء[5]، فهو أجمل الناس وأبهاهُ من بعيد، وأحلاه، وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل لا نذر ولا هذر[6]، كأن منطقه خرزات نظمٍ يتحدَّرْنَ، ربعة ولا تنشؤه من طول، ولا تقتحمه

(١) الوضاءة: رونق الحسن، وابلج الوجه: أي مشرق الوجه، والثجلة: عظم البطن واسترخاؤه، والصقلة: خفة اللحم، والوسامة والقسامة: أي الحُسْن.
(٢) الدعج: سواد العين مع سعتها، والأشفار: أصول منبت الشعر في الجفن، والوطف: كثرة شعر العين.
(٣) الصحل: خشونة الصوت، وسطع العنق: طوله، وكثاثة اللحية: كثرة شعرها.
(٤) أحور: شدة سواد العين في شدة بياضها، أزج: وهو دقة الحواجب في طول، أقرن: لعله الغزير الشعر.
(٥) البهاء: الحُسْن.
(٦) الفصل: الحق من القول، لا نذر ولا هذر: أي لا قليل الكلام ولا كثيره.

العين من قصر[(١)]، غُصْنٌ بين غُصْنين، فهو أنضَرُ الثلاثة منظراً، وأحْسَنهم قدّاً، له رفقاء يحفُّون به[(٢)]، إنْ قال أنصتوا لقوله، وإنْ أمَرَ تبادروا إلى أمْرِهِ، محفود محشود، لا عابس ولا مفند[(٣)]، ﷺ.

❊ ❊ ❊

(أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها)

عن موسى بن طلحة رضي الله عنه، قال: ما رأيت أحداً أفصحَ من عائشة.

[حديث حسن صحيح رواه الترمذي في سننه/٣٨٨٤]

وعن أبي موسى قال: ما أشكل علينا أصحابَ رسول الله ﷺ حديث قطُّ فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً.

[حديث صحيح رواه الترمذي في سننه/٣٨٨٣]

وروى محمد بن سيرين عن الأحْنف بن قيس قال: سمعتُ خطبة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والخلفاء كلهم هلُمَّ جراً إلى يومي هذا؛ فما سمعتُ الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من عائشة، رضي الله عنهم.

[أخرجه الحاكم في مستدركه]

وروى الحافظ الذهبي عن القاسم بن محمد قال: دخل معاوية بن أبي سفيان على عائشة رضي الله عنها، فكلمها، قال: فلما قام معاوية،

---

(١) ربعة: أي متوسط في جسمه وقامته، لا تشنؤه: لا تستقبحه، ولا تقتحمه: أي لا تحتقره.
(٢) أنضر: أَحْسَن، يحفون به: يلتفون حوله.
(٣) تبادروا: أسرعوا، محفود: مخدوم، محشود: أي في حشد، لا عابس ولا مفند: أي بشوش الوجه لا يُسِيء محدثه.

اتَّكأ على يد مولاها ذكوان، فقال: والله ما سمعتُ قطّ أبلغ من عائشة، رضي الله عنها.

۞ لما قُبِضَ أبو بكر رضي الله عنه، ودُفِنَ قامتْ عائِشة رضي الله عنها على قبره فقالت: نضَّرَ اللَّهُ يا أبتِ وجْهَكَ، وشكر لك صالح سعيك، فلقد كنتَ للدنيا مُذِلاً بإدبارك عنها، وللآخرة معزّاً بإقبالك عليها، ولئن كان أعظمِ المصائب بعد رسول الله ﷺ رزؤك[١]، وأكبر الأحداث بعده فقدك، فإنَّ كتابَ الله عزَّ وجل ليعدنا بالصبر عنك حُسْنَ العوض منك، وأنا متنجزة من الله موعده فيك بالصبر عليك، ومستعينته كثرة الاستغفار لك، فسلام الله عليك غير قاليةٍ لحياتك ولا زارية على القضاء فيك[٢].

۞ رُوي أَنَّ أُمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تقول: مكارمُ الأخلاق عشر تكون في العبد دون سيده، وفي الخامل دون المذكور، وفي المسود دون السيد: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والصدق، والصبر في البأس، والتَّذمّم للصاحب، والتَّذمّم للجار، والإعطاء في النائبة، وإطعام المسكين، والرِّفق بالمملوك، وبِرّ الوالدين.

۞ وكانت رضي الله عنها تقول: لله دَرُّ التقوى، ما تركتْ لذي غيظ شفاء.

۞ وكانت تقول: لا تطلبوا ما عند الله من غير الله بما يُسْخِطِ الله.

۞ وقد رأت عائشة رضي الله عنها رجلاً متماوتاً فقالت: ما هذا؟ فقالوا: زاهداً، قالت: قد كان عمر بن الخطاب رحمه الله زاهداً، وكان إذا قال أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب في ذات الله أوجع.

۞ وقالت رضي الله عنها: قُبِضَ رسولُ الله ﷺ، فلو نزل بالجبال الرَّاسيات ما نزل بأبي لهاضها[٣]، اشرأَبَّ النفاقُ بالمدينة[٤]، وارْتَدَّت

---

(١) الرزؤ: المصيبة.

(٢) أي غير مبغضة ولا عائبة.

(٣) هاضها: كسرها.

(٤) اشرأب النفاق: أي تطاول بعنقه.

العرب، فوالله ما اختلف المسلمون في لفظةٍ إلا طار أبي بحظها وغنائها في الإسلام، ومن رأى ابن الخطاب رضي الله عنه عَلِمَ أنه خُلِقَ غناءً للإسلام، كان والله أحوذياً نسيج وحده قد أعدَّ للأمور أقرانها[١].

❊ ❊ ❊

(أم سلمة رضي الله عنها)

قالت أُم سلمة لعائشة رضي الله عنهما لمَّا هَمَّتْ بالخروج إلى الجمل[٢]: يا عائشة! إنك سدة[٣] بين رسول الله ﷺ وبين أُمته، حجابك مضروب على حرمته، وقد جمع القرآن ذيلكِ فلا تندحيه[٤]، وسكن الله من عقيراك فلا تصحريها[٥]، الله من وراء هذه الأُمة قد علم رسول الله ﷺ مكانكِ، لو أراد أن يعهدَ فيكِ عهد، بل قد نهاكِ عن الفرطة في البلاد، ما كنتِ قائلة: لو أنَّ رسول الله ﷺ عارضك[٦] بأطراف الفلوات[٧] ناصة قعوداً من منهل إلى منهل[٨]، إنَّ بعين الله مثواكِ وعلى رسول الله ﷺ تعرضين، ولو أُمرتُ بدخول الفردوس لاسْتحييتُ أنْ ألقَى محمداً ﷺ هاتكةً حجاباً جعله الله عليّ، فاجعليه وقاية ستركِ، وقاعة البيت قبرك حتى تلقيه وهو عنكِ راضٍ.

❊ ❊ ❊

(١) الأحوذي: الحسن السياق للأمور. نسيج وحده: أي لا نظير له.
(٢) لتركبه ذاهبة من المدينة إلى البصرة تطالب بدم عثمان رضي الله عنه.
(٣) سدة: أي باب.
(٤) أي فلا توسعيه وتنشريه.
(٥) أي سكنك بيتك وسترك فيه، ولا تصحريها: أي لا تبرزيها إلى الصحراء.
(٦) عارضك: استقبلك.
(٧) الفلوات: الصحاري الواسعة.
(٨) ناصة قعوداً من منهل إلى منهل: نصّ ناقته: استخرج أقصى ما عندها من السير، والمنهل: موضع الشرب.

(حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما)

روي أنَّ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، خطبتْ بعد مقتل أبيها: الحمد لله الذي لا نظير له، والفرد الذي لا شريك له. وأما بعد؛ فكل العجب من قوم زيَّنَ الشيطانُ أفعالهم، وأرعوى إلى صنيعهم، وربَّ في الفتنة لهم[١]، ونصب حبائله لختلهم[٢]، حتى همَّ عدو الله بإحياء البدعة، ونبش الفتنة، وتجديد الجور بعد دروسه، وإظهاره بعد دثوره[٣]، وإراقة الدِّماء، وإباحة الحِمَى[٤]، وانتهاك محارم الله عزَّ وجلَّ بعد تحصينها، فأضرى وهاج وتوغر وثار[٥] غضباً لله ونُصرة لدين الله، فأخسأ الشيطان ووقمَ كيده، وكفف إرادته، وقدع محنته، وأصعر خده[٦]، لسبقه إلى مشايعة أولىٰ الناس بخلافة رسول الله ﷺ، الماضي على سنتهِ، المقتدي بدينهِ، المقتص لأثره، فلم يزل سراجه زاهراً، وضوءه لامعاً، ونوره ساطعاً، له من الأفعال الغرر، ومن الآراء المصاص[٧]، ومن التقدم في طاعة الله اللباب، إلى أن قبضه الله إليه قالياً لما خرج منه شانياً[٨] لما ترك من أمره، شيقاً لمن كان فيه صبّاً إلى ما صار إليه، وائلاً[٩] إلى ما دُعِيَ إليه، عاشقاً لما هو فيه، فلما صار إلى التي وصفت، وعاين لما ذكرت، أومأ بها إلى أخيه في المعدلة، ونظيره في السِّيرة، وشقيقهِ في الدِّيانة، ولو كان غير الله أراد، لأمالها إلى ابنه، ولصيَّرها في عقبه[١٠]، ولم يخرجها من

---

(١) وربَّ: أي زاد.
(٢) الختل: الخداع.
(٣) دثوره: انمحائه.
(٤) الحمىٰ: ما حمى وحفظ من الشيء.
(٥) أضرى: أسرع، وتوغر: توقد غيظاً.
(٦) أخسأه: طرده، وقمه: ردَّه، قدعه: كَفَّهُ، أصْعَر خده: أذهب كبره.
(٧) المصاص: الخالص.
(٨) قالياً وشانياً: هاجراً ومبغضاً.
(٩) وائلاً: مبادراً.
(١٠) عقبه: أولاده.

ذريته، فأَخذها بحقّها، وقام فيها بقسطها، لم يوده ثقلها[١]، ولم يبهظه حفظها[٢]، مشرداً للكُفر عن موطنه، ونافراً له عن وكره، ومثيراً له من مجثمه[٣]، حتى فتح الله عزَّ وجل على يَدَيْه أقطار البلاد، ونصر الله بقدمه، وملائكته تكنفه[٤]، وهو بالله معتصم، وعليه متوكل، حتى تأكدت عرى الحق عليكم عقداً، واضمحلت عرى الباطل عنكم حلاً، نوره في الدجنات[٥] ساطع، وضوءَه في الظلمات لامع، قالياً للدنيا إذ عرفها، لافظاً لها إذ عجمها، وشانياً لها إذ سبرها[٦]، تخطبه ويقلاها، وتريده ويأباها، لا تطلب سواه بعلاً، ولا تبغي سواه نحلا[٧]، أخبرها أن التي يخطب أرغد منها عيشاً، وأنضر منها حبوراً، وأدوم منها سروراً، وأبقى منها خلوداً، وأطول منها أياماً، وأغدق[٨] منها أرضاً، وأنعت[٩] منها جمالاً، وأتمَّ منها بلهنية، وأعذب منها رفهنية، فبشعت نفسه بذلك لعادتها[١٠]، واقشعرت منها لمخالفتها، فعركها بالعزم الشديد، حتى أجابت، وبالرأي الجليد حتى انقادت، فأقام فيها دعائم الإسلام، وقواعد السنة الجارية، ورواسي الآثار الماضية، وأعلام أخبار النبوة الطاهرة، وظل خميصاً[١١] من بهجتها، قالياً لأثاثها، لا يرغب في زبرجها[١٢]، ولا تطمح نفسه جدتها، حتى دُعيَ فأجاب، ونُوديَ

---

(١) القسط: العدل، ولم يوده: من الوئيد: وهو الإبطاء.
(٢) يبهظه: يثقله.
(٣) مجثمه: مكانه الذي لزمه.
(٤) تكنفه: تحيط به.
(٥) الدجنات: الظلمات.
(٦) لافظاً: رامياً، عجمها: جرَّبها، سبرها: اختبرها.
(٧) نحلاً: عطاءً.
(٨) أغدق: أخصب وأطيب.
(٩) أنعت: أفضل وصفاً.
(١٠) البلهنية والرفهنية: رفاهة العيش ورغده.
(١١) خميصاً: جائعاً.
(١٢) زبرجها: زينتها.

فأطاعَ، على تلك من الحال، فاحتذى في الناس بأخيه، فأخرجها من نسله، وصيرها شورى بين أخوته، فبأيّ أفعاله تتعلقون؟ وبأي مذاهبه تتمسكون، أبطرائقه القويمة في حياته، أم بعدله فيكم عند وفاته، ألهمنا الله وإياكم طاعته، وإذا شئتم ففي حفظ كلاءته[١].

***

(أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب)

دخلتْ أروى على معاوية بن أبي سفيان بالموسم، وهي عجوزٌ كبيرة، فلما رآها قال: مرحباً بك يا عمّة، قالت: كيف أنت يا ابن أخي، لقد كفرت بعدي بالنعمة، وأسأت لابن عمّك الصحبة[٢]، تسمَّيت بغير اسمك، وأخذت غير حقك[٣]، بغير بلاءٍ كان منك ولا من آبائك في الإسلام، ولقد كفرتم بما جاء به محمد ﷺ، فأتعسَ الله منكم الجدود[٤]، وأصعر منكم الخدود[٥]، حتى ردَّ الله الحق إلى أهله، وكانت كلمة الله هي العليا، ونبينا محمد ﷺ هو المنصور على من ناوأهُ[٦] ولو كرهَ المشركون، فكنا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظّاً ونصيباً وقدراً، حتى قبض الله نبيه ﷺ، مغفوراً ذنبه، مرفوعاً درجته، شريفاً عند الله مرضيّاً، فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى عليه السلام من آل فرعون ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [سورة البقرة/٤٩]، وصار ابن عم سيد المرسلين[٧] فيكم بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام، حيث يقول: ﴿... ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ

(١) كلاءته: حفظه.
(٢) تعني به علياً أمير المؤمنين رضي الله عنه.
(٣) تشير إلى أخذه الخلافة.
(٤) الجدود: الحظوظ والغنى.
(٥) أصعر الخدود: أذهب كبرها.
(٦) ناوأهُ: عاداهُ.
(٧) تعني علياً أمير المؤمنين رضي الله عنه.

﴿ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ [سورة الأعراف/١٥٠]، ولم يجمع بعد رسول الله ﷺ لنا شمل، ولم يسهل لنا وعر، وغايتنا الجنة، وغايتكم النار.

وفي نهاية الأمر بكت وأنشدت هذه الأبيات:

ألا يَا عَيْنُ وَيْحكِ أسْعِدِينَا ... ألا وأبْكي أمير المُؤمنينا
رُزِينا خَيْرَ من ركب المطايا ... وفَارِسَها وَمَنْ رَكِبَ السَّفِينَا[١]
وَمَنْ لَبِسَ النِّعَالَ أو ٱحْتَذَاها ... وَمَنْ قَرأَ المَثَاني والمِئِينَا[٢]
إذا ٱسْتَقْبلتَ وَجْهَ أبي حسين ... رأيتَ البدرَ راعَ النَّاظرينا[٣]
ولا واللَّهِ لا أنْسَى عَلِيّاً ... وَحُسْنَ صَلاتِهِ في الرَّاكِعينَا
أفي الشَّهرِ الحرام فجعتمونا ... بخير النَّاس طرّاً أجْمَعِينَا[٤]

***

(الزرقاء بنت عدي بن غالب رضي الله عنها)

كانت يوم صفين راكبةً جملاً أحمر بين الصفين تحضُّ على القتال ضد معاوية، فقالت: أيها الناس، إنكم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم، وجارتْ بكم عن قصد المحجة[٥]، فيا لها من فتنة عمياء صماء يسمع لقائلها ولا ينظار لسائقها[٦].

أيها الناس، إنّ المصباح لا يضيءُ في الشمس، وإنَّ الكوكب لا يقد

---

(١) رزينا: أُصبنا. المطايا: الدواب.
(٢) المثاني والمِئِينَا: آيات القرآن وسوره.
(٣) راعَ: أعجب.
(٤) الشهر الحرام: تريد شهر رمضان الذي قتل فيه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو ليس من الأشهر الحرم، وإنما تقصد عظمة شهر رمضان عند الله وعند عباده.
(٥) المحجة: الطريق المستقيم.
(٦) أي لا يتراوض ولا يهمل.

في القمر، وإنَّ البغل لا يسبقُ الفرس، وإنَّ الزَّف لا[١] يوازن الحجر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد، ألا من استرشدنا أرشدناه، ومن استخبرنا أخبرناه، إنّ الحق كان يطلب ضالته فأصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار، فكأن قد اندمل شعب الشَّتات، والتأمت كلمة العدل[٢]، وغلب الحق باطله، فلا يعجلن أحد فيقول: كيف وأنّىٰ ليقضيَ الله أمراً كان مفعولاً، ألا إنَّ خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير في الأُمور عواقباً، إيهاً إلى الحرب قُدُماً غير ناكصين، فهذا يومٌ له ما بعده[٣].

❋ ❋ ❋

(أم الخير بنت الحريش البارقية رضي الله عنها)

قالت يوم صفين يوم قتل عمار بن ياسر رضي الله عنها، وهي من أنصار علي رضي الله عنه:

إنَّ الله قد أوضح الحق، وأبان الدليل، ونوَّر السبيل، ورفع العلم، فلم يدعكم في عمياء مبهمة، ولا سوداء مدلهمة[٤]، فإلى أين تريدون رحمكم الله؟ أفراراً عن أمير المؤمنين؟ أم فراراً من الزحف؟ أم رغبةً عن الإسلام؟ أم ارتداداً عن الحق؟ أمَا سمعتم الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [سورة محمد/٣١]، اللَّهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشر الرُّعب، وبيدك يا رب أَزمَّة القلوب، فاجمعْ إليه الكلمة على التقوى، وألِّف القلوبَ على الهدى، وأرْدُدْ الحقَّ إلى أهله، هلُمّوا رحمكم الله إلى الإمام العادل، والوصي الوفي، والصديق الأكبر، إنّها إحَنٌ بدريَّة،

(١) الزَّف: صغير الريش أو صغير الحصى.
(٢) اندمل: التأم. شِعب: صدع. والتأمت: التصقت وانضمت.
(٣) إيهاً: كلمة إغراء. وقدماً: أي متقدمين. ناكصين: مرتدين.
(٤) مدلهمة: كثيفة.

وأحقاد جاهلية، وضغائن أُحديَّة[١]، وثبَ بها معاوية حين الغفلة، ليدرك بها ثارات بني عبد شمس، ﴿... فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [سورة التوبة/١٢]، صبراً معشر الأنصار والمهاجرين، قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم، وكأني بكم غداً، لقد لقيتم أهل الشام كحُمُرٍ مستنفرة[٢] لا تدري أين يُسْلك بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهُدَى، وباعوا البصيرة بالعَمَى، ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [سورة المؤمنون/٤٠]، حتى تحل بهم النَّدَامَة، فيطلبون الإقالة[٣]، إنه والله من ضلَّ عن الحق وقع في الباطل، ومن لم يسكن الجنة نزل النار.

أيها الناس، إنَّ الأكياس[٤] استقصروا عُمْر الدنيا فرفضوها، واستبطأوا مدَّة الآخرة فسعوا لها، والله أيها الناس لولا أن تُبطل الحقوق، وتُعطل الحدود[٥]، ويظهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان، لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبهِ، فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عمِّ رسول الله ﷺ، وزوج ابنته، وأبي ابنيْهِ خُلق من طينته، وتفرع من نبعته[٦]، وخصَّهُ بسِرِّهِ، وجعلهُ باب مدينته، وعِلْمَ المسلمين، وأبان ببغضه المنافقين، فلم يزل كذلك يؤَيده الله عزَّ وجلَّ بمعونته، ويمضي على سُننِ استقامته، لا يعرج لراحة الدأب[٧]، ها هو مفلق الهام، ومكسر الأصنام، إذ صلى والناس مشركون، وأطاع والناس مرتابون، فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بَدْر، وأفنى أهل أُحُد، وفرَّق جمعَ هَوَازِن، فيا لها من وقائع! زرعتْ في قلوب قوم نفاقاً، ورِدّة وشقاقاً،

(١) إحن: أضغان. وبدرية: نسبة إلى بدر. وأحدية: نسبة إلى أُحُد.
(٢) الحمر: جمع حمار. ومستنفرة: أي شاردة مجزوعة.
(٣) الإقالة: الإعفاء.
(٤) الأكياس: العقلاء.
(٥) أي حدود الشريعة وأحكامها.
(٦) نبعته: أصله.
(٧) يعرج: يميل. والدأب: العادة والاجتهاد.

قد اجْتهدتُ في القول، وبالغتُ في النصيحة، وبالله التوفيق، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

❊ ❊ ❊

(الجمانة بنت المهاجر بن خالد بن الوليد)

نظرت الجمانة إلى عبدالله بن الزبير رضي الله عنه وهو يرقأ المنبر[(١)] يخطب بالناس في يوم جُمُعة، فقالت حين رأتْهُ رقي المنبر:

أيا نقّار أنْقُر يا نقّار، أما والله لو كان فوقهُ نجيبٌ من بني أُميَّة، أو صقر من بني مَخْزوم، لقال المنبر: طيق طيق، قال فأُنمي كلامها إلى عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما، فبعث إليها فأُتِيَ بها فقال لها: ما الذي بلغني عنك يا لكاع[(٢)]؟ قالت: الحق أبلغت يا أمير المؤمنين، قال: فما حملك على ذلك؟ قالت: لا تعدمُ الحسناءُ ذامّاً، والسّاخط ليس براضٍ، ومع ذلك فما عدوتُ فيما قلت لك أن نسبتكَ إلى التواضع والدين، وعدوك إلى الخيلاء والطمع، ولئن ذاقُوا وبالَ أمرهم، لتحمدن عاقبة شأنك، وليس من قال فكذب كمن حدَّثَ فصَدَقَ، وأنت بالتجاوز[(٣)] جدير، ونحنُ للعفو منك أهل، فاستر على الحرمة تسْتتم النعمة، فوالله ما يرفعك القول ولا يضعك، وإنَّ قريشاً لتعلم أنك عابدها وشجاعُها ولسانُها، حاط الله دنياك[(٤)] وعَصَمَ أُخراك، وألهمك شكر ما أولاك[(٥)].

❊ ❊ ❊

(١) يرقأ: يصعد عليه.
(٢) لكاع: لئيمة.
(٣) التجاوز: الاحتمال وعدم المؤاخذة.
(٤) حاط: حفظ وتعهد.
(٥) أولاك: قلدك من الأمر.

(الخليفة عمر والمرأة)

حكى عن الخليفة عمر بن الخطاب، أنه بينما كان يطوف ذات ليلةٍ، في سكك المدينة، سمع امرأةً تنشد:

هل من سبيل إلى (كأسٍ) فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج؟
إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل سهل المحيا كريم غير ملجاجِ
تنميه أعراقُ صدقٍ حين تَنْسِبُهُ أخي وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر: لا أرى معي بالمدينة رجلاً تهتف به العواتق في خدورهنّ. عليَّ بنصر بن حجاج، فلما أصبح أُتيَ بنصر، فإذا هو من أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم شعراً. فحكم عليه بقصّ شعره، ونفيه من المدينة. ثم سيَّرهُ إلى البصرة.

وخشيتْ المرأة التي سمع منها عمر الشعر، فبعثت إليه أبياتاً تقول:

قل للأمير الذي تخشى بوادره ما لي وللكأس أو نصر بن حجاج
إني غَنَّيْتُ أبا حفصٍ بغيرهما شرب الحليب وطرفٍ غيره ساجي
إنَّ الهوى زمَّهُ التقوى فقيَّدهُ حتى يقرَّ بإلجام وإسراجِ
أمنيةٌ لم أَطِرْ فيها بطائرةٍ والناس من هالكٍ فيها ومن ناجِ
لا تجعلِ الظَّنَّ حقاً أو تُبَيِّنُهُ إنَّ السبيلَ سبيلُ الخائفِ الراجي

فقال عمر: الحمد لله الذي زمَّ الهوى بالتقوى. وطال مكث نصر بن حجاج في البصرة. فخرجتْ أُمُّهُ يوماً، بين الأذان والإقامة متعرضة لعمر، فإذا هو قد خرج في رداءٍ وإزار، وبيده الدُّرَّة، فقالت له: يا أمير المؤمنين، والله لأقفنَّ أنا وأنت بين يدي الله تعالى، وليحاسبنك الله، أيبيتنَّ عبدالله وعاصم إلى جنبك، وبيني وبين ابني الفيافي والأودية؟ فأجابها: إنَّ ابنيَ لم تهتف بهما العواتق في خدورهنَّ. ثم إنَّ عمر أرسل إلى البصرة بريداً إلى عتبة بن غزوان فأقام أياماً، ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب إلى أمير المؤمنين فليكتب، فإنّ البريد خارج، فكتب نصر بن حجاج:

لعمري لئن سيرتني أوِ حرمتني ... وما نلتَ من عرضي عليك حرامُ
فأَصبحتُ منفياً على غير ريبةٍ ... وقد كان لي بالمكَّتَيْن مقامُ
لئن غنَّتِ الذلفاءُ يوماً بِمُنْيةٍ ... وبعضُ أماني النساء غرامُ
ظننتَ بِيَ الظَّنَّ الذي ليس بعده ... بقاء وما لي جرمةٌ فألامُ
فيمنعُني مما تقول تكرمي ... وآباءُ صِدْق سالفون كرامُ
ويمنعُها مما تقول صلاتها ... وحالٌ لها في قومها وصيامُ
فهاتان حالانا فهل أنت راجعي ... فقد جُبَّ مني كاهِلٌ وسِنامُ

فلمَّا سمعها عمر بكى، ورقَّ لحاله.

❋ ❋ ❋

(أعرابية)

قالت أعرابية لابنٍ لها يتوعد قوماً: ويلك، دعني من أساطيرك[1]، لا تحمل عقوبتك على مَنْ لم يحمل عليك، ولا تتطاول على من لم يتطاول عليك، فإنكَ لا تدري ما تقربك إليه حوادث الدهور، ولعلّ من صَيَّرك إلى هذا اليوم أن يُصَيِّر غيرك إلى مثله غداً فينتقم منك أكثر مما انتقمتَ منه، فاْكفُفْ عمّا أسمعُ منك ألَمْ تسمع إلى قول الأول:

لا تُعادِ الفقيرَ عَلَّكَ أنْ ... تَرْكَعَ يوماً والدَّهْرُ قدْ رَفَعَهْ

❋ ❋ ❋

(أعرابية أُخرى)

عن الأصمعي، عن أبان بن تغلب قال: جَلَسْتُ إلى أعرابية كانت تُعرف بالبلاغة، فمرَّ بها رجل من قومها يسْحَبُ حلّة عليه، فقالت:

(١) أساطيرك: أحاديثك التي لا نظام لها.

يا صاحب الحلّة، إنّ الكرمَ واللّؤم ليسَ في بردتك هذه، ولكنهما تحتها، فلْيحسُنْ فعلك يحسُنْ لباسُك ولو لبستَ طَمْراً[1] ما شانك.

❋ ❋ ❋

(أعرابية ثالثة)

وَقَفَتْ أعرابية فقالت: بَعُدَتْ شقتي، وظهرت محارمي، وبلغ نسيسي[2]، والله سائلكم عن مقامي.

❋ ❋ ❋

(أعرابية رابعة)

سألت أعرابية، فقالت: سائلتكم تسألكم القليل الذي يوجبُ لكم الكثير، ورحم الله واحداً أعان محقّاً.

❋ ❋ ❋

(فصاحة امرأة أبي الأسود الدؤلي)

كان أبو الأسود الدؤلي من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان، وأقربهم مجلساً، وكان لا ينطق إلا بعقل ولا يتكلم إلا بعد فهم، فبينا هو ذات يوم جالساً وعنده وجوه القوم، إذ أقبلتْ امرأة أبي الأسود الدؤلي حت حاذت معاوية وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، إنّ الله جعلك خليفة في البلاد، ورقيباً على العباد يُسْتَسْقَى بك المطر، ويُسْتنبتُ بك الشجر، وتؤلف بك الأهواء، ويأمن

---

(١) طمراً: ثوباً بالياً.

(٢) النسيس، بقية الروح، وبلغ نسيسه: كاد يموت.

بك الخائف، ويردع بك الجانف[١]، فأنت الخليفة المصطفى، والإمام المرتضى، فأسأل الله لك النعمة في غير تغيير، والعافية في غير تعذير[٢]، لقد ألجأني إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق عليَّ فيه المنهج[٣]، وتفاقم[٤] عليَّ فيه المخرج، لأمر كرهتُ عاره، لما خشيتُ إظهاره، فلينصفني أمير المؤمنين من الخصم، فإني أعوذ بعقوته[٥] من العار الوبيل، والأمر الجليل، الذي يشتد على الحرائر ذواتِ البعول الأجائر[٦].

فقال لها معاوية: ومن بعلك هذا الذي تصفين من أمره المنكر، ومن فعله المشهر؟ فقالت: هو أبو الأسود الدؤلي، قال: فالتفت إليه فقال: يا أبا الأسود ما تقول هذه المرأة؟ قال: فقال أبو الأسود: هي تقول من الحق بعضاً، ولن يستطيع أحد عليها نقضاً، أما ما ذكرت من طلاقها فهو حق، وأنا مخبر أمير المؤمنين عنه بالصدق، والله يا أمير المؤمنين ما طلقتها عن ريبة ظهرت، ولا لأي هفوة حضرت، ولكني كرهت شمائلها، فقطعت عني حبائلها. فقال معاوية: وأي شمائلها يا أبا الأسود كرهت؟ قال أبو الأسود: يا أمير المؤمنين، إنك مهيجها عليّ بجواب عتيد[٧]، ولسان شديد. فقال له معاوية: لا بد لك من محاورتها فارددُ عليها قولها عند مراجعتها، فقال أبو الأسود: يا أمير المؤمنين، إنها كثيرة الصخب، دائمة الذرب[٨]، مهينة للأهل، مؤذية للبعل، مسيئة إلى الجار، مظهرة للعار، إنْ رأتْ خيراً كتمته، وإنْ رأتْ

(١) الجانف: المائل عن الحق.
(٢) تعذير: شكوى.
(٣) المنهج: الطريق الواضح.
(٤) تفاقم: عظم.
(٥) العقوة: ما حول الدار، والمراد: بناحيته.
(٦) الأجائر: جمع الجائر.
(٧) عتيد: حاضر مهيأ.
(٨) الذرب: بذاءة اللسان.

شرّاً أذاعتهُ، قال: فقالت: والله لولا مكان أمير المؤمنين، وحضور من حضره من المسلمين، لرددت عليك بوادر كلامك، بنوافذ أقرع كل سهامك[١]، وإن كان لا يجمل[٢] بالمرأة الحرة أنْ تشتم بعلاً، ولا أن تظهر لأحد جهلاً.

فقال معاوية: عزمتُ عليك لما أجبته، قال: فقالت: يا أمير المؤمنين، ما علمته إلا سؤولاً جهولاً، ملحّاً بخيلاً، إنْ قال فشرّ قائل، وإنْ سكت فذو دغائل[٣]، ليث حين يأمن، وثعلب حين يَخَاف، شحيح حين يُضاف، إنْ ذُكر الجود انقمع[٤]، لما يعرف من قصر رشائهِ[٥]، ولؤم آبائه، ضيفه جائع، وجاره ضائع، لا يحفظ جاراً، ولا يحمي ذماراً[٦]، ولا يدرك ثاراً، أكرم الناس عليه من أهانه، وأهونهم عليه من أكرمه.

فقال معاوية: سبحان الله لما تأتي به هذه المرأة من السّجع!

قال: فقال أبو الأسود: أصلح الله أمير المؤمنين، إنّها مطلقة ومَنْ أكثر كلاماً من مطلقة!

فقال لها معاوية: إذا كان رواحاً[٧] فتعالي أفصل بينكِ وبينه بالقضاء، قال: فلما كان الرّواح، جاءَت ومعها ابنها قد احتضنتْهُ، فلما رآها أبو الأسود، قام إليها لينتزع ابنه منها. فقال له معاوية: يا أبا الأسود، لا تعجل المرأة أن تنطق بحجتها. قال أبو الأسود: يا أمير المؤمنين، أنا أحق بحمل ابني منها. فقال له معاوية: يا أبا الأسود، دعها تقل.

(١) بنوافذ: بحجج نافذة ماضية، أقرع: أضرب.
(٢) لا يجمل: لا يحسن.
(٣) دغائل: مفاسد.
(٤) انقمع: انقهر وذل.
(٥) رشائه: حبله.
(٦) الذمار: ما تلزم حمايته.
(٧) رواحاً: عشيّاً أو من الزوال إلى الليل.

فقال أبو الأسود: يا أمير المؤمنين، حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه. قال: فقالت: صدق والله يا أمير المؤمنين، حمله خِفّاً، وحملتُهُ ثقلاً، ووضعه بشهوةٍ، ووضعته كرهاً، إنّ بطني لوعاؤهُ، وإنّ ثديي لسقاؤه، وإن حجري لفناؤه. فقال معاوية: سبحان الله لما تأتين به. فقال أبو الأسود: إنها تقول الأبيات من الشعر فتُجيدها، قال: فقال معاوية: إنها قد غلبتك في الكلام، فتكلف لها أبياتاً لعلّك تغلبها، قال: فأنشأ أبو الأسود يقول:

مرحباً بالتي تجوز علينا ... ثم سهلاً بالحامل المحمولِ
أغلقتْ بابَها عليَّ وقالَتْ ... إنّ خير النساء ذات البعولِ
شغلتْ نفسَها عليَّ فراغاً ... هل سَمِعْتُم بالفارغ المشغولِ

قال: فأجابته وهي تقول:

ليسَ من قال بالصواب وبالحـ ... ـق كمن جار عن منار السبيلِ
كان ثدي سقاءَه حتى يُضحي ... ثُمَّ حِجري فناؤهُ بالأصيلِ[(١)]
لسْتُ أبْغي بواحدي يا ابنَ حربٍ ... بدلاً ما علمتُهُ والخليلِ[(٢)]

قال: فأجابها معاوية:

ليسَ من غذَّاهُ حيناً صغيراً ... وسقاهُ من ثديهِ بِخَذُولِ
هي أولى به وأقربُ رحماً ... مِن أبيهِ بالوحي والتنزيلِ
أُمٌّ ما حنَّتْ عليه وقامتْ ... هي أوْلىٰ بحملِ هذا الضئيلِ

قال: فقضى لها معاوية، واحتملت ابنَها وانْصرفتْ.

❋ ❋ ❋

(١) الأصيل: العشي.
(٢) الخليل: تريد النبي محمد ﷺ.

۞ (نساء الأعرابي)

۞ تزوج الأعرابي بأربع نساء، وأراد أن يختبر عقولهنَّ. فبات عند إحداهن وقال: إذا دنا الصبح فأيقظيني. فلما دنا الصبح، قالت له: قمْ، فقد دنا الصبح. فقال: وما يدريك؟ قالت: غارتْ صغار النجوم، وبقي أحسنها وأضوؤها وأكبرها، وبرد الحلي على جسدي، واستلذذتُ باستنشاق النسيم. فقال لها: إنّ في ذلك دليلاً. ثم بات عند الثانية، فقال لها كما قال للأولى. فلما دنا الصبح أيقظته، فقال: وما يدريك أن الصبح قَدْ دنا؟ قالت: ضحكت السماء من جوانبها، ولم تبقَ نابتة إلا وفاحتْ روائحها، وعيني تطالبني بإغفاءَة الصباح. فقال: إنّ في ذلك دليلاً. ثم بات عند الثالثة، وأوصاها كما فعل بالسابقتين، فلما دنا الصبح أيقظته، فقال لها: وما يدريك أن الصبح دنا؟ فقالت له: لم يبقَ طائر إلا غرَّد، ولا ملبوس إلا برد، وقد صار للطرف في مجال، أَوَ لَيسَ ذلك من دنو الصباح؟ فقال لها: إنَّ في ذلك دليلاً. ثم بات عند الرابعة، فقال لها مثلهنَّ. فلما دنا الصبح أيقظته، فقال: وما يدريكِ أنّ الصبح دنا؟ فقالت: أبتْ نفسي النوم، وطلبني فمي بالسواك، واحتجتُ إلى الوضوء. فقال لها: أنت طالق، فإنكِ أقبَحَهُنَّ وصفاً.

❋ ❋ ❋

۞ (أعرابية)

۞ عن العُتبي قال: وقفتْ علينا أعرابية فقالت: يا قوم، تغيَّر بنا الدهر، إذْ قلَّ منَّا الشكر، ولزمنا الفقر، فرحمَ الله مَنْ فهم بعقل، وأعطى من فضل، وآثر من كفاف(١)، وأعان على عفاف.

❋ ❋ ❋

(١) آثر على نفسه: أي أعطى غيره ما يحتاج هو إليه. والكفاف: من الرزق ما كفى صاحبه وأغناهُ عن الناس.

(صفات العاشق)

قال العتبي: سمعتُ امرأةً تصفُ العاشق فتقول: مسكين العاشق، كل شيءٍ عدوه، هبوبُ الريح يقلقه، ولمعان البرق يؤرقه، ورسوم الديار تحرقه، والتذكير يسقمه، إذا دنا الليل منه هرب النوم عنه. ولقد تداوى بالقرب والبعد، فما نجع فيه دواء، ولقد أحسن من قال:

بكلٍّ تداوينا فلمْ يُشْفَ ما بِنا على أنَّ قربَ الدار خيرٌ مِنَ البُعْدِ

(أعرابية من هوازن)

وقفت امرأة من الأعراب من هوازن على عبدالرحمٰن بن أبي بكرة فقالت: أصلحك الله، أقبلتُ من أرضٍ شاسعة[١]، ترفعني رافعة، وتخفضني خافضة، بمُلِحَّاتٍ من البلاد، وملمات من الدهور[٢]، بَرَيْنَ عظمي، وأذهبن لحمي، وتركنني والهاً[٣]، وأنزلتني إلى الحضيض، وقد ضاق بي البلد العريض، لا عشيرة تحميني، ولا حميم يكنفني[٤]، فسألتُ في أحياء العرب مَنْ المرجو سيبه، المأمون غيبه، المكفي سائله، الكريمة شمائله، المأمول نائله[٥]؟ فأرشدتُ إليك وأنا امرأة من هوازن، مات الوافد، وغاب الرّافد[٦]، ومثلك من سدَّ الخلة، وفكَّ الغلة[٧]، فاصنع إحدى ثلاث: إما تقيم من أودي، أو تحسن صفدي[٨]، أو تردّني إلى بلدي؟ قال: بل أجمعهنَّ لك وحبّاً.

(١) شاسعة: بعيدة.
(٢) ملحات: يقال: مكان لاحٍ: أي ضيق. وملمات: أي شدائد.
(٣) برين: نحتن. والهاً: حزيناً مذهولاً.
(٤) الحميم: القريب. ويكنفني: يحميني في ظله وناحيته.
(٥) أحياء العرب: بطونها وقبائلها، وسيبه: عطاؤه. وشمائله: طباعه. ونائله: عطاؤه.
(٦) الرافد: المعين والمعطي.
(٧) الخلة: الحاجة. والغلة: شدة العطش.
(٨) الأود: المعوج. الصفد: العطاء.

(أم جندب، امرأة امرىء القيس)

روي أنَّ امرأَ القيس نازع علقمة بن عبدة الفحل الشاعر، فقال علقمة للملك الضليل: قد حاكمتُ بيني وبينك امرأتك: (أم جندب)، قال امرؤ القيس: قد رضيت، فقالت لهما: قولاً شعراً على روى واحد وقافية واحدة صِفا فيه الخيل، فقال امرؤ القيس:

خليليَّ مُرَّا بي على أُمِّ جندب   لنقض لُبَانَاتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ

وقال علقمة:

ذهبت مِنَ الهُجْرانِ في غيْر مَذْهَبِ   ولم يَكُ حَقّاً كُلُّ هذا التجنب

وأنشداها فغَلَّبَتْ علقمة، فقال لها زوجها: بأيِّ شيءٍ غَلَّبْتيهِ؟ قالت: لأنك قلت:

فللسوطِ ألهوب وللسَّاقِ درةٌ   وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أهوج متعب

فجهدتَ فرسَكَ بسوطك ومريتَهُ بساقِكَ وزجرك، وأتْعَبْتَهُ بجهدك.

وقال علقمة:

فولَّى على آثارهن بحاصب   وعيبة شُؤْبوب من الشَّدِّ ملهب
فأَدركهنَّ ثانياً من عَنَانه   يمرُّ كَمَرِّ الرائِحِ المتغلب

فلم يضرب فرسه بسوط، ولم يمره، ولم يتعبه بزجر.

وفي رواية: أنَّ امرأ القيس قال لأم جندب: بِمَ فضَّلْتِهِ عليَّ؟ قالت: فرس ابن عبدة أجود من فرسك، زجرتَ وضربتَ وحركتَ ساقيك، وابن عبده لم يصنع ما فعلت، فغضب من قولها وطلّقها وخلف عليها علقمة.

❋ ❋ ❋

(ذكاء الرشيد غلب فصاحة المرأة)

دخلت امرأة على هارون الرشيد، وعنده جماعة من علية القوم، فقالت: يا أمير المؤمنين، أقر الله عينيك، وفرحك بما آتاك، وأتمَّ سعدك، لقد حكمت فقسطت. فقال لها: مِمَّن تكونين أيتها المرأة؟ فقالت: من آل برمك، مِمَّن يتَّمْتَ أطفالهم، ورمَّلتَ نساءَهم. فأُعجب القوم بفصاحتها، وأمر لها الرشيد بأموال كثيرة.

وعندما خرجتْ، قال الرشيد لأصحابه: هل تعلمون بأنَّ المرأة دَعَتْ علينا ولم تدعُ لنا؟ قال الحاضرون: وكيف ذلك؟ قال: أما قولها: أقرَّ الله عينيك، فإنها تعني الاستقرار، والعين إذا استقرتْ عميتْ. وقولها: فرحك بما آتاك، قد أخذته من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾، وقولها: أتمَّ سعدك أخذته من قول الشاعر:

إذا تـمَّ شـيءٌ بـدا نَـقْـصُـهُ ترقَّبْ زوالاً إذا قيـل تَـمْ

وأمّا قولها: لقد حكمتَ فقسطتَ، فقد أخذته من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾، فأُعجب الحاضرون بذكاء الرشيد، أكثر من إعجابهم بفصاحة المرأة.

❋ ❋ ❋

(جروة بنت مُرّة بن غالب)

احتجم معاوية بمكة، فلمّا أمسى أرق أرقاً شديداً فأرسل إلى جروة بنت غالب التميمية ـ وكانت مجاورة بمكة ـ فلما دخلت قال لها: مرحباً يا جروة، أرعناكِ؟ قالت: أي والله يا أمير المؤمنين، لقد طرقتُ في ساعة لا يطرق فيها الطير في وكره، فأرعتَ قلبي وريع صبياني، وأفزعتَ عشيرتي، وتركتَ ﴿بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾، يراجعون القول، ويديرون الكلام، خشيةً منك، وشفقةً عليَّ.

فقال لها معاوية: ليسكن روعك، ولتطب نفسك، فإنَّ الأمر على خلاف ما ظننتِ. إني احْتجمتُ فأعقبني ذلك أرقاً، فأرسلتُ إليكِ تخبريني عن قومكِ، قالت: عن أي قومي تسألني؟ قال: عن بن تميم، قالت: يا أمير المؤمنين، هم أكثر الناس عدداً، وأوسعه بلداً، وأبعدهُ أمداً، هم الذهب الأحمر، والحسب الأفخر، قال: صدقتِ. فنزِّليهم لي.

قالت: يا أمير المؤمنين، أما بنو عمرو بن تميم فأصحابُ بأسٍ ونجدة وتحاشد وشدة لا يتخاذلون عند اللقاء، ولا يطمع فيهم الأعداء، سلمهم فيهم، وسيفهم على عدوِّهم، قال: صدقت، ونِعم القوم لأنفسهم.

قالت: وأما بنو سعد بن زيد مناة ففي العدد الأكثرون، وفي النَّسب الأطيبون، يضرون[1] إنْ غضبوا، ويدركون إنْ طلبُوا، أصحاب سيوف وجحف[2]، ونزال وزلف[3]، على أنَّ بأسهم فيهم، وسيفهم عليهم.

وأما حنظلة: فالبيت الرفيع، والحَسَب البديع، والعزّ المنيع، المكرمون للجار، والطالبون بالثار، والناقضون للأوتار، قال: إنَّ حنظلة شجرة تفرع، قالت: صدقت يا أمير المؤمنين.

وأمَّا البراجم: فأصابع مجتمعة، وكُفّ ممتنعة.

وأما طهية: فقومٌ هوج وقرن لجوج[4].

وأما بنو ربيعة: فصخرة صماء، وحيَّة رقشاء[5]، يغزون بغيرهم، ويفخرون بقومهم.

---

(١) يضرون: يسرعون في البطش.
(٢) جحف: تروس من جلد بلا خشب.
(٣) زلف: إقدام.
(٤) هوج: أي طوال في حمق. ولجوج: مخاصم.
(٥) رقشاء: متلونة بسواد وبياض.

وأما بنو يربوع: ففرسان الرماح، وأُسود الصباح، يعتنقون الأقران، ويقتلون الفرسان.

وأما بنو مالك: فجمع غير مفلول، وعزّ غير مجهول، ليوثٌ هرّارة[١]، وخيول كرارة.

وأما بنو دارم: فكرمٌ لا يُدانى، وشرفٌ لا يُسامى، وعزٌّ لا يُوازَى.

قال معاوية: أنتِ أعلمُ الناس بتميم. فكيف علمك بقيس؟

قالت: كعلمي بنفسي.

قال معاوية: فأخبريني عنهم.

قالت: أما غطفان: فأكثر سادة، وأمنع قادة.

وأما فزارة: فبيتها المشهور، وحسبها المذكور.

وأما ذبيان: فخطباء شعراء، أعزَّة، أقوياء.

وأما عبس: فجمرة لا تطفأ، وعقبة لا تُعلى، وحَيَّة لا تُرْقَى[٢].

وأما هوازن: فحلم ظاهر، وعزّ قاهر.

وأما سُليم: ففرسان الملاحم[٣]، وأسود ضراغم.

وأما نمير: فشوكة مسمومة، وهامة مذمومة، وراية ملمومة.

وأما هلال: فاسم فخم، وعزّ قوم.

وأما بنو كلاب: فعدد كثير، وفخْر أثير[٤].

قال معاوية: لله أنتِ، فما قولك في قريش؟

(١) مفلول: مثلول ومخدوش. وهرارة من الهرهرة وهي زئير الأسد.
(٢) لا تُرْقَىٰ: أي لا يُرقى من سمها.
(٣) الملاحم: وقائع الحرب الشديدة.
(٤) أثير: من الأثرة وهي المكرمة المتوارثة.

قالت: يا أمير المؤمنين، هم ذروة السنام، وسادة الأنام، والحَسَب القمقام[١].

قال معاوية: فما قولكِ في علي رضي الله عنه؟

قالت: جاز والله في الشرف حدّاً لا يُوصف، وغايةً لا تُعرف، وبالله أسأل أمير المؤمنين مما أَتخوف.

قال معاوية: قد فعلت. وأمر لها بضيعة نفيسة غلّتُها عشرة آلاف درهم.

❋ ❋ ❋

(أم الفضل بن سهل)

عن سهل بن هارون قال: عزَّى المأمونُ أُمَّ الفضل بن سهل حين قُتِلَ وقال لها: لا تجزعي عليه ففيَّ خَلَفٌ لكِ منه، ولن تفقدي معي إلا وجهه.

قالت: يا أمير المؤمنين، كيف لا أَجزعُ على ابنٍ أكسبني ابناً مثلك.

❋ ❋ ❋

(امرأة من بني تغلب والحجاف)

عن أبي عمرو بن العلاءِ قال: قالت امرأةٌ من بني تغلب للحجافِ بنِ حكيم في وقعة البشر التي يقول فيها الأخطل:

لَقَدْ أَوْقَعَ الحجافُ بالبِشْرِ وقعةً ... إلى اللَّهِ فيها المُشْتَكى والمُعَوَّلُ

فَضَّ اللَّهُ عمادَكَ، وأكبا زنادَكَ، وأَطال سُهادَكَ، وأقلَّ زادَك، فواللَّهِ إنْ

(١) القمقام: العظيم.

قتلتَ إلا نساءً أسافلهنَّ دُمًى، وأعاليهنَّ ثُدىً - وكان قتلَ النساء والذرية - فقال لمن حوله: لولا أن تلدَ مثلها لاسْتَبْقَيْتُها، وأمر بقتلها، فبلغ ذلك الحسن بن أبي الحسن فقال: إنما الحجافُ جذوةٌ من نار جهنم.

❋ ❋ ❋

(رَدٌّ رائع)

عن عجلان مولى عبادٍ قال: كنتُ عند عبدالملك بن مروان، فأَتاهُ حاجبُهُ فقال: يا أمير المؤمنين، هذه بُثينة بالباب، قال: بثينة جميل؟ قال: نعم، قال: أدخلها، فدخلتْ فإذا امرأة طويلةٌ، فعلم أنها قد كانت جميلة، فقال عبدالملك: ويْحَكِ يا بُثينة، ما رجا فيكِ جميلٌ حين قال فيكِ ما قال؟ قالت: الذي رَجَتْ منكَ الأُمةُ حين ولتك أمورها، قال: فما ردَّ عليها عبدالملك كلمة.

[بلاغات النساء/٢٦٤]

❋ ❋ ❋

(جذام)

قال المدائني: أشرفتِ امرأةٌ لروح بن زنباع يوماً تنظرُ إلى وفدٍ من جذام قدموا على روحٍ فزجرها روحٌ فقالَت له: والله إني لأبغضُ الحلاَلَ من جذامٍ فما حَاجتي إلى الحرام فيهم.

❋ ❋ ❋

(فصاحة جارية بدوية)

خرج الأصمعي ذات يوم، فوجد جارية بدوية صغيرة السنِّ معتدلة القامة، تنشد الأبيات التاليَة:

أسْتغفرُ اللّهَ لذنبي في ليلهِ ... قبَّلْتُ إنساناً بغير حِلِّهِ
مِثْلَ الغزالِ ناعماً في دَلِّهِ[1] ... أنتصفَ الليلُ ولم أُصَلِّهِ

فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك! فقالتْ له: ويحكَ أوَ يُعَدُّ هذا فصاحة بعد قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [سورة القصص/٧]، ثم قالت: فقد جمعتْ هذه الآية على وجازتها بين: أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين.

قال الأصمعي: فأُعجبتُ بفهمها وإدراكها أكثر ممَّا أُعجبتُ بشعرها. فهي جارية بدوية صغيرة السن، ولكنَّها واسعة العلم والفهم.

فأمَّا الأمران اللذان جمعتْ بينهما الآية فهما: أَرضعيه، ألقيه في اليمّ. وأمّا النهيان فهما: لا تخافي ولا تحزني. وأمّا الخبران فهما: أوحينا وخفت، وأمّا البشارتان، فهما: إنا رادُّوه إليك وجاعلوه من المرسلين.

❋ ❋ ❋

(جارية ذات أدبٍ وجمال)

وُصِفَ لعبدالملك بن مروان جارية لرجل من الأنصار ذات أدبٍ وجمال، فساومه في ابتياعها، فامتنع وامتنعت، وقالت: لا أحتاج للخلافة ولا أرغب في الخليفة، والذي أنا في ملكه أحبُّ إلـيَّ من الأرض ومن فيها. فبلغ ذلك عبدالملك فأغراه بها، فأضعف الثمن لصاحبها وأخذها قسراً. فما أُعجب بشيءٍ إعجابه بها، فلمَّا وصلتْ إليه وصارت بين يديه أمرها بلزوم مجلسه، والقيام على رأسه، فبينما هي عنده، ومعه ابناه: الوليد وسليمان، قد أخلاهما للمذاكرة، فأقبل

---

(١) دلّه: دلاله.

عليهما فقال: أيُّ بيتٍ قالته العرب أمدح؟ فقال الوليد: قول جرير فيك:

أَلَسْتُمْ خيرَ من ركبَ المطايا ... وأَنْدَى العالمينَ بطونَ راحِ[(١)]

وقال سليمان: بل قول الأخطل:

شُمْسُ العداوةِ حتَّى يُسْتقادَ لهمْ ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَروا[(٢)]

فقالت الجارية: بل أمدح بيت قالته العرب قول حسَّان بن ثابت:

يُغْشَوْنَ حتَّى ما تَهِرَّ كلابُهمْ ... لا يُسْأَلونَ عن السواد المقبلِ[(٣)]

فأطرق ثم قال: أيّ بيت قالته العرب أرقّ؟ فقال الوليد: قول جرير:

إنَّ العيونَ التي في طرفها حورٌ ... قَتَلْنَنا ثمَّ لم يُحْيينَ قَتْلانا

فقال سليمان: بل قول عمر بن أبي ربيعة:

حَبَّذا رَجْعُها إليْها يَدَيْها ... في يَدَيْ دِرْعِها تَحُلُّ الإِزارا

فقالت الجارية: بل بيت حسَّان:

لوْ يَدِبُ الحَوْليُّ من وَلَدِ الذَّ ... رِّ عليها لأَنْدَبَتْها الكُلومُ[(٤)]

فأطرق ثمَّ قال: أيُّ بيتٍ قالته العرب أشجع؟ فقال الوليد: قول عنترة:

إذ يتَّقونَ بيَ الأسِنَّةَ لمْ أخِمْ ... عنها ولَوْ أنِّي تضايقَ مُقدَمِي[(٥)]

---

(١) المطايا: جمع مطية وهي الدابة التي تركب. بطون راح: أكثر الناس عطاء.
(٢) شُمْسُ العداوة: جمع شَموس وهو الأمر الصعب العسير.
(٣) أي أنهم في سعة، لا يبالون من نزل بهم من الناس. والسواد: الجمع الكثير.
(٤) أي لو مشى النمل الصغير على جسدها لظهر أثر ذلك كالجراح لرقة بشرتها.
(٥) أخِم: أحِد، أزِح.

فقال سليمان: بل قوله:

وأنا المنِّية في المواطِنِ كلِّها فالموتُ منِّي سابِقُ الآجالِ

فقالت الجارية: بل بيت كعب بن مالك:

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا قُدُماً ونلحقُها إذا لم تَلْحَقِ

فقال عبدالملك: أحسنتِ، وما نرى شيئاً في الإحسانِ إليكِ أبلغ من ردِّك إلى أهلك. فأجمل كسوتها، وأحسن صِلتها، وردَّها إلى أهلها.

❋ ❋ ❋

(الزوج الشاكر والزوجة الصابرة)

دخل عمران بن حطان على امرأته يوماً، وكان قبيحاً دميماً قصيراً، وكانت هي حسناء، ذات قوام ممشوق، وإذْ رآها قد تزينت، جعل يديم النظر إليها على غير عادته، فاستغربت منه ذلك، وقالت: ماذا بك؟ فقال: لقد أصبحتِ جميلة جداً في هذه الزينة، فقالت له: أبشر، فإني وإياكَ في الجنة. فقال: ومن أين عرفتِ ذلك. قالت: لأنكَ أعطيتَ مثلي فشكرت، وأُعطيتُ مثلكَ فصبرتُ، والشاكر والصابر في الجنة. فقال: الحمد والشكر لله.

❋ ❋ ❋

(ابنة الخُسّ)

أَتَتْ ابنةُ الخُسِّ[1] سوق عكاظ، فأتاها رجلٌ يَمْتَحِنُ عقلها ويمتحنُ جوابها، فقال لها: إنِّي أُريد أَنْ أَسألكِ، قالت: هات، قال: كاد. فقالت: المنتعِلُ[2] يكون راكباً. قال: كاد. قالت: الفقر يكون كفراً.

(١) هي هند بنت الخُسّ بن حابس الإيادية، فصيحة جاهلية تُلقَّب بالزرقاءِ.
(٢) المنتعل: لابس الحذاء.

قال: كاد. قالت: العروس تكون مَلِكاً. قال: كاد. قالت: النعامة تكون طائراً. ثمَّ قالت للرجل: أسألك؟ قال: هاتي. قالت: عجبتُ. قال: للسِّباخ لا ينبتُ كلؤها ولا يجف ثراها[١]. قالت: عجبتُ. قال: للحجارة لا يكبر صغيرها، ولا يهرم كبيرها.

❋ ❋ ❋

(صفية بنت هشام المنقرية)

أقبلت صفية بنت هشام المنقرية وكانت بنت عم الأحنف بن قيس، حتى وقفت على قبره فقالت: لله درُّك من مجن في جنن، ومدرج في كفن[٢]، إنا لله وإنا إليهِ راجعون، جعل الله سبيل الخير سبيلك ودليل الرشد دليلك، أما والذي أسأله أنْ يَفْسح لك في مدخلك، وأن يبارك لك في محشرك، ووالذي كنت من أجله في عدة، ومن الكآبة في مدة، ومن الأثرة إلى نهاية، ومن الضمار إلى غاية[٣]، لقد كنت صحيح الأديم[٤]، منيع الحريم، عظيم السِّلم، فاضل الحلم، واري الزِّناد[٥]، رفيع العماد، وإن كنت مسوَّداً[٦]، وإلى الملوك لموفداً، وفي المحافل شريفاً، وعلى الأرامل عطوفاً، وكانت الملوك لقولك مستمعين، ولرأيك متبعين، ولقد عشت حميداً ودوداً، ومتَّ شهيداً فقيداً، ثمَّ أقبلَتْ على الناس بوجهها فقالت: عباد الله، إنَّ أولياء الله في بلاده، شُهُود على عباده، وإنا لقائلون حقّاً، ومثنون صدقاً، وهو أهلٌ لطيب الثناء، فعليه رحمة الله وبركاته.

❋ ❋ ❋

(١) السِّباخ من الأرض: ما لم يُحرث ولم يُعمر. الكلأ: العُشب.
(٢) مجن: أي مستور. والجنن: القبر. ومدرج: مُطوى.
(٣) الأثرة هنا: الحال الغير مرضية. والضمار: الهزال.
(٤) الأديم: الجلد.
(٥) واري: أي متقد.
(٦) مسوداً: من السيادة.

(صدوف)

كان حمران رجلاً لَسِناً مارداً وإنّه خَطَب صَدُوفَ، وهي امرأة كانت تؤيد الكلام وتشجع في المنطق، وكانت ذاتَ مالٍ كثيرٍ، وقد أتاها قومٌ يخطبونها فردَّتْهم، وكانت تتعنَّتُ خُطَّابَها في المسألة، وتقول: لا أتزوج إلا مَنْ يعلم ما أسأله عنه ويجيبني بكلام على حدة لا يَعْدُوه، فلما انتهى إليها حُمْرَان قام قائماً لا يجلس، وكأن لا يأتيها خاطب إلا جَلَسَ قبل إذنها، فقالت: ما يمنعكَ من الجلوس؟ قال: حتى يُؤْذَنَ لي، قالت: وهل عليك أمير؟ قال: ربُّ المنزلِ أحق بفِنائِهِ، ورب الماءِ أحَقُّ بسِقائِهِ، وكل له ما في وِعائِهِ، فقالت: اجلسْ، فجلسَ، قالت له: ما أردتَ؟ قال: حاجة، ولم آتِكِ لحاجة، قالت: تُسِرُّها أم تُعْلِنُها؟ قال: تُسَرُّ وتُعْلَنُ، قالت: فما حاجتك؟ قال: قضاؤها هَيِّن، وأمرُها بيِّن، وأنتِ بها أخْبَر، وبِنُجْحِها أبصر، قالت: فأخبرني بها، قال: قد عرَّضْتُ وإنْ شِئْتِ بيَّنْتُ، قالت: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا بَشَر، ولدتُ صغيراً، ونشأتُ كبيراً، ورأيتُ كثيراً، قالت: فما اسمك؟ قال: مَنْ شاءَ أحْدَثَ اسماً، وقال ظُلْماً، ولم يكن الاسم عليه حَتْماً، قالت: فَمَنْ أبوك؟ قال: والدي الذي وَلَدني، ووالده جَدِّي، فلم يعش بَعْدِي، قالت: فما مالُك؟ قال: بعضُهُ وَرِثتُه، وأكثره اكتسبته، قالت: فمن أنت؟ قال: من بشر كثير عدده، معروف ولده، قليل صعده، يفنيه أبده، قالت: ما وَرَّثَكَ أبوك عن أوليه؟ قال: حسن الهمم، قالت: فأين تنزل؟ قال: على بِساط واسع، في بلدٍ شاسِع، قريبُهُ بعيد، وبعيده قريب، قالت: فمن قومك؟ قال: الذين أنتمي إليهم، وأجني عليهم، وولدتُ لديهم، قالت: فهل لك امرأة؟ قال: لو كانت لي لم أطلب غيرها، ولم أُضَيِّعْ خَيْرها، قالت: كأنك ليست لك حاجة، قال: لو لم تكن لي حاجة لم أُنِخْ ببابك، ولم أَتَعَرَّضْ لجوابك، وأتعلق بأسبابك، قالت: إنَّكَ لحمران بن الأقرع الجَعْدي، قال: إنَّ ذلك ليقال، فأنكحته نفسها، وفوَّضَتْ إليه أمرها.

[مجمع الأمثال للميداني]

(هند بنت النعمان)

كانت هند بنت النعمان أجمل أهل زمانها، خطبها الحجاجُ وبذل لها مالاً جزيلاً وتزوّجها، ولكنها رأتْ من معاملته القاسية وسوء أخلاقه، ما نَفَّرها منه، فدخل عليها خِلْسةً دون أن تشعر بوجوده، وكانت تنظر في المرآة، وتتغزَّل بنفسها قائلة:

وما هندُ إلاّ مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ ... سليلةُ أفْراسٍ تَحَلَّلَها بَغْلُ

فانصرف الحجاجُ راجعاً، وأنْفَذَ إليها عبدالله بن طاهر وقال له: طلّقها بكلمتين. فقال لها: يقول لكِ الحجاج: كُنْتِ فَبِنْتِ.

فقالت: اَعْلم يا ابن طاهر! أنَّا واللَّهِ كُنَّا فما حَمِدْنا، وبِنَّا فما ندمنا. ثم بلغ خبرها أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان، ووُصِفَ له جمالها، فأرسل يخطبها، فأرسلت إليه تقول بعد الثناء عليه: اعلم يا أمير المؤمنين إنَّ الإناء ولغ فيه الكلب. فأجابها: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب.

* * *

(بكاء الحجاج)

كتب عبدالملك بن مروان إلى الحجاج يأمره أنْ يبعثَ إليه برأس عبّاد بن أسلم البكري، فقال له عبّاد: أيُّها الأمير، أنشُدُكَ الله لا تقتلني، فوالله إني لأعولُ أربعاً وعشرين امرأة ما لهنَّ كاسبٌ غيري. فرقَّ لهنَّ واستحضرهنَّ، وإذا واحدة منهنَّ كالبدر. فقال لها الحجاج: ما أنت منه؟ قالت: أنا بنتُهُ، فاسمع يا حجاج مني ما أقول، ثم قالت:

أحجَّاجُ إمَّا أنْ تَمُنَّ بتركهِ ... علينا وإمَّا أنْ تقتلنا مَعَا
أحجَّاجُ لا تفجعْ بهِ إنْ قتلتَهُ ... ثمانٍ وعَشْراً واثنتيْنِ وأَرْبَعا
أَحجَّاجُ لا تتركْ عليهِ بناتِهِ ... وخالاتِهِ يَنْدُبْنَهُ الدهرَ أَجمَعَا

فبكى الحجاج ورقَّ له، واستوهبه من أمير المؤمنين عبدالملك وأمر له بصلةٍ.

❋ ❋ ❋

(حفصة بنت الحاج الركونيَّة)

قالت هذه الشاعرة الأندلسية:

أغَارُ عَلَيْكَ مِنْ عَيْني رَقيبي ... وَمِنْكَ وَمِنْ زَمَانِكَ والمَكانِ

وَلَوْ أنّي وَضَعْتُكَ في عُيُوني ... إلى يَوْم القِيامَةِ ما كَفَاني

زَائِرٌ قَدْ أتَى بِجِيدِ الغَزَالِ ... مُطْلِعٌ تَحْتَ جُنْحِهِ لِلْهِلالِ

بِلِحَاظٍ مِنْ سِحْرِ بَابِلَ صِيغَتْ ... وَرُضابٍ يَفُوقُ بِنْتَ الدَّوالي

يَفْضَحُ الوَرْدَ مَا حَوَىٰ مِنْهُ خَدٌّ ... وَكَذَا الثَّغْرُ فَاضِحٌ للآلي

ما تَرَى في دُخُولِهِ بَعْدَ إذْنٍ ... أوْ تَرَاهُ لِعَارِضٍ في انْفِصَالِ

❋ ❋ ❋

(زينب بنت علي رضي الله عنهما)

كانت زينب بنت علي رضي الله عنهما تقول: من أراد أن يكون الخَلْقُ شفعاءَهُ إلى الله فَلْيَحْمَدْهُ، ألم تسمعْ إلى قولهم: «سمع الله لمن حمده»، فَخَفِ الله لقدرتِهِ عليك، وٱسْتَحِ منه لقُربِهِ منك.

❋ ❋ ❋

(أم الضَّحّاك المحاربيَّة)

شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية، ذكرها أبو تمام في الحماسة الصّغرى، وروى لها ابن الشجريّ مقطوعتين في حماسته. ومن شعرها:

يا أَيُّها الرَّاكِبُ الغادي لِطِيَّتِهِ ... عَرِّجْ أُبُثُّكَ عَنْ بَعْضِ الَّذِي أَجِدُ
ما عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدٍ تضَمَّنَهُمْ ... إلاَّ وَوَجْدِي بِهِ فَوْقَ الَّذي وَجَدُوا
حَسْبِي رِضَاهُ وأنِّي في مَسَرَّتِهِ ... وَوُدِّهِ آخِرَ الأيَّامِ أَجْتَهِدُ

❋ ❋ ❋

(عُلَيّة بنت المهدي)

يا عاذِلي قَدْ كُنْتُ قَبْلَكَ عاذِلاً ... حَتَّى ٱبْتُليتُ فَصِرْتُ صَبّاً ذاهِلا
الحُبُّ أوَّلُ ما يكونُ مَجانَةً ... فإذا تَحَكَّمَ صارَ شُغْلاً شاغِلا
أرْضىٰ فَيَغْضَبُ قاتِلِي فَتَعَجَّبوا ... بِرِضىٰ القَتيلِ ولا يُرَضِّي القاتِلا

❋ ❋ ❋

(عِشرِقة المحاربية)

قالت وهي عجوز:

جَرَيْتُ مَعَ العُشَّاقِ في حَلْبَةِ الهَوىٰ ... فَفُقْتُهُمُ سَبْقاً وَجِئْتُ على رِسلي
فَمَا لَبِسَ العُشَّاقُ مِنْ حُلَلِ الهوىٰ ... ولا خَلَعُوا إلاَّ الثِّيابَ الَّتي أُبْلي
ولا شَرِبُوا كأساً مِنَ الحُبِّ مُرَّةً ... ولا حُلْوةً إلاَّ شَرابُهُمُ فَضْلِي

❋ ❋ ❋

(حمدونة بنت زياد)

وَمِنْ بَيْنِ الظِّباءِ مَهاةُ أُنْسٍ ... سَبَتْ لُبِّي وَقَدْ مَلَكَتْ فُؤادي
لَهَا لَحْظٌ تُرَقِّدُهُ لأمْرٍ ... وذاكَ الأمْرُ يَمْنَعُني رُقادي

إذا سَدَلَتْ ذوائِبَها عَلَيْها ... رأيْتَ البَدْرَ في أُفُقِ السَّوادِ
كأنَّ الصُّبْحَ ماتَ لَهُ شَقِيقٌ ... فَمِنْ حُزْنٍ تَسَرْبَلَ بِالحِدادِ

❋ ❋ ❋

(ولادة بنت المُستكفي)

ألا هَلْ لنا من بعد هذا التَّفَرُّق ... سَبيلٌ فَيَشْكو كُلُّ صَبٍّ بِما لَقي
وَقَدْ كُنْتُ أوْقاتَ التَّزاوُرِ في الشِّتا ... أبيتُ على جَمْرٍ مِنَ الشَّوْقِ مُحْرِقِ
تَمُرُّ اللَّيالي لا أرىٰ البَيْنَ يَنْقَضي ... ولا الصَّبْرَ مِنْ رِقِّ التَّشَوُّق مُعْتِقي
سَقى اللَّهُ أرْضاً قَدْ غدَتْ لَكَ مَنْزِلاً ... بِكُلِّ سَكوبٍ هَاطِلِ الوَبْلِ مُغْدِقِ
لَوْ كُنْتَ تُنْصِفُ في الهَوىٰ ما بَيْننا ... لَمْ تَهْوَ جارِيَتي ولَمْ تَتَخَيَّرِ
وَتَرَكْتَ غُصْناً مُثْمِراً بِجَمالِهِ ... وَجَنَحْتَ لِلْغُصْنِ الذي لَمْ يُثْمِرِ
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأنَّني بَدْرُ السَّما ... لكِنْ دُهيتَ لِشَقْوَتي بِالمُشْتَري

❋ ❋ ❋

(ليلى العامرية)

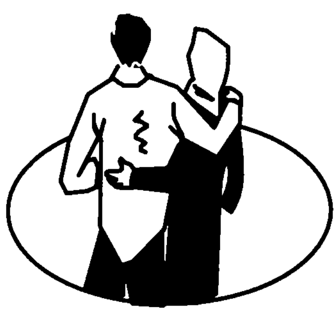
لم يَكُنِ المَجْنونُ في حالةٍ ... إلاَّ وَقَدْ كُنْتُ كما كانا
لكنَّهُ باحَ بِسرِّ الهَوى ... وإنَّني قَدْ ذُبْتُ كِتْمانا
كِلانا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بُغْضاً ... وكُلٌّ عندَ صاحِبِهِ مكينُ
تُبَلِّغنا العيونُ بما أرَدْنا ... وفي القلبَيْنِ ثَمَّ هَوىً دَفينُ
وكيفَ يَفوتُ هذا النَّاسَ شيءٌ ... وما في الناسِ تُظْهِرُهُ العُيونُ
باحَ مجنونُ عامرٍ بهواهُ ... وكتمتُ الهوىٰ فَمُتُّ بوَجْدي
فإذا كانَ في القيامةِ نُودِي ... مَنْ قتيلُ الهوىٰ تَقدَّمْتُ وَحْدِي

(رابعة العدوية)

رابعة بنت إسماعيل العدوية امرأة عابدة صالحة، لها شعر في حب الله تعالى منه:

أُحِبُّكَ حُبَّين حُبَّ الهَوىٰ ... وحُبّاً لأنَّكَ أهْلٌ لِذاكا
فأمَّا الَّذي هو حُبُّ الهَوىٰ ... فَشُغْلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِواكا
وَأمَّا الَّذي أنْتَ أهْلٌ لَهُ ... فَكَشْفُكَ لِيْ الحُجْبَ حَتَّى أراكا
فَلا الحَمْدُ في ذا ولا ذَاكَ لي ... ولكنْ لَكَ الحَمْدُ في ذَا وَذَاكا
يا سُرورِي ومُنْيَتي وعِمَادِي ... وأنيسي وعُدَّتي ومُرادي
أنْتَ روحُ الفؤادِ أنْتَ رَجائي ... أنْتَ لِي مُؤنِسٌ وشوقُك زادي
أنْتَ لولاكَ يا حياتي وأُنْسي ... ما تَشَتَّتُّ في فَسِيحِ البلادِ
كَمْ بَدَتْ مِنَّةٌ وكَمْ لكَ عِندي ... مِنْ عَطاءٍ ونِعْمَةٍ وأيادي
حُبَّكَ الآنَ بُغْيَتي ونَعيمي ... وجلاءٌ لِعَيْنِ قَلْبي الصّادي
إنْ تَكُنْ راضياً عليَّ فإني ... يا مُنى القَلبِ قَدْ بدا إسْعادي
فَلَيْتَكَ تَحْلُو والحياةُ مريرةٌ ... وليتَكَ تَرْضَى والأنامُ غِضابُ
وليتَ الذي بَيْني وبَينَكَ عَامِرٌ ... وبَيْني وبَيْنَ العَالَمِينَ خَرابُ
إذا صَحَّ مِنْكَ الوُدُّ فالكُلُّ هَيِّنٌ ... وكلُّ الذي فَوْقَ التّرابِ تُرابُ

من أخبار الجواري



من أخبار الجواري
(بذل الدراهم)

❁ قيل: إنَّ بصرياً دخل مدينة بغداد مرَّةً، فلم يزلْ يمضي في محالها حتى انتهىٰ إلى محل معين، فإذا بجاريةٍ مشرفةٍ تنظر إلى الطريق فهويَها، فلم يزل يكتب إليها فلا تجيبه.

فكتب إليها يوماً رقعةً يشكو فيها بثَّهُ، وفي آخرها:

هل تعلمين وراءَ الحبِّ منزلةً   تُدْني إليكِ فإنَّ الحبَّ أقْصاني

فكتبتْ إليه:

نعم حبيبي وراء الحب منزلة   بذلُ الدراهم يُرْضي كُلَّ إنسان
من زاد في الوزن زدنا في محبته   ما يطلبُ الدهرُ إلاَّ فضلَ رجْحان

❁ ❁ ❁

❁ (والله يحب المحسنين)

❁ روي عن ميمون بن مهران: أنَّ جاريته جاءَت ذات يوم بصحفة فيها مرقة حارّة، وعنده أضياف فعثرت فصبت المرقة عليه، فأراد ميمون أنْ يضربها، فقالت الجارية: يا مولاي، استعمل قول الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، قال لها: قد فعلتُ. فقالت: أعمل ما بعده ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، فقال: قد عفوتُ عنك. فقالت الجارية:

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، قال ميمون: قد أحسنتُ إليكِ، فأنتِ حرَّةٌ لوجه الله تعالى.

وروي عن الأحنف بن قيس مثله.

[تفسير القرطبي ٤/٣٠٧]

❊ ❊ ❊

(أبو بكر الصديق والجارية)

قال الخرائطي: حدثنا علي بن الأعرابي، حدثنا أبو غسان النهدي قال: مَرَّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته بطريقٍ من طُرقِ المدينة، فإذا جارية تطحنُ برحاها وهي تقول:

وهويتُهُ من قبل قطع تمائمي ... مُتمايساً مثلَ القضيبِ النَّاعِمِ(١)
كأنَّ نورَ البدرِ سُنَّةُ وَجْهِهِ ... يَنْمي ويَصْعَدُ في ذُؤابةِ هاشمِ(٢)

فدَقَّ عليها الباب فخرجتْ إليه فقال: وَيْلَكِ أحُرَّةٌ أنتِ أمْ مملوكة؟ فقالت: بل مملوكة يا خليفة رسول الله ﷺ، قال: فَمَنْ هَوَيْتِ؟ فبكت ثم قالت: بحق الله إلا انصرفتَ عني، قال: لا أديمُ أو تعلميني، فقالت:

وأنا التي لَعِبَ الغَرامُ بِقَلْبِها ... فبكتْ لِحُبِّ محمدِ بنِ القاسمِ

فصار إلى المسجد وبعثَ إلى مولاها فاشتراها منه، وبعث بها إلى محمد بن قاسم بن جعفر بن أبي طالب، وقال: هؤلاء فِتَنُ الرجال، وكم قد مات بهن من كريم، وعطِبَ عَلَيْهِنَّ من سليم.

[روضة المحبين لابن القيم]

---

(١) متمايساً: متبختراً.
(٢) ينمي: يزيد. الذؤابة: الناصية، وقيل: منبتها من الرأس، وذؤابة القوم: أشرفهم.

(مروءة ابن معمر)

قيل: إنّ فتًى من ذوي النعم، قعد به دهره، وألحَّ عليه الفقر، وكانت له جارية من أحسن الناس وجهاً وجمالاً، وكان يحبّها حبّاً شديداً، وهي كذلك. فلمّا ضاق عليه الحال، واشتدَّ به الأمر، قال لها: ما ترين ما نحن فيه من الشدَّة، ورقة الحال، فإن رأيتِ أن أبيعكِ لبعضَ المموّلين، فأتّسعَ في ثمنك، وأنتِ تتمتَّعين عنده، فعلتُ!

فقالت: والله، إنَّ فراق روحي من جسدي، عليَّ أهونُ من فراقكَ. ثمّ إنّه طيّبَ خاطرها، وخرج بها، واستشار بعض أصحابه أنْ يعرضوا ذكرها لبعض التجّار ليشتريها أحد منهم. فقالوا له: إن كان ذلك لا بدَّ منه، فابْعثها إلى عبدالله بن مُعَمّر، وكان عاملاً على العراق. فحملها إليه وعرضها عليه، فاسْتحسنها ووقعت منه موقع الإعجاب. فقال: كم رجوتَ فيها؟ فقال: أربعين ألفاً. فدفع له ثمنها، وعشرة آلاف لنفقته، وعشرة رؤوس خيل، وقال له: هل رضيتَ بذلك؟ قال: نعم! وسّع الله عليك، ورضي عنك.

فأمر عبدالله أن تدخل الجارية إلى داره، ويُكرم مثواها، فأمسكت الجارية بجانب السرير، وجعلت تقول:

هنيئاً لكَ المالُ الذي قد أخذته ... ولم يبقَ في كفّي غيرُ التفكُّرِ
أقولُ لنفسي وَهْي في كُرُباتها ... أقلّي فقد بانَ الحبيبُ وأكثري
إذا لم يكنْ في الأمر عندكِ حيلةٌ ... ولم تجدي بُدّاً من الصّبر فاْصبري

فلما سمع الفتى ذلك، بكى حتّى ارتفع نحيبه، ثمّ قال:

ولولا قعودُ الدهرِ عنكِ فلم يكنْ ... يُفرّقنا شيءٌ سِوى الموتِ فاْصبري
أروحُ بهمٍّ من فراقك مُؤْلِم ... أُناجي به قلباً قليلَ التصبُّرِ
عليكِ سلامٌ لا زيارةَ بيننا ... ولا وَصْلَ إلاّ أنْ يشاءَ ابنُ مُعَمّرِ

فقال عبدالله بن معمر: قد شِئتُ، خُذْها، وخُذِ المالَ الذي صار إليك.

فأخذ الفتى المال، والخيل، والجارية؛ وانْصرفَ داعياً له على فعله الجميل، وإحسانه.

[المختار للمقرّي]

❋ ❋ ❋

(جارية الأنصاري)

۞ وُصف لعبدالملك بن مروان جاريةٌ لرجل من الأنصار ذاتُ أدبٍ وجمال، فساومه في ابتياعها؛ فامتنع وامتنعت، وقالت: لا أحتاج للخلافة ولا أرغبُ في الخليفة، والذي أنا في مُلكه أحبُّ إليّ من الأرض ومن فيها. فبلغ ذلك عبدالملك فأغراه بها، فأضعف الثمن لصاحبها وأخذها قسْراً، فما أُعجب بشيءٍ إعجابه بها، فلمَّا وصلت إليه وصارت بين يديه أمرها بلزوم مَجْلِسِهِ، والقيام على رأسه، فبينما هي عنده، ومعه ٱبْناهُ: الوليد، وسلَيمان، قد أخلاهما للمذاكرة، فأقبل عليهما فقال: أيُّ بيتٍ قالتهِ العرب أمدح؟

فقال الوليد: قول جرير فيك:

ألستُم خَيْرَ من ركب المطايا وأندى العالمينَ بُطُونَ راحِ[1]

وقال سليمان: بل قول الأخطل:

شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتقادَ لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قَدَروا[2]

فقالت الجارية: بل أمدح بيت قالتَه العرب قول حسَّان بن ثابت:

يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرّ كلابُهُمْ لا يُسْألون عن السوادِ المُقْبِلِ[3]

(١) أي أكثر الناس عطاءً.
(٢) شمس العداوة: الشُمْس: جمع شَموس، وهو الصعب العَسِر.
(٣) أي أنِسَت كلابهم بكثرة ضيوفهم. والسواد: الجمع الكثير.

فأطرق ثمّ قال: أيّ بيتٍ قالته العرب أرقّ؟

فقال الوليد: قول جرير:

إنَّ العيونَ التي في طَرْفها حَوَرٌ قَتَلْنَنا ثمَّ لم يُحْيِينَ قَتْلانا

فقال سليمان: بل قول عمر بن أبي ربيعة:

حبّذا رَجْعُها إليها يَدَيْها في يَدَيْ دِرْعِها تَحُلُّ الإزارا[١]

فقالت الجارية: بل بيتٍ يقوله حَسّان:

لو يَدِبُ الحَوْليُّ مِن وَلَد الذَّرّ عليها لأَنْدَبَتْها الكُلومُ[٢]

فأطرق ثمَّ قال: أيّ بيتٍ قالته العرب أشجع؟

فقال الوليد: قول عنترة:

إذْ يتَّقُونَ بيَ الأسِنَّةَ لم أخِمْ عنها وَلَوْ أنّي تَضايَقَ مُقْدمي[٣]

فقال سليمان: بل قوله:

وأنا المنيّةُ في المواطنِ كُلِّها فالموتُ مِنّي سابقُ الآجالِ

فقالت الجارية: بل بيت يقوله كعب بن مالك:

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بِخَطْونا قُدُماً ونَلْحَقُها إذا لم تَلْحَقِ

فقال عبدالملك: أحْسَنْتِ، وما نرى شيئاً في الإحسان إليكِ أبلغ من رَدِّكِ إلى أهلكِ. فأجملَ كُسْوتها، وأَحْسَنَ صِلتَها، وردَّها إلى أهلها.

[زهر الآداب للحصيري]

(١) الدرع: قميص المرأة. الإزار: كل ما يستر الإنسان.
(٢) أي لو مشى النمل الصغير على جسدها لظهر أثر ذلك كالجراح، وذلك لرقة بشرتها ونعومتها.
(٣) أخم: أحِد، أزِح.

(المبرد والجارية)

ذُكر أن رجلاً دعا المبرّد بالبصرة مع جماعةٍ، فغنَّتْ جاريةٌ من وراء السِّتار وأنشأت تقول:

وقالوا لها: هذا حَبيبُكِ مُعْرِضاً ... فقالت: إلى إعْراضِهِ أيْسَرُ الخَطْبِ
فما هي إلاّ نَظْرةٌ بِتَبَسُّمٍ ... فَتَصْطَكُّ رجلاهُ وَيَسْقُطُ لِلْجَنْبِ

فَطَرِبَ كلُّ من حَضَرَ إلاّ المبرّد. فقال له صاحبُ المجلس: كُنْتَ أحَقَّ الناسِ بالطَّرَبِ. فقالت الجارية: دَعْهُ يا مولاي، فإنَّهُ سمعني أقول: هذا حبيبُكِ مُعْرِضاً، فظَنَّني لَحَنْتُ، ولم يعلم أنَّ ابن مسعود قرأ: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾، قال: فطربَ المبرّد إلى أنْ شقَّ ثوبه!

[أدبنا الضاحك للعطيري]

***

(هيلانة جارية الرشيد)

لما تُوفِّيت هيلانة جارية الرشيد، أمر العباس بن الأحنف أنْ يَرْثيَها، فقال:

يا مَنْ تباشَرَتِ القُلُوبُ بِمَوْتِها ... قَصَدَ الزَّمانُ مساءَتي فَرَماكِ
أبْغِي الأنيس فلا أرَى ليَ مُؤنساً ... إلاّ التَّرَدُّدَ حَيْثُ كُنْتُ أراكِ
مَلِكٌ بكَاكِ وطالَ بَعْدَكِ حُزْنُهُ ... لو يَسْتَطِيعُ بِمُلْكِهِ لَفَدَاكِ
يَحْمِي الفُؤادَ عَنِ النّساءِ حَفِيظَةً ... كيلا يَحُلَّ حِمَى الفُؤادِ سِوَاكِ

فأمَرَ له بأربعين ألف دِرْهم، لكل بيتٍ عشرة آلاف درهم، وقال: لو زِدْتنا لزدناك.

***

(من أعاجيب الزمن)

رُوي أنَّ الرشيد عَتَب على بعض جواريه في أمرٍ، وكان يُحِبُّها حبّاً شديداً، فحلف ألاّ يدخل حُجْرَتها، فلم تترضّاه، فقال:

صَدَّ عَنِّي إذْ رآني مُفْتَتَنْ ... وأطالَ الصدَّ لمَّا أنْ فَطِنْ
كان مَمْلُوكي فأضْحَى مالِكي ... إنّ هذا مِنْ أعاجِيب الزَّمنْ

ثمَّ بعثَ إلى أبي العتاهية يأمُرُهُ أنْ يُجيزَها، فقال:

عِزَّةُ الحُبِّ أرَتْهُ ذِلّتي ... في هَوَاهُ ولَهُ وَجْهٌ حَسَنْ
فلهذا صِرْتُ مَمْلُوكاً لهُ ... ولهذا شاعَ أمْرِي وَعَلَنْ

***

(جارية لعلي رضي الله عنه)

عن عطاء بن السائب، عن أبي البختَري، قال: كان لعلي رضي الله عنه جارية، وكان له مُؤذّن بالرُّحبة يُؤَذّن بغَلَس، وكانت الجارية تخرُجُ تستَعْذِب له الماء من الفُرات، فكانت كلّما تمرّ بالمؤذّن يقول لها: أنا والله يا فلانة أُحِبُّكِ. فلما أكثر عليها شكتْه إلى عليّ، فقال لها: إذا قال لكِ أنا والله أحبُّكِ، فقولي له: أنا واللّهِ أحبُّكَ، فماذا؟ فقالت له، فقال: نصبر حتى يَحْكُمَ اللّهُ وهو خير الحاكمين. فجاءَتْ إلى عليّ فأخبرته، فقال: اذهبي فائتني به. فلما دخل عليه رحَّب به وأدناه، وقال له: يا فلان، في قلبك من فلانة شيء؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فهل علِم بذلك أحد من الناس؟ قال: لا والله، قال: فناشده ثلاثاً، كل ذلك يحلِف له، قال: فشأنُكَ بها فخُذْ بيدها فهي لك، فهذا من حُكْمِ الله وهو خير الحاكمين.

***

❁ (هارون الرشيد وثلاث جوارٍ)

❁ قال هارون الرشيد في ثلاث جوارٍ:

مَلَكَ الثَّلاثُ الغانِياتُ عِناني وَحَلَلْنَ مِنْ قلبي بِكُلِّ مَكانِ
ما لي تُطاوعني البَرِيَّةُ كُلُّها وأُطِيعُهُنَّ وهُنَّ في عِصْيانِي
ما ذاك إلاّ أنّ سُلطانَ الهَوى وبِهِ قَوِينَ أعزُّ مِنْ سُلْطَاني

❁ ❁ ❁

❁ (فقيه أهل الحجاز والجارية)

❁ دخل عبدالله بن أبي عمَّار - وهو يومئذ فقيه أهل الحجاز - على نخّاس، فَعَلِق فتاةً فاشتهرَ بذكْرها، حتى مشى إليه عطاء وطاووس ومجاهد يَعْذِلُونه، فكان جوابُه:

يلومُني فيكِ أقوامٌ أُجالِسُهُمْ فما أُبالي أطارَ اللوْمُ أمْ وَقَعَا

فانتهى خبرُهُ إلى عبدالله بن جعفر، فلم يكن له هِمَّة غيرُه، فحجّ فبعث إلى مولىٰ الجارية، فاشتراها منه بأربعين ألفاً، وأمر قَيِّمَةَ جواريه أن تُزَيِّنَها وتُجلِّيها، ففَعَلتْ وبلغ الناسَ قُدومُهُ، فدخلوا عليه، فقال: ما لي لا أرى ابن أبي عمّار زائِرَنا؟ فأُخْبِرَ الشيخُ فأتاه.

فلمّا أراد أنْ ينهضَ ٱسْتَجْلَسَهُ، فقعدَ، فقال له ابن جعفر: ما فعل حُبُّ فلانة؟ فقال: سِيط به لحمي(١)، ودمي، وعَصَبي، ومُخِّي، وعظامي! قال: فتَعْرفها إن رأيتها؟ قال: وأعرف غيرها، قال: فإني قد اشتريتها، ووالله ما نظرتُ إليها. وأمرَ بها، فأُخْرِجَت فزُفّتْ في الحُلى والحُلل، فقال: أهي هذه؟ قال: نعم بأبي أنتَ وأمي، قال: فخُذ بيدها، فقد

(١) سيط: اختلط ومُزِجَ.

جعلها الله لك، أرَضِيتَ؟ قال: إي والله! بأبي أنت وأمي، وفوق الرِّضا. فقال له ابن جعفر: ولكنّي والله لا أرضَى أن أعطيكها صُفراً، احمِلْ معه يا غلام مائة ألف درهم كي يهتمّ بمؤونتها. قال: فراح بها وبالمال.

❋ ❋ ❋

(جارية عبدالله بن عمر)

كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أعتق جاريته التي يقال لها: رُمَيْثَة، وقال: إني سمعتُ الله قال في كتابه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [سورة آل عمران/٩٢]، وإني والله إنْ كنتُ لأحبك في الدنيا، اذهبي فأنتِ لوجه الله.

❋ ❋ ❋

(جارية فاطمة بنت عبدالملك)

كانت لفاطمة بنت عبدالملك بن مروان زوجة عمر بن عبدالعزيز جارية ذات جمال فائق، وكان عمر معجباً بها قبل أن تُفْضَى إليه الخلافة، فطلبها منها وحَرِص، فأبَتْ دَفْعَها إليه وغارت من ذلك، فلم تزل في نفس عُمر.

فلما استُخْلِفَ أمرت فاطمة بالجارية، فأُصْلِحَتْ ثُمَّ جُلِّيَتْ فكانت حديثاً في حسنها وجمالها، ثمَّ دخلتْ فاطمة بالجارية على عُمر، فقالت: يا أمير المؤمنين، إنّكَ كُنتَ بفلانة جاريتي معجباً وسألْتنِيها، فأبيتُ ذلك عليك، وإنَّ نفسي قد طابت لكَ بها اليوم فَدُونكها.

فلما قالت ذلك اسْتَبانَتِ الفرحَ في وجهِه، ثمَّ قال: ابْعثي بها إليَّ، ففعلت، فلما دَخَلت عليه نظر إلى شيءٍ أعجبه فازداد بها

عَجَباً، فقال لها: أَلْقِي ثوْبَكِ، فلما همّت أن تفعلَ، قال: على رِسْلك، اقعدي، أخبريني لمن كنتِ ومن أين أنتِ لفاطمة؟ قالت: كان الحجاج بن يوسف أغْرَمَ عاملاً كان له من أهل الكوفة مالاً، وكنتُ في رَقيق ذلك العامل، فاسْتَصْفاني عنه مع رقيق له وأموال، فبعث بي إلى عبدالملك بن مروان، وأنا يومئذٍ صبيَّة، فوهَبَني عبدالملك لابنته فاطمة. قال: وما فعل ذلك العامل؟ قالت: هلك، قال: وما ترك ولداً؟ قالت: بلى، قال: وما حالهم؟ قالت: سيئة، قال: شدّي عليكِ ثوبك، ثمّ كتب إلى عامله: أنْ سَرِّح لي فلان ابن فلان على البريد، فلما قَدِمَ، قال له: ارفع إليّ جميع ما أغرم الحجاج أباك، فلم يرفع إليه شيئاً إلا دفعه إليه، ثم أمر بالجارية فدُفعتْ إليه، فلما أخذ بيدها قال: إياك وإياها فإنك حديث السن، ولعلّ أباك أن يكون قد وطئها، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين، هي لك. قال: لا حاجةَ لي فيها، قال: فابْتَعْها منّي، قال: لستُ إذن ممن ينهىٰ النفسَ عن الهوى. فمضى الفتى بها، فقالت الجارية: فأين موجدتك بي يا أمير المؤمنين؟ فقال: إنها لَعَلَى حالها ولقد ازدادت.

فلم تزل الجارية في نفس عمر حتى مات.

[الداء والدواء لابن القيم]

❋ ❋ ❋

(جارية ابن عبيد)

عن محمد بن عبيد الزاهد قال: كانت عندي جارية فبعتُها، فَتَتَبَّعَتْها نفسي، فصرْتُ إلى مولاها مع جَماعة من إخواني، فسألتُهُ أنْ يُقِيلَني ويربح عشرين ديناراً، فأبَى عليّ، فانصرفتُ من عنده فرمتُ فِطْري[1]

(١) فرمتُ فِطري: أي قصدت طعامي.

فلم أقدر عليه. فبتُّ ساهراً لا أدري ما أصنع. فخشي أن أعاوده في غدٍ، فأخرَجها إلى المدائن. فلمّا رأيتُ ما بي من الجَهد كتبتُ اسمَها في راحتي[١]، واستقبلتُ القِبلة. فكلّما طرقني طارق[٢] من ذكرها رفعتُ يدَيَّ إلى السماء وقلتُ: يا سيدي هذه قصّتي. حتى إذا كان في السَّحَر من اليوم الثاني إذا أنا برجلٍ يدقّ على الباب، فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: أنا مولى الجارية، فنزلتُ فإذا أنا بهِ، فقال: خذ الجارية بارك الله لك فيها، فقلتُ: خذْ دنانيرك والرّبحَ، فقال: ما كنتُ لآخذ منك ديناراً ولا درهماً، قلتُ: ولم ذاك؟ قال: لأنَّهُ أتاني آتِ الليلة في منامي، فقال لي: رُدَّ الجارية على ابن عُبَيْد، ولك على الله الجنة.

[أخبار النساء لابن الجوزي]

❋ ❋ ❋

(غادر، جارية موسى الهادي)

❁ كانت بارعة الجمال، وذات يوم عرض له فكرة فتغيّر لونه، فسأَله من حضر عن ذلك فقال: وقع فيَّ خاطري أنني أموتُ، ويتزوج أخي هارون هذه (غادر).

ثم إنه أمر بإحضار أخيه هارون واستحلفهُ بأيمان مُغَلّظة أنه لا يتزوجها بعده، وحلَّفها كذلك. وما لبث أقل من شهر حتى مات.

فأرسل إليها هارونِ يخطبها، فقالت له: فكيف بيميني ويمينك؟ فقال: أكفّر عن الكلِّ. فتزوجتهُ، وزاد حبه لها على أخيه.

فبينا هي ذات يوم نائمة، انتبهتْ فزعةً تبكي، فقال لها: ما الذي بك؟ قالت: رأيتُ أخاك موسى وهو يقول:

(١) راحتي: باطن الكف.

(٢) طرقني طارق: أتاني آتِ من ذكرها.

أَخْــلَــفْــتِ وَعْــدِي بَــعْــدَمَــا ... جَــاوَرْتُ سُــكَّــانَ الــمــقــابِــر
وَنَــسِــيْــتَــنِــي وَحَــنَــثْــتِ فــي ... أَيْــمــانِــكِ الــكُــذُبِ الــفَــواجِــر
وَنَــكَــحْــتِ عَــامِــدَةً أَخــي ... صَــدَقَ الــذي سَــمَّــاكِ غــادِر
لا يَــهْــنِــكِ الإلْــفُ الــجــديــــدُ ولا تَــدُرْ عــنــكِ الــدوائــرِ
ولَــحِــقْــتِ بــي قَــبْــلَ الــصَّــبَــاحِ ... وصِــرْتِ حَــيْــثُ غَــدَوْتُ صــائِــر

ولا تزال تبكي وتضطرب، وهو يقول لها: أضغاث أحلام، حتى ماتت بين يديه.

❋ ❋ ❋

(بنان جارية المتوكل)

قالت بنان: خرج المتوكل يوماً فمشى في صحن القصر وهو متكىء على يدي ويد (فضل الشاعرة) ثم أنشد قول الشاعر:

تعلمتُ أسبابَ الرضى خوف هجرها ... وعلمها حبي لها كيف تغضبُ

ثم قال: أجيزي هذا البيت، فقالت (فضل):

يصدُّ وأدنو بالمروءة جاهداً ... ويبعدُ عني بالوصال وأقربُ

فقلتُ:

وعندي لها العتبى على كل حالةٍ ... فما منه لي بدٌّ ولا عنه مذهبُ

❋ ❋ ❋

(بدعة)

لما قدم المعتضد من الشام دخلت إليه (بدعة) فقال لها: يا بدعة، أما ترين الشيب قد اشتعل في لحيتي ورأسي؟ فقالت: يا سيدي،

عمرك الله حتى ترى ولد ولدك قد شابوا، فأنت والله في الشيب أحسن من القمر.

ثم أنشدت:

مـا ضـرك الـشـيـب شـيـئـاً ... بـل زدتَ فـيـه جـمـالا
قـد هـذبـتـك الـلـيـالـي ... وزدتَ فـيـه كـمـالا
فـعـشْ لـنـا فـي سـرورٍ ... وأنـعـمْ بـعـيـشـك بـالا
تـزيـد فـي كـل يـومٍ ... ولـيـلـةٍ إقـبـالا
فـي نـعـمـة وسـرور ... ودولـةٍ تـتـعـالـى

فوصلها في ذلك اليوم صلةً سنيَّة.

❊ ❊ ❊

(أنا الملك الشاب)

نظر سليمان بن عبدالملك في المرآة فقال: أنا الملك الشاب، فقالت له جارية له:

أنتَ نِعْمَ المتاع لو كنتَ تبقى ... غيـر أنْ لا بـقـاءَ لـلإنـسـانِ
ليسَ فيما بدا لنا منك عيبٌ ... كان في الناسِ غير أنَّكَ فاني

❊ ❊ ❊

(ساهر)

كان الصولي يَهْوَى جاريةً بِسُرّ مَنْ رأى، يُقَالُ لها: (ساهر) وقد طال العهد بينهما، فَمَلَّها، وكانت شاعرة، فكتبتْ إليه تُعاتبُه:

بـالله يـا نـاقـضَ الـعـهـودِ بِـمَـنْ ... بَـعْـدَكَ مِـنْ أهـلِ وُدِّنـا أَثـقُ
لا غَـرَّنـي كـاتـبٌ لـه أدبٌ ... ولا ظـريـفٌ مـهـذبٌ لَـبِـقُ

كُنْتَ بِذاكَ اللسانِ تختلني دهراً ولَمْ أدرِ أنَّهُ ملقُ

فاعتذر إليها وراجعها، فلم تَرَ منه ما تكرهُ، إلى أنْ فَرَّقَ بينهما الدهرُ بالموت.

❊ ❊ ❊

(تيماء)

تيماء جارية أبي العباس خزيمة بن خازم النهشلي، شاعرة عباسية محسنة، من مواليد المدينة، كتبت إلى مولاها وقد خرج إلى الشام:

تفديك تيماءُ من سُوءٍ تُحاذِرُهُ فأنتَ مُهْجَتُها والسَّمْعُ والبَصَرُ
لئنْ رحلْتَ لقد أبْقَيتَ لي حَزَناً لم يَبْقَ لي مَعَهُ في لذَّةٍ وَطَرُ
فهلْ تذكرْتَ عهدي في المغيب كما قد شفَّني الهمُّ والأحزانُ والفِكرُ

❊ ❊ ❊

(جُمل)

شاعرة عباسية هجتْ صاحبها إدريس بن أبي حفصة بقولها:

يا جُمْلُ لو كنتِ عندالله مُسْلمةً لما ٱبْتُليتِ بشيخٍ مثل إدريس
لما ٱبْتُليتِ بشيخٍ لا حراك به أبقى له الدهرُ منهُ شرَّ ملبُوسِ
أمْسَى وأصبحَ مما لا يبوحُ به مما تحبِّينَ رأساً في المفاليس

❊ ❊ ❊

(دنانير)

دنانير شاعرة عباسية، مولاة لمحمد بن كناسة الشاعر العباسي المعروف، وكان له صديق يكنى أبا الشعثاء يعرض دائماً لجاريته دنانير، ويظهر حبه لها، فقالت دنانير فيه:

لأبي الشعثاء حُبٌّ باطن ... ليس فيه نهضة للمتهمْ
زارني منه كلام صائب ... ووسيلات المحبين الكلمْ
صائدٌ تأمنُهُ غزلانُهُ ... مثلما تأمنُ غزلانُ الحرمْ
صَلِّ إنْ أحببتَ أنْ تُعطى المنى ... يا أبا الشعثاء لله وصُمْ
ثم ميعادكَ يوم الحشر في ... جنة الخلد إنِ اللَّهُ رحمْ
حيث ألقاك غلاماً ناشئاً ... يافعاً قد كملتْ فيه النِّعمْ

❋ ❋ ❋

(سَكَن)

❁ شاعرة عباسية، كانت أمَةً لمحمود الوراق، فلما أراد بيعها بعثت إلى المعتصم الخليفة العباسي، تسأله أن يشتريها، فرفضَ، وخرَّقَ رسالتها ورمى بها، لأنه كان أراد مرة ابتياعها فأبت، فقالت سَكَن في ذلك:

ما للرسول أتاني منكَ باليأس ... أحدثتَ بعد ودادٍ جفوة القاسي
فهبْكَ ألزمتني ذنباً بظلمك لي ... ماذا دعاكَ إلى تخريق قرطاسي
يا مُتبعَ الظلم ظلماً كيف شئتَ فكنْ ... عندي رضاكَ على العينين والراسِ
إني أحبُّكَ حُبّاً لا لفاحشة ... والحبُّ ليس به في الله من باسِ

❋ ❋ ❋

(قاسم، جارية ابن طرخان)

❁ شاعرة من شواعر العصر العباسي، دخل عليها العباس بن الأحنف فقال لها: أجيزي هذا البيت، وأنشد:

أهدى له أحبابُهُ أُترجّةً ... فبكى وأشفقَ من عيافةِ زاجرِ

فقالت وأسرعت:

متطيِّراً منها أَتَتْهُ وَطَعْمُها ... لونانِ باطنُهُ خلافُ الظاهرِ

❋ ❋ ❋

(الجارية الداهية)

قال علي بن الجهم: اشتريت جاريةً، فقلتُ لها: ما أحسبك إلا بكراً، فقالت: يا سيدي، كثرتْ الفتوحُ في زمن الواثق.

فقلتُ لها: كم بيننا وبين الصبح؟

قالت: عناق مشتاق.

فقلتُ: إنَّ الشمس كاسفة.

فقالت: خجلت من محاسني، فانكسفت.

فقلت: نجعل مجلسنا الليلة في القمر.

فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر.

فقلتُ لها: خُذي هذه الحلي، وتزيني بها.

فقالت: ما أحتاج إليها، إنّها تغطي المحاسن، وتَسْتُر القبائح.

قال: فرضيتُ بها، وازددتُ فيها تعلقاً.

* * *

(حظوظ الجواري)

قال الزبير: ذكر رجل من قريش سُوءَ خُلْقِ امرأَتهِ بين يدي جارية له كان يتخطّاها، فقالت له: إنما حظوظ الإماء لسوءِ خلائق النساءِ الحرائر.

* * *

(جارية المارقي)

اشترى أمير المؤمنين جارية المارقي بخمسة آلاف دينار، فلمَّا دخلت عليه قال لها: غنّي يا جارية، فغنَّتْ وهي قائمة، فقال لها: لِمَ غنّيتِ

قائمة، وما مَنعكِ من الجلوسِ؟ قالت: يا سيّدي، أمرتني أنْ أُغني ولم تأمرني أنْ أجلس، فغنّيتُ بأمْرِكَ وكرهتُ سُوءَ الأدب في الجلوس بغير إذنك، فاسْتَحْسَنَ فعلها وأمر لها بمال وأحظاها.

❋ ❋ ❋

(الفتى الأمويّ والجارية)

كان بالمدينة فتًى من بني أُمية، وكان ظريفاً، وكان يختلفُ إلى قينةٍ لبعض قريش. وكانت الجارية تحبه ولا يعلم، ويحبها ولا تعلم. ولم تكن محبة القوم إذ ذاك لريبةٍ ولا لفاحشةٍ، فأراد أن يبلو ذلك. فقال لبعض مَنْ عنده: امضِ بنا إليها، فانطلقا ووافاهما وجوهُ أهل المدينة من قريش والأنصار وغيرهم، وما كان فيهم فتًى يجد بها وَجْدَهُ ولا تجدُ بواحدٍ منهم وَجْدَها بالأمويّ. فلمّا أنْ أخذ الناس أمكانهم، قال الفتى: أتحسنين أن تقولي:

أُحِبُّكُمُ حبّاً بكلِّ جوارحي فَهَلْ عندكُمْ عِلْمٌ بما لكُم عِنْدي
أَتجزونَ بالودِّ المُضاعَفِ مثلِهِ فإنَّ الكريمَ مَنْ جَزَى الودَّ بالوُدِّ

قالت: نعم، وأحسن منه، فقالت:

للذي وَدَّنا المودَّةَ بالضِّعْفِ وفَضْلُ البادِي بِهِ لا يُجَازَى
لَوْ بَدَا ما بنا لكُمْ ملأَ الأرضَ وأقطارَ شامِها والحِجازا

فعجب الفتى من ذهنها مع حُسْن جوابها وجودة حفظها، فازداد كَلَفاً بها، فقال:

أنتِ عُذْرُ الفتى إذا هَتَكَ السِّتْـ ـرَ وإنْ كانَ يوسفَ المَعْصُوما

❋ ❋ ❋

(أشعب والجارية)

❁ كان أشعب يختلف إلى جارية بالمدينة، فلما أراد الخروج يوماً سَأَلها أن تعطيه خاتم ذهب في يدها ليذكرها به، فقالت: إنه ذهب، وأخاف أن تذهب، ولكن خُذْ هذا العود، فلعلك أن تعود. وكانت على جانب كبير من الحسن والجمال، فأصابتها علّة، فتغير حالها.

فكانت تنشد:

ولي كبدٌ مقروحةٌ مَنْ يَبِيعُني ... بها كبداً لَيْسَتْ بِذاتِ قروحِ
أَباها عليَّ الناسُ لا يَشْتَرُونها ... وَمَنْ يَشْتري ذا عِلَّةٍ بصحيحِ

❁ ❁ ❁

(ابن جامع والجارية)

❁ قال ابن جامع: افتقرتُ يوماً فقراً شديداً، وأنا في مكة، فانتقلتُ منها بعيالي إلى المدينة، ثم إني مضيتُ ذات يومٍ في بعض طريقي، فصادفتُ جاريةٍ حميراء، على رقبتها جرة، وهيَ تريد البئر، وتترنم بصوت شجيّ بأبيات، وتقول:

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا ... فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لأنَّ النوم يغشَى عيونهم ... سريعاً ولا يغشى لنا اليوم أعينا
إذا ما دنا الليل المضر لذي الهوى ... جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلما ... نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

قال: فأَخذ الغناء بقلبي، وقلتُ: يا جارية، ما أدري أوجهك أحسن أم غناؤك؟ فلو شئتِ أعدتِ، قالت: حبّاً وكرامة. ثمَّ أسندتْ ظهرها إلى جدار، ثم انبعثت تغنيه. فقلتُ: أحسنتِ، ثمَّ دفعتُ إليها ثلاثة دراهم، لم يكن معي غيرها.

فأخذتها كارهة، ثم إني دخلتُ بغداد، واستطعتُ أنْ أرى في المسجد

بعض من كان يعرفني، فتوسط لي حتى أدخلني دار الخلافة، فجاوزتُ مقاصير عدة حتى صرتُ إلى دار واسعة، حيث رجل جالس، وعن يمينه ثلاث جوارٍ وصاروا يتغنون بأصوات عدة. وغنَّيتُ كل صوتٍ بعدهم، إلى أنْ غنيت الصوت الذي تعلمته من الجارية، حتى تزلزلت الدار عليهم، وخرج الخادم من وراء الستر، فقال: ويحك، لمن هذا الغناء؟ قلت: إنَّهُ لي، فرجع إلى الستر، ثم خرج فقال: كذبت، هذا غناء ابن جامع. فقلت: أنا إسماعيل بن جامع، فما شعرت إلا وأمير المؤمنين الرشيد قد أقبل من وراء الستر، فقال: تغنَّ يا إسماعيل. وانبعثتُ أغني بصوت الجارية الحميراء، فرفع الرشيد رأسه إلى خادم بالقرب منه، فدعا بكيس فيه ألف دينار. فرمى به إليّ، فأخذته، ودعوت لأمير المؤمنين، فأمر لي بدار مفروشة لا يملك مثلها إلا الأمراء.

* * *

(الرشيد وخالصة)

كان للرشيد جارية سمراء، ممشوقة القد، رقيقة اللفظ، ذات أدبٍ جم، تقول الشعر وتحفظه، وكانت تُدعى خالصة. وكانت تكيد لأبي نواس، ويكيد لها، لأنها استأثرت دونه باهتمام الرشيد، فإذا حضرت خالصة المجلس، توجهت الأنظار إليها، وأرهفت الأسماع لما تنطق به، وقلّ شأنُ أبي نواس. لذلك أخذ يتحين الفرص ليقتصَّ منها، وصدف أن الرشيد أهداها عقداً من اللؤلؤ بمناسبة أحد الأعياد، فاغتاظ أبو نواس، واستغل فرصة غيابها عن غرفتها، وكتب على الباب بيت شعر يقول:

لقد ضاع شعري على بابكم   كما ضاع عقد على خالصة

وجاءت فرأت ذلك. فأخذتْ تبكي وتصيح، وانطلقت إلى الرشيد مولولة، فأدرك أبو نواس أن الانتقام سيكون شديداً، فأسرع إلى بيت الشعر، ومحا ذنب العين من كلمة ضاع، فأصبحت ضاء. وجاء الرشيد

ليرى، فوجد الهمزة بدل العين وقال لها: إنه يمدحك بأحسن ما يكون المديحُ، فدهشتُ وقالت: لقد قلعت عيناهُ فأبصر.

❋ ❋ ❋

(وفاء جارية)

قال أبو السمراء: دخلتُ منزل نخَّاسٍ[(١)] في شراء جارية، فسمعتُ في بيتٍ بإزاءِ البيتِ الذي كنتُ فيه صوتَ جارية تقول:

وكنَّا كزوجٍ من قطاً في مفازةٍ لَدَى خفضِ عيشٍ مُعجِبٍ مُونِقٍ رغْدِ[(٢)]
أصَابَهما رَيْبُ الزمانِ[(٣)] فأُفرِدا ولم نَرَ شيئاً قطُّ أوْحَشَ من فَرْدِ

فقلتُ للنخَّاس: أعرض عليَّ هذه الجارية المنشِدة، فقال: إنَّها شعثة مرهاء[(٤)] حزينة، فقلتُ: ولِمَ ذلك؟ قال: اشتريتُها من ميراث فهي باكية على مولاها. ثم لم ألبث أن أنشدت:

وكنَّا كغصني بانةٍ وسطَ روضةٍ نشمُّ جنى الروضاتِ في عيشةٍ رَغْدِ
فأَفردَ هذا الغصنَ من ذاك قاطعٌ فيا فردةً باتَتْ تحِنُّ إلى فَرْدِ

❋ ❋ ❋

(إبراهيم بن المهدي والجارية)

قيل: اختفى إبراهيم بن المهدي زمن المأمون عند عمَّته، وكانت تكرمه غاية الكرامة، ووكَّلتْ به جارية قد أدَّبَتْها وأنفقتْ عليها الأموال،

(١) نخَّاس: بائع رقيق.
(٢) القطا: جمع قطاة: طائر بحجم الحمام. والمفازة: الصحراء. وخفض عيش: أي في سعة ولين.
(٣) ريب الزمان: نوائبه.
(٤) مرهاء: حمقاء. وشعثة: ملبدة الشعر.

وكانت حاذقة راوية للشعر، وكانت قد طُلبتْ منها بخمسين ومائة ألف درهم، وكانت تلي خدمة إبراهيم وتقومُ على رأسه، فهويها وكره طلبها من عمته. فلما اشتدَّ وجده بها أخذ عوداً وغنّى بشعر له فيها، وهي واقفة على رأسه:

يـــا غـــزالاً لِـــي إلـــيــهِ شـــافِــعٌ مـــن مُـــقْـــلَـــتَـــيْــهِ
والـــذي أجـــلَـــلْـــتُ خـــدَّيْــهِ فَـــقَـــبَّـــلْـــتُ يَـــدَيْـــهِ
بـــأبـــي وجـــهـــكَ مـــا أكـــثــر حُـــسَّـادي عـــلـــيــهِ
أنـــا ضَـــيْـــفٌ وجَـــزَاءُ الـــضَّـــيْـــفِ إِحْـــسَـــانٌ إلـــيْـــهِ

فسمعت الجارية الشعر وفطنتُ لمعناه لرقّتها وظرفها، وكانت مولاتُها تسألها عن حالها وحاله كلَّ يومٍ، فأخبرتْها في ذلك اليوم بما في قلبه منْها، وبما سمعتْ منه من الشعرَ والغناء فقالت لها مولاتها: اذهبي إليه وقد وهبتُكِ له. فعادت إليه، فلمَّا رآها أعاد الصوت، فأكَبَّتْ عليه الجارية، فقبّلتْ رأسه، فقال لها: كُفِّي. فقالت: قد وَهَبْتني مولاتي لك، وأنا الرسول. فقال: أمَّا الآنَ فَنِعْمَ.

[ذمّ الهوى لابن الجوزي]

❊ ❊ ❊

(ذكاء الجارية)

❁ خرج ابن زياد في فوارس فلقوا رجلاً ومعه جارية لم يُرَ مثلها في الحُسْن، فصاحوا به: خلِّ عنها، وكان معه قوس فرمى أحدهم فهابوا الإقدامَ عليه، فعاد ليرمي فانقطع الوتر، فهجموا عليه وأخذوا الجارية، فهرب، وانشغلوا عنه بالجارية. ومدَّ بعضهم يده إلى أُذنها وفيها قُرط[1]، وفي القرط دُرَّة يتيمة لها قيمة عظيمة، فقالت: وما قدر هذه

(١) القُرط: ما يعلق في شحمة الأذن.

الدُرَّة، إنكم لو رأيتم ما في قَلَنْسَوَتِهِ[١] من الدر لاستحقرتم هذه. فتركوها واتّبعوه وقالوا له: ألقِ ما في قلنسوتك وكان فيها وتر[٢] قد أعدَّه فنسيه من الدَّهَش. فلما ذكره ركَّبه في القوس ورجع إلى القوم فولّوْا هاربين وخَلَّوْا الجارية.

[ثمرات الأوراق لابن حجة]

❋ ❋ ❋

(بلاغة جارية)

دخل رجلٌ على الرشيد ومعه جارية للبيع، فتأَملها الرشيد ثمَّ قال: خذ جاريتك، فلولا كلف[٣] في وجهها، وخنس[٤] في أنفها لاشتريتُها، فانطلق بها فلمَّا بلغت الستر قالت: يا أمير المؤمنين، أُرددْني إليكَ أُنشدكَ بيتين حضراني، فردَّها، فأنشأتْ تقول:

مـا سَلِـمَ الـظَّـبْـيُ عـلـى حُـسْـنِـهِ   كـلاً ولا الـبـدرُ الـذي يُـوْصَـف
الـظَّـبْـيُ فـيـه خَـنَـسٌ بَـيِّـنٌ   والـبـدرُ فـيـهِ كَـلَـفٌ يُـعْـرَف

فأَعْجَبَتْهُ بلاغتُها فاشتراها، وقَرَّبَ منزلها وكانتْ أحظى جواريه عنده.

❋ ❋ ❋

(نصيب بن رباح والجارية)

دخل نُصَيْبُ بن رباح مولى عبدالعزيز بن مروان على يزيد بن عبدالملك، فقال له: حدِّثني يا نُصيب ببعض ما مرَّ عليك، فقال:

(١) القلنسوة: نوع من ملابس الرأس.
(٢) الوتر: ما يشدُّ في القوس.
(٣) الكلف: النَّمش في الوجه.
(٤) الخَنَس: ارتفاع قليل في طرف الأَنف.

نعم، يا أمير المؤمنين، عُلّقتُ[١] جارية حمراء، فمكَثَتْ زماناً تُمنّيني بالأباطيل، فلمَّا ألححتُ عليها، قالت: إليكَ عنّي، فوالله لكأنّكَ من طوارقِ الليل[٢]. فقلتُ لها: واللّهِ لكأنّكِ مِن طوارق النهار. فقالت: ما أظرفكَ يا أسود! فغاظني قولها. فقلتُ لها: هل تدرين ما الظرف؟ إنّما الظرف العقل، ثمَّ قالت لي: انصرف حتى أنظر في أمركَ. فأرسلتُ لها هذه الأبيات:

فإنْ أكُ حالكاً فالمِسْكُ أحْوَى ... وما لسواد جلدي من دواء[٣]
ولي كَرَمٌ عن الفحشاءِ ناءٍ ... كبُعْدِ الأرضِ من جوِّ السماءِ[٤]
ومثلي في رجالِكُمُ قليلٌ ... ومثلكِ ليسَ يُعْدَمُ في النِّساء
فإنْ ترضيْ فرُدّي قولَ راضٍ ... وإنْ تأبيْ فنحن على السواء

❋ ❋ ❋

(عفة الكاتب)

عتب عبدالله بن طاهر على بعض كتّابه فسجنه في مقصورة[٥]، فأشرفت عليه جارية لعبدالله كانت حظية[٦] عنده، فنظرتْ إلى الفتى وكان أديباً، ووافقتْ نظرة منه إليها، فوقع في قلبها محبَّةٌ شديدة، وعالجت الصبر عنه فلم تقدر عليه، فأخذت رقعة وكتبت فيها:

قَدْ أردناك على أنْ ... تجتلي ظبياً أَلُوفا
فَأَبَيْتَ الآنَ لا زِلتَ ... لقيديكَ حليفا

(١) عُلِّقتُ: أي تعلقت بها وأحببتُها.
(٢) طوارق الليل: مصائبه.
(٣) أحوى: أسود مائل إلى خضرة أو حمرة.
(٤) ناءٍ: بعيد.
(٥) مقصورة: غرفة مُحَصَّنة.
(٦) حظية: مفضلة.

ثمَّ دلَّتْها، فلما قرأها، كتب فيها:

ما تركتُ الظبيَ إنّي كُنْتُ للظبي عنيفَا
غيرَ أني خِفْتُ ربّاً لم يزلْ بَرّاً رؤوفَا

فرفعتِ الرقعة، فلمَّا رأتْها ساءَها ذلك، فأومأتْ بها لتجعلها في جيبها، فجعلتها بين ثوبها وهي لا تدري. ثم إنَّ الرقعة وقعت في يد عبدالله. فعجب من عفَّته وصبره عنها، على حسنها وجمالها، وكانت من أعز جواريه عليه، فلمَّا استوضحها الخبر، قالت: هو ما رأيتَ. قال لها: فالله عليك شاهد إنَّه لأحبُّ إليكِ منِّي؟ قالت: إي والله. فأمر بالفتى ففكَّتْ قيودُهُ وكساهُ وأجازهُ، وقال له: خذ هذه الجارية بجميع ما يحويه مُلكها ثواباً لعِفَّتِكَ وتُقاكَ وخوفك الله تعالى. ورفع مرتبته من كتابه ولم يزل مكرماً له.

❋ ❋ ❋

(مخبوبة)

شاعرة عباسية مطبوعة، ومولدة من مولدات البصرة، كانت لرجل من الطائف ثمّ أُهديتْ إلى المتوكل، فحلتْ في قلبه محلاً جليلاً، من شعرها:

وكاتبةٍ في الخد بالمسك جعفراً بنفسي مخط المسك من حيثُ أثَّرَا
لئن كتبتْ في الخد سطراً بكفها لقد أودعتُ قلبي من الحبِّ أسْطُرا
فيا مَنْ لمملوكٍ لملْكِ يمينهِ مطيعٌ لهُ فيما أسَرَّ وأَظْهَرَا
ويا مَنْ مُناها في السريرة جعفرٌ سَقَى اللّهُ من سُقيا ثناياكِ جعفرا

ودَفَعَ المتوكل إلى محْبُوبة تُفَّاحةً، فَبَعَثَتْ إليه برقعةٍ مكتوبٍ فيها:

يا طيبَ تفاحةٍ خلوتُ بها تُشْعلُ نارَ الهوى في كبدي

أبكي إليها وأشتكي دَنفي ... وما أُلاقي من شدَّةِ الكمدِ
لو أنَّ تُفَّاحةً بكتْ لبكتْ ... من رحمتي هذي التي بيدي
إنْ كُنتِ لا ترحمين ما لَقِيَتْ ... نفسي من الجهْدِ فآرْحَمي جَسدي

❋ ❋ ❋

(فضل، جارية المتوكل)

كانت مولدة، ولدت باليمامة، ونشأت بالبصرة، وكانت سمراء أديبة فصيحة، مطبوعة في الشعر، أحسن خلق الله خطّاً، وأفصحه كلاماً، وأبلغه مخاطبةً، وأثبته في محاورة.

كانت تجلس في مجلس المتوكل تعارض الشعراء، فألقى عليها أبو دلف القاسم بن عيسى:

قالوا عشقتَ صغيرةً فأَجبتُهم ... أشهى المطيّ إليَّ ما لمْ يُرْكَبِ
كَمْ بين حَبَّةِ لُؤلُؤٍ مثقوبةٍ ... لُبِسَتْ وحَبَّةِ لؤلؤ لمْ تُثْقَبِ

فقالت فضل مجيبةً لهُ:

إنَّ المطيةَ لا يُلَذُّ ركوبُها ... حتى تُذَلَّلَ بالزِّمَامِ وَتُركَبِ
والدُّرُّ لَيْسَ بنافعٍ أرْبَابَهُ ... حتى يُلَفَّ بالنِّظامِ وَيُثْقَبِ

لما دخلت فضل على المتوكل يوم أُهديت إليه قال لها: أشاعرة أنت؟ قالت كذا يزعمُ من باعني واشتراني. فضحك وقال: أنشدينا شيئاً من شعرك. فأنشدته:

أستقبل المُلْكُ إمامَ الهدى ... عامَ ثلاثٍ وثلاثينا
خلافةً أفْضَتْ إلى جعفرٍ ... وهو ابنُ سبعٍ بعد عشرينا
إنا لنرجو يا إمام الهدى ... أن تملكَ المُلك ثمانينا
لا قدَّس اللَّهُ امرءاً لمْ يقلْ ... عند دعائي لك آمينا

وقال المتوكل لعلي بن الجهم: قل بيتاً، وقُلْ لفضل الشاعرة تجيزهُ، فقال علي: أجيزي يا فضل:

لاذَ بـهـا يـشـتـكـي إلـيـهـا فـلـمْ يـجـدْ عـنـدهـا مـلاذا

فأطرقت ثمَّ قالتْ:

ولـمْ يـزلْ ضـارعـاً إلـيـهـا تـهـطـلُ أجـفـانُـهُ رذاذا
فـعـاتـبُـوهُ فـزادَ عِـشـقـاً فـمـاتَ وَجْـداً فـكـان مـاذا

❋ ❋ ❋

(الجارية العابدة)

كان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلمّا كان في جوف الليل قامتْ الجارية فقالت: يا أهل الدار! الصلاة! فقالوا: أصبحنا؟ أَطلعَ الفجرُ؟ فقالت: وما تصلون إلا المكتوبة؟ قالوا: نعم، فرجعت إلى الحسن فقالت: يا مولاي بعتَني من قومٍ لا يصلّون إلا المكتوبة، ردَّني، فردَّها.

❋ ❋ ❋

(الأصمعي والجارية)

قال الأصمعي: رأيتُ جاريةً في الطواف كأنها مهاةٌ، فجعلتُ أنظر إليها وأملأ عيني من محاسنها، فقالت لي: يا هذا ما شأنك؟ قلتُ: وما عليك من النظر؟ فأنشأت تقول:

وكنتَ متى أرسلتَ طرفَكَ رائداً لـقـلـبـك يـومـاً أتْـعـبـتْـكَ الـمـنـاظـرُ
رأيـتَ الـذي لا كـلُّـهُ أنـت قـادرٌ عـليـهِ ولا عـن بعضِـهِ أنتَ صابِرُ

❋ ❋ ❋

(عنان، جارية النطافي)

قال أحمد بن معاوية: قال لي رجل: تصفحتُ كتباً فوجدتُ فيها بيتاً جهدتُ جهدي أنْ أجد من يجيزهُ فلم أجد، فقال لي صديق: عليك بعنان جارية النطافي، فأتيتُها، فأنشدتُها:

وما زال يشكو الحبَّ حتى رأيته ... تنفَّسَ من أحشائه وتكلَّما

فلم تلبث أنْ قالتْ:

ويبكي فأبكي رحمةً لبكائهِ ... إذا ما بكى دمعاً بكيتُ له دما

وقال مروان بن أبي حفصة: لقيني النطافي فدعاني إلى عنان، فانطلقتُ معه، فدخل إليها قبلي، وقال لها: قد جئتُكِ بأشعر الناس مروان بن أبي حفصة، فوجدها عليلة، فقالت له: إني عنه لمشغولة. فأهوى إليها بسوطٍ وضربها به، وقال لي: ادخل، فدخلتُ وهي تبكي، فرأيتُ الدمع من عينيها، فقلتُ:

بكتْ عنانُ فجرير دمعها ... كالدر إذ يُسْتَنُّ من خيطِهِ

فقالت مسرعة:

فليت من يضربها ظالماً ... تَيْبَسُ يُمْناهُ على سوطِهِ

❋ ❋ ❋

(أبو علقمة والجارية)

حكي عن أبي علقمة أنه قال لجارية، كان يهواها: يا خريدة، أخالك عروباً فما لك نمَّقكِ ـ أي: نحبك ـ وتشنئيننا؟ ـ أي: تكرهيننا ـ قالت: والله ما رأيتُ أحداً يحب شخصاً ويشتمه سواك. أم أنك تعجز عن التعبير عما يجول في خاطرك؟ فقال: لا. قالت: إذنْ تكلم بما يناسب ليونة النساء.

❋ ❋ ❋

(الرشيد والجارية)

عرضت جارية رائعة الحُسْن والجمال على الخليفة هارون الرشيد ليشتريها وطلب صاحبها مبلغاً كبيراً فيها. فقال الرشيد: إنها لا تساوي هذا المبلغ الضخم الذي تطلبه. فقال صاحبها: اختبرها يا أمير المؤمنين، وأنا أضمن لك أنها ستعجبك. فسألها الرشيد:

ماذا تقولين فيمن شفَّهُ سَقَمٌ من طول حبِّكِ حتى صار حيرانا

فأجابت على الفور:

إذا رأينا محبّاً قد أَضَرَّ بهِ طول الصَّبابةِ أوْلَيْناهُ إحسانا

فاسْتحسنَ الرشيد لطفها وأدبها، ودفع للرجل أكثر ممَّا طلب.

***

(جارية ابن نفيس)

عن عثمان بن محمد الليثي قال: كنتُ يوماً في مجلس ابن نفيس، فخرجَتْ إليه جاريته بَصْبَصْ، وكان في القوم فتًى يحبُّها، فسألَتْهُ حاجةً، فقام ليأتيها بها، فنسي أن يلبس نعله، ومشى حافياً، فقالت: يا فلان، نسيتَ نعلكَ. فَلَبِسَها وقال: أنا والله كما قال الأول:

وحبُّكِ يُنْسِي عنِ الشيءِ في يدي وَيَشْغَلُني عَنْ كلِّ شيءٍ أُحاوِلُهْ

فأجابته:

وبي مثلُ ما تشكوهُ مِنّي وإنَّني لأُشْفِقُ من حُبٍّ أراكَ تُزَاوِلُهْ

***

(الجارية البدر)

دخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب بن المهلب بالأهواز، وعند سليمان جارية له يُقال لها: البدر، من أحسن الجواري وجهاً وأكمله، فقال سليمان لخلف: كيف ترى هذه الجارية؟ فقال: أصلح الله الأمير، ما رأتْ عيناي جاريةً قطُّ أحسن منها. فقال: خذ بيدها. فقال خلف: ما كنت لأفعل، ولا أسلبُها الأمير وقد عَرَفْتُ عُجْبَهُ بها. فقال: خذها ويحك على عُجبي بها، ليعلم هواي أني غالبٌ. فأخذ بيدها وخرج وهو يقول:

لقد حباني وأعطاني وفضلني ... عن غير مسألةٍ منّي سليمانُ
أعطانيَ البدرَ خَوْداً في مجاسدها ... والبدرُ لم يُعْطَه إنسٌ ولا جانُ

***

(علية بنت المهدي)

هي أُخت إبراهيم بن المهدي. كانت تحب أن تُراسل بالأشعار مَنْ تختصُّه، فاختصَّتْ خادماً يقال له: (طل) من خدم الرشيد، فكانت تراسله بالشعر، فلم تره أياماً، فمشَتْ على ميزاب وحدَّثته وقالت في ذلك:

قد كان ما كُلِّفْتُه زمناً ... يا طَلُّ مِنْ وَجْدٍ بكم يَكْفي
حتَّى أتيتُكَ زائراً عَجِلاً ... أمْشي على حَتْفٍ إلى حَتْفِ

فحلف عليها الرشيد ألا تُكلم طَلاً ولا تُسَمِّيه باسمه، فضمِنَتْ له ذلك. وٱسْتمع عليها يوماً وهي تدْرُس آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [سورة البقرة/٢٦٥]، وأرادتْ أن تقول: (فَطَلٌّ) فقالت: فالذي نهانا عنه أمير المؤمنين. فدخل فقَبَّلَ رأسها وقال: قد وهبتُ لك طلاً. ولا أمنعك بعد هذا من شيءٍ تريدينه.

[الأغاني للأصفهاني]

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١ ـ **أخبار الظراف**، ابن الجوزي.

٢ ـ **أخبار النساء**، لابن الجوزي.

٣ ـ **أدب الكاتب**، ابن قتيبة الدينوري.

٤ ـ **أدبنا الضاحك**، عبدالغني العطيري.

٥ ـ **أعلام النساء**، عمر رضا كحالة.

٦ ـ **أغرب عجائب المرأة**، سيد صديق عبدالفتاح.

٧ ـ **أنيس الجليس**، محمود سليمان العابدي.

٨ ـ **الأذكياء**، ابن الجوزي.

٩ ـ **الأشباه والنظائر**، جلال الدين السيوطي.

١٠ ـ **الأعلام**، خير الدين الزركلي.

١١ ـ **الأغاني**، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني.

١٢ ـ **الأمالي**، ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد الحسين.

١٣ ـ **الأمالي**، الشريف أبو القاسم علي بن الطاهر المرتضى.

١٤ ـ **الأمالي**، لأبي القاسم الزجاجي.

١٥ ـ **الأمالي**، للإمام أبي علي القالي.

١٦ ـ **الإمتاع والمؤانسة**، أبو حيان التوحيدي.

١٧ ـ **البيان والتبيين**، الجاحظ.

١٨ ـ **التبيان فيما يحتاج إليه الزوجان**، جاسم الياسين.

١٩ ـ **الحب عند العرب**، أحمد تيمور باشا.

٢٠ ـ **الحلة السيراء**، ابن الأبار، محمد بن عبدالله القضاعي.

٢١ ـ **الداء والدواء**، ابن قيم الجوزية.

٢٢ ـ **الزهد**، للإمام أحمد بن حنبل.
٢٣ ـ **الطبقات الكبرى**، ابن سعد.
٢٤ ـ **العقد الفريد**، ابن عبد ربه الأندلسي.
٢٥ ـ **الفصول والغايات**، أبو العلاء المعري.
٢٦ ـ **الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم**، محمد مصطفى محمد.
٢٧ ـ **الكامل في اللغة والأدب**، أبو العباس، ابن المبرد.
٢٨ ـ **الكشكول**، بهاء الدين محمد بن حسين العاملي.
٢٩ ـ **اللؤلؤ والمرجان**، محمد فؤاد عبدالباقي.
٣٠ ـ **المحاسن والأضداد**، للجاحظ.
٣١ ـ **المحاسن والمساوىء**، إبراهيم بن محمد البيهقي.
٣٢ ـ **المختار من عيون الأخبار**، أحمد بن عبدالعليم البردوني.
٣٣ ـ **المختار من نوادر الأخبار**، شمس الدين محمد بن أحمد المقرّي.
٣٤ ـ **المرأة في الشعر الجاهلي**، أحمد الحوفي.
٣٥ ـ **المستطرف الجديد**، هادي العلوي.
٣٦ ـ **المستطرف في كل فن مستظرف**، للأبشيهي.
٣٧ ـ **المستظرف من أخبار الجواري**، جلال الدين السيوطي.
٣٨ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، محمد فؤاد عبدالباقي.
٣٩ ـ **المنجد في اللغة والأعلام**.
٤٠ ـ **الموشى أو الظرف والظرفاء**، لأبي الطيب محمد الوشاء.
٤١ ـ **الموطأ**، الإمام مالك بن أنس.
٤٢ ـ **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين الصفدي.
٤٣ ـ **بدائع البدائه**، علي بن ظافر الأزدي.
٤٤ ـ **بستان العارفين**، أبو الليث السمرقندي.
٤٥ ـ **بغية الوعاة**، جلال الدين السيوطي.
٤٦ ـ **بلاغات النساء**، ابن طيفور الخراساني.
٤٧ ـ **بهجة المجالس وأنس المجالس**، ابن عبدالبر القرطبي.
٤٨ ـ **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي.
٤٩ ـ **تحفة العروس**، محمد مهدي الإستانبولي.
٥٠ ـ **تربية الأولاد في الإسلام**، عبدالله ناصح علوان.
٥١ ـ **تزيين الأسواق**، داود الأنطاكي.

٥٢ ـ **تفسير القرطبي**.
٥٣ ـ **تنبيه الغافلين**، أبو الليث السمرقندي.
٥٤ ـ **ثمرات الأوراق**، تقي الدين ابن حجة الحموي.
٥٥ ـ **جامع بيان العلم وفضله**، ابن عبدالبر القرطبي.
٥٦ ـ **جمع الجواهر في الملح والنوادر**، أبو إسحاق الحصري القيرواني.
٥٧ ـ **جواهر الأدب**، أحمد الهاشمي.
٥٨ ـ **حدائق الأزهار**، ابن عاصم القيسي.
٥٩ ـ **حياة الصحابة**، محمد يوسف الكاندهلوي.
٦٠ ـ **دولة النساء**، عبدالرحمٰن البرقوقي.
٦١ ـ **ذم الهوى**، ابن الجوزي.
٦٢ ـ **ذيل الأمالي**، أبو علي القالي.
٦٣ ـ **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، محمود بن عمر الزمخشري.
٦٤ ـ **روضة العقلاء**، محمد بن حبّان البستي.
٦٥ ـ **روضة المحبين**، ابن قيم الجوزية.
٦٦ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن قيم الجوزية.
٦٧ ـ **زهر الآداب**، إبراهيم بن علي القيرواني الحصري.
٦٨ ـ **سبل السلام**، للإمام الكحلاني.
٦٩ ـ **سنن أبي داود**.
٧٠ ـ **سنن ابن ماجه**.
٧١ ـ **سنن الترمذي**.
٧٢ ـ **سنن النسائي**.
٧٣ ـ **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد، عز الدين المدائني.
٧٤ ـ **صحيح البخاري**.
٧٥ ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، محمد ناصر الدين الألباني.
٧٦ ـ **صحيح مسلم**.
٧٧ ـ **طوق الحمامة**، ابن حزم، علي بن أحمد.
٧٨ ـ **عقلاء المجانين**، ابن حبيب، الحسن بن محمد النيسابوري.
٧٩ ـ **عيون الأخبار**، ابن قتيبة الدينوري.
٨٠ ـ **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ابن أبي أُصيبعة.
٨١ ـ **فقه السنة**، سيد سابق.

٨٢ - **فقه اللغة وأسرار العربية**، أبو منصور الثعالبي.

٨٣ - **فوات الوفيات**، محمد بن شاكر الكتبي.

٨٤ - **كتاب (الأضداد)**، محمد بن قاسم الأنباري.

٨٥ - **كتاب (البخلاء)**، الجاحظ.

٨٦ - **كتاب (الحيوان)**، الجاحظ.

٨٧ - **كتاب (الدراري في ذكر الذراري)**، كمال الدين ابن العديم.

٨٨ - **كتاب (العمدة)**، لابن رشيق، الحسن بن علي.

٨٩ - **كتاب (المحبر)**، أبو جعفر محمد بن حبيب.

٩٠ - **كتاب (المخلاة)**، بهاء الدين محمد العاملي.

٩١ - **متعة الأديب**، صالح الخطيب.

٩٢ - **مجالس العلماء**، عبدالرحمٰن الزجاجي، أبو القاسم.

٩٣ - **مجالس ثعلب**، أبو العباس أحمد بن يحيى.

٩٤ - **مجمع الأمثال**، للميداني.

٩٥ - **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، الراغب الأصبهاني.

٩٦ - **مختصر تفسير ابن كثير**.

٩٧ - **مختصر تفسير الطبري**.

٩٨ - **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، أبو محمد عبدالله اليافعي.

٩٩ - **مصارع العشاق**، أبو محمد جعفر بن أحمد السرّاج.

١٠٠ - **مكارم الأخلاق**، لابن أبي الدنيا.

١٠١ - **من كل وادٍ حجر**، خير الدين العمري.

١٠٢ - **موسوعة الشعر العربي**، تحقيق أحمد قدامة.

١٠٣ - **موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين**، جمال الدين القاسمي.

١٠٤ - **نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء**، محمد عقيل موسى.

١٠٥ - **نصرة الثائر على المثل السائر**، صلاح الدين الصفدي.

١٠٦ - **نفح الطيب**، شمس الدين محمد بن أحمد المقري.

١٠٧ - **نهاية الأرب في فنون الأدب**، شهاب الدين أحمد النويري.

١٠٨ - **نوادر العشاق**، إبراهيم زيدان.

١٠٩ - **نيل الأوطار**، محمد علي الشوكاني.

١١٠ - **وفيات الأعيان**، لابن خلكان.

١١١ - **يتيمة الدهر**، أبو منصور الثعالبي.

فهارس الكتاب

الموضوع	الصفحة
(ثناء الزوجين رغم الفراق	٦١
(عمر بن عبدالعزيز وزوجته)	٦٢
قالوا في الزواج والزوج والزوجة	٦٤
(زواج من فوق سبع سماوات)	٧٠
(زوجٌ من عُودٍ خيرٌ مِنْ قُعُودٍ)	٧١
(الغرائب لا القرائب)	٧٣
(حديث بنت ملك اليمن)	٧٦
(البنات الثلاث وحديث الزواج)	٧٨
(إخلاص حفصة الركونية لزوجها)	٧٩
(الدراهم مراهم)	٧٩
(بنات العم)	٧٩
(النساء ثلاث)	٨٠
(أربعة أزواج يصفون زوجاتهم)	٨٠
وصايا الأولياء للنساء	٨٨
(أم توصي ابنتها ليلة زفافها)	٨٩
(أربع أمهات يوصين بناتهنَّ)	٨٩
(ابنة قيصر المعلوف)	٩٢
(وصية عمٍّ لصهره)	٩٢
(نائلة بنت الفرافصة)	٩٣
(وصية التابعي أسماء بن خارجة الفزاري لابنته)	٩٣
(وصية أم معاصرة لابنتها قبل الزفاف)	٩٤
(وصية أب لابنته)	٩٥
(نصيحة زوجة حنكتها التجارب)	٩٦
(وصايا الزوجة اليابانية)	٩٨
خطبة النكاح	٩٩
أوصاف النساء المحمودة	١٠٤

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة